

نَفْرَادُ الشِّعْرِ

لِأَبِي الْفَرَّاجِ قُدَّامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

الدّكُورُ مُحَمَّدُ عَبْدُ النَّعِيمِ خَفَاجَيْ

دار الكتب الهملمية

بَيْرُوت - لِبَنَان

نَفْتُرُ الشِّعْرُ
لابي الفَرَجْ فَتَدَمَّهُ بْنُ جعْفَرٍ

تحقيق وتعليق

الدكتور

محمد عبد المنعم خفاجي

طَارِدُ الْكِتَبِ الْجَلْمِيَّةِ
سَهْرَدَرْتْ - لَهْنَارْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل إلى الكتاب

تقديم

هذا هو «نقد الشعر» لقديمة بن جعفر (٢٦٠ - ٨٧٢ م) ، الذي يعد أول نقد علمي مشهور في الأدب العربي .

أقدمه للباحثين في صورة جديدة ، من التحقيق العلمي ، معتمزاً بالكتاب ، وبعملي فيه ، مائلاً الله عز وجل أن يفید به القراء والدارسين والباحثين ، وأن يجعله ضوءاً هادياً في طريق البحث النبدي والأدبي .

وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

طبعات الكتاب

- ١ - نقد الشعر لقديمة - نشر س ١٠ بونياك - مطبعة بيريل -
لندن ١٩٥٦ .
- ٢ - نقد الشعر لقديمة - طبع الجواب ٥١٣٠٢ .
- ٣ - نقد الشعر لقديمة - تحقيق محمد عيسى منون ١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ م .
- ٤ - نقد الشعر لقديمة - تحقيق محمد كمال مصطفى ونشر مكتبة
الخانجي - القاهرة .

كتب مفقودة

- ١ - تبيين غلط قديمة للأمدي (٣/٨٥) معجم الأدباء نشر مرجليلوث
- ٢ - تزييف نقد قديمة لابن رشيق كما ذكره ابن أبي الأصيع في
مقدمه كتابه « بديع القرآن » ويبعدو أنه ليس صحيح النسبة لابن رشيق .
- ٣ - شرح نقد الشعر لقديمة ، لعبد اللطيف البغدادي (٩٦٢٩ -) :
راجع ترجمته في فوات الوفيات .
- ٤ - كشف الظلامة عن قديمة - للبغدادي نفسه أيضاً .

تصدير الكتاب

(١)

قدامة بن جعفر [٢٦٠ أو ٢٧٦ - ٩٤٨ - ٨٨٩ م] أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية ، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية ، ووجهوا النقد والنقد وجهة جديدة استمر صداتها على طول العصور .. وكتابه « نقد الشعر » صار أصلاً لجميع الدراسات النقدية العربية ، لأنّه استحدث مذهبًا جديداً فيها صار قدامة صاحبه ، وله فضل الكشف عنه .

وكان لآراء قدامة في كتابه صدى كبير عند النقاد القدماء ، بل لقد أحدث ضجة كبيرة في وسطهم :

ـ فالآمدي (٩٣٧ - ٥٦٢) ألف كتاباً في « تبيين خلط قدامة » في كتابه « نقد الشعر »^(١) .

ـ وعبد اللطيف البغدادي (٥٦٢ - ٩٣٩) له كتاب في شرح « نقد الشعر » لقدامة^(٢) ، وكتاب بعنوان « كشف الظلامة عن قدامة »^(٣) .

ـ وابن رشيق له كتاب « تزييف نقد قدامة » فيما ذكره ابن أبي الأصبع المصري في كتابه « تحرير التحبير » .

ـ وكان قدامة أحد البلاء الفصحاء ، وال فلاسفة الفضلاء ، كما يقول مؤرخوه^(٤) . ونسب إليه كتاب « نقد النثر » ، الذي حفظه الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي . وقد وجدت نسخة خطية كاملة من الكتاب نفسه في مكتبة تشرشل بيتي برقم ٧٦٧ تحت عنوان كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب

الكاتب ، فصححت نسبة الكتاب لابن وهب المعاصر لقدامة ، بعدما ثار جدل كبير حول نسبة لقدامة . وكان الذي نشر منه ، اعتماداً على نسخة الأسكوريال^(٥) باسم «نقد النثر» بتحقيق الدكتور طه حسين والعبادي هو نحو ثلث الكتاب وقد نشر الدكتور أحمد مطاوب في بغداد الكتاب كاملاً أخيراً .

ولقدامة كتب كثيرة ، منها : سر البلاغة في الكتابة ، وصنعة الكتابة والألفاظ ، والخراج ، وله كتاب آخر أشار إليه ياقوت في «معجم الأدباء» وهو الرد على ابن المعتر فيما عاب فيه أبا تمام^(٦) .

(٢)

وقدامة يرى في مقدمة «نقد الشعر»^(٧) أن كتابه أول كتاب يُولف في النقد ، فيقول :^(٨) «ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر - أي النقد - أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى ، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أنكلم في ذلك بما يبلغه الوعس» .

وهو يغفل جهود العلماء السابقين في تأصيل قواعد النقد ، كالأسمعي في «فعولة الشعراء» وابن سلام في «طبقات الشعراء»^(٩) ، والباحث فيما كتبه في النقد في كتابيه «البيان والتبين» ، و «الحيوان» وغيرهما وابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ، والمرد في كتابه في «قواعد الشعر» وثعلب في كتاب له بعنوان «قواعد الشعر» أيضاً ، الذي حفظه ونشر عام ١٩٤٨ ، وابن المعتر في كتابه «البديع» وسوى هؤلاء الأعلام الخالدين في تراثنا العربي التقدي .

وقد فصل قدامة في كتابه مذهبه في النقد ، فقسم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وإلى عناصر أربعة أخرى مركبة من هذه العناصر . ويذكر أن الشعر قد يكون جيداً ، أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفيها الأعلى^(١٠) ، ويقول : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغ به غاية الجودة ،

فإن وجد بضد هذه الحال كان شعراً في غاية الرداءة ، وإلا فهو بين بين ، أي بين طرف الجودة والرداة بحسب مدى قربه من أي العطيفين أو توسطه بينهما .

ومن صفات المعنى الجيد عنده ، الوفاء بالغرض المقصود ؛ أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الاقتصار على الحد الوسط . ويقول : إنه عنده أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم «أذعيب الشعر أكذبه» ، وهو كذلك مذهب فلاسفة اليونان في الشعر على لغتهم ويقصد بهم أرسطو صاحب أول مدرسة نقدية في التراث القديم الأولي ويؤكّد قدامة أن الغلو يهدى من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعدوم ، فالمراد به المثل وبلغ النهاية في النعت ولما كانت المعانٍ عند قدامة لا نهاية لها فقد عدد نعمات الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ ..

ومن أغراض الشعر عنده المدح والهجاء ، والمدح الجيد عنده تنتهى هو الصدق وأن يكون بالصفات الأربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل أو ببعضها . وقد يصف الشاعر المدحوبين ببلغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والبالغة .

والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته مضادة لصفات المدح ، وليس بين المدح والمرثية فرق عنده إلا في اللفظ دون المعنى ، وهذا خطأ ما بعده من خطأ ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء ، ولعل عبد الصمد بن العذل [٥٢٣٠ - ١٠٣] هو أول من قال بهذا الرأي حيث روى عنه ابن رشيق في العمدة (١: ١٠٣) أنه قال : «الشعر كله في ثلاثة لفظات : إذا مدحت قلت : أنت ، وإذا هجوت قلت : لست ، وإذا رثيت قلت : كنت » ونحن لا نوافقه على ذلك كله .

(٣)

إن هذا المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة ، صار حديث النقاد في عصره وبعد عصره ..

ولقد تأثر قدامة فيه بالثقافات العقلية التي كانت مائدة في نصره ، والتي تتلمذ عليها ، وأخذ منها ، ففي البصرة وفي القرن الثالث المجري ، التقت الثقافات المختلفة الثقاء فمكرياً على نحو رائع ، ونشأت طبقة من المثقفين الذين تتفقوا على هذا الفكر الإنساني ، وكان في مقدمتهم المترلة الذين رجعوا إلى المنطق اليوناني ، وقرأوا فلسفة أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ، وترجموا آراء الأمم الأخرى في البيان ومناهجه ، كما ترجموا كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية فالشعر ترجمه عاصرأ الكندي (٥٢٥٣) ، والخطابة ترجمه إسحاق بن حنين (٥٢٩٨) .

وأخذت هذه الطبقة توافر في « صناعة الشعر » ، وللكندي - أول فلاسفة العرب - رسالة في صناعة الشعر ^(١) ، ولأبي زيد الباهي كتاب بهذا العنوان أيضاً ^(٢) ، وكذلك لأبي هفان المهزمي راوية شعر أبي نواس ^(٣) .

وكان متكلمو المترلة ، بتضلعهم من الفلسفة اليونانية ، أصحاب آراء كثيرة في النقد والبيان .

ومن البدهي أن يقرأ قدامة ابن البصرة كل هذه الثقافات ، وأن يتأثر بها وقد ناقدنا قداماً من كتابي أرسطو في الخطابة والشعر ، وإن كان الدكتور طه حسين يرى أنه كان يجهل كتاب الشعر ^(٤) .

وعلى أية حال فإن قدامة بمنهجه العقلي في النقد بيان مناهج التقاد العرب الأصلاء ، من مثل : الأصمعي ، ابن الأعرابي ، ابن سلام ، الباحظ ، ابن قتيبة ، ابن المعتز ، وغيرهم ، وإن هذا المنهج الذي وضع قداماً أساسه يعد أكبر وأجرأ خطوة نحو تدوين البلاغة العربية وأصول البيان وال النقد . وحسبنا أن ثلاثة من كبار التقاد العرب قد ألووا منهجه عاية خاصة ، وتأثروا به تأثراً عميقاً ، وهم :

١ - أبو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » .

٢ - ابن رشيق القمياني في كتابه « العمدة » .

٣ - ابن سنان الخفاجي في كتابه « سر الفصاحة ».
كما تأثر علماء البلاغة والبديع تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد
الشعر » .

ومن البدهي أن يستفيد قدامة من ابن المعتز (- ٥٢٩٦) وكتابه
« البديع » فائدة كبيرة ، فكثير من أسباب الجودة عند قدامة هي مما
ذكره ابن المعتز في كتابه البديع على أنها من صنعة الشعر ومحسنته الفنية .

إن منهج قدامة النبدي في كتابه « نقد الشعر » يعتبر ثورة فكرية
عميقة ظهر صداها في تراثنا النبدي ، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد
من بعده ولا يزال صداؤه وصدى فكره النبدي قوياً وسائداً في تراثنا
حتى اليوم .

المراجع

- (١) ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح ، معجم الادباء للياقوت في ترجمة
الآمدي .
- (٢) ٧/٢ فوات الوفيات لابن شاكر ، ولعبد اللطيف البغدادي كتاب
« قوانين البلاغة » ، واختصر كتاب « الصناعتين » للعسكري (٨/٢ فوات)
ويروي صاحب كشف الظنون أن للبغدادي كتاباً اسمه تكملة الصلة فسي
شرح « نقد الشعر » ٢٤٦/١ ، وكتاباً آخر اسمه « كشف الظلامة عن قدامة »
(٤٠٠/٢ كشف الظنون) . ولعل الكتاب الاول هو الاسم الكامل لشرح
البغدادي لنقد الشعر . وينسب لابن رشيق القيرواني كتاب بعنوان « تزيف
نقد قدامة » (٨٨ تحرير التحبير لابن ابي الاصبع) ، ويرجع أنه ليس لابن
رشيق صاحب العدة .
- (٣) ٤٠٠ كشف الظنون .
- (٤) ٢٠٢/٦ - ٢٠٥ معجم الادباء للياقوت ، ١٨٨ الفهرست ، ٢/٢
كشف الظنون ، تاريخ بغداد في ترجمة قدامة بن جعفر - والنقد الادبي
للدكتور بدوي طباعة ، وكتاب قدامة للدكتور طباعة .
- (٥) تحت رقم ٢٤٣ .
- (٦) ٦/٢٠٤ معجم الادباء .
- (٧) طبع طبعات عديدة : فقد نشره س . ابو نبياكر بمطبعة برييل في
ليدن عام ١٩٥٦ - ومن قبل طبع في الجواب عام ١٣٠٢ ، وطبع في القاهرة
طبعة أخرى عام ١٩٣٤ بتحقيق محمد عيسى منون ، وبشرح آخر لكمال
مصطفى .
- (٨) ١٢ نقد الشعر ط . القاهرة ١٩٣٤ .
- (٩) يرى الكثير من الباحثين أن طبقات الشعراء لابن سلام هو أول
مؤلف عربي في النقد (راجع النقد المنهجي عند العرب لمendor ، ٧٤ تاريخ

النقد الادبي عند العرب لطه ابراهيم ، ١٠٨/٢ تاريخ ادب اللغة العربية
لجورجي زيدان)

١٠) نقد الشعر .

١١) ٢٥٩ الفهرست لابن النديم .

١٢) ١٩٨ المرجع نفسه .

١٣) ٢٠٧ المرجع نفسه .

١٤) ص ٧ مقدمة نقد الشعر . وقادمة في رأي كثير من المستشرقين
استفاد من كتاب « الخطابة » لارسطو لا من كتاب « الشعر » له . وفي رأي
د. ابراهيم انه استفاد منها معا - وكان قادمة من اسرة مسيحية اقامت
بالبصرة وأسلم في عهد المكتفى بالله العباسي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ : ٩٠٢ -
٩٠٨ م) وتولى في آخر حياته منصب صاحب البريد .

تَحْمِيلُ الْجَيْدِ

(١)

١— استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعان مختلف :

الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراديم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديتها ، ومنه : التقادم والانتقاد وهو تمييز الدراديم وإخراج الزائف منها .

والثاني : العيب والانتقاد ، قالت العرب : نقدته الحية إذا لدغته ، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته ، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها . وفي حديث أبي الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، ومعناه : إن عبئهم وجرحهم قابلوك بمثل صنعتك .

واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد^(١) بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء ؛ وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب يقول البحري عن أبي العباس ثعلب : ما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بيلغرايه وغريبه^(٢) ، وألف قدامة كتابيه : نقد الشعر ، وقد الشعر ، وألف ابن رشيق « العمدة في صناعة الشعر وقده » .

وسار التقادم العرب في نقدمهم على كل من الاستعمالين :

١— استعملوه في القديم وفي الحديث على معنى التحليل والشرح

(١) الجاحظ رسالة في نقد الكندي (٤٢ الجاحظ لمrdm) .

(٢) ١٩٥ دلائل الاعجاز .

والتمييز والحكم ، فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها ، وأكثر الذين كتبوا في النقد العربي مشوا على هذا المعنى ^(١) .

٢ - واستعملوه كذلك بمعنى العيب والمؤاخذة والتخطيء ، فألف المرزباني كتابه « الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء » ، ويريد بالعلماء النقاد ، ولا يزال النقد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعض النقاد المعاصرین ، ويقابله التقرير وهو المدح والإعجاب من قرظ الجلد إذا دبغه ، وذلك إنما يكون للتحسين والتزيين ^(٢) .

(٢)

ويعرف المحدثون النقد - بناء على المعنى الأول في الاستعمال اللغوي - فيقولون : إنه التقدير الصحيح لأي أثر في وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه ^(٣) ، فكلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق الحكم ، وهو مفهوم للحظة في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدتها عموماً ^(٤) ، والنقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن تفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء ^(٥) .

فللنقد مهتان مختلفتان ، مهمة التفسير ، ومهمة الحكم ، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته .

(٣)

ومن الضروري أن نعرف أن النقد بدأ منذ استمع الإنسان إلى الأدب - شرعاً ونثراً - بأحكام عامة مقتضبة موجزة لا تحمل تعليلاً ، ولا

(١) ١١٤ و ١١٥ أصول النقد الأدبي للشاعب .

(٢) من ١١٤ المرجع السابق .

(٣) من ١١٦ نفس المرجع .

(٤) ١٧٢ النقد الأدبي لـأحمد أمين ١٩٦٢ .

(٥) ٦ في الأدب والنقد لنور .

تتصحّب أسبابها .. شأن الأحكام العامة التي يرشد إليها الذوق ، ويكون الفطرة الأدبية مدخل فيها ، دون أن تتأثر بتزعة علمية ، أو منهج عقلي ، أو أسس موضوعة .

كذلك كان شأنه في الأدب في العصر الجاهلي ، حكم دون تعليل ، لأن أحكام الذوق والفطرة التي لم تسترشد بمناهج أو أصول موضوعة لا بد أن تكون كذلك . ثم أخذ يرتكب العقل ، وينضج الحس الأدبي ويرتفع مستوى الملكات ، وبدأ العقل لا يقنع بأن يرسل إرسالاً دون أن يوضحه توضيحاً ، فأخذ يوميًّا من بعيد وعلى سبيل الرمز والتلويح إلى السبب وبعد أن بدأ تدوين العلوم والثقافات ، وأخذ العقل العربي يضع أصولاً للبيان وال النقد ، بدأت أحكام النقد تصططع بصيغة علمية موضوعية ، فالحكم يحيطه السبب والعلة ! والنقد يحمل معه طابع التوجيه والتعليل للوصول إلى أحكام موضوعية .

وجملة الأمر أن النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر ، وأنه عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديرًا صحيحاً وبيان قيمته ودرجه الأدبية^(١) .. هو تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها ، وبيان قيمتها العامة ، والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار .. وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار^(٢) .

والخطابة والشعر لأرسطو هما المرجع الأول لكل الدراسات في النقد والبلاغة^(٣) ، فأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ، ووضع في كتابه «فن الشعر» قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد^(٤) .

(١) أصول النقد الأدبي للشاعب .

(٢) ص ٩٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٣) أصول النقد الأدبي .

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديث في أوروبا ، وعلى رأسها : سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٩٦) ، وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) ، وجول لمتر^(١) (توفي عام ١٩١٧) .

والنقد في الآداب العربية هو « شرخ الشعر تقرير طريقة الشعر الجاهلي لتكوين منهجاً للشعراء ، لا حرفة العقول والأفكار^(٢) وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة^(٣) .

وهكذا نجد أن أصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، وأن الغرض منه كما يقول بعض النقاد دراسة الأساليب أو نقوس الكتاب أو دراسة الآراء والأفكار .

على أن النقد ذو صلة وثيقة بالذوق ، وليس هو مطلق الذوق ، بل ذوق ذوي الثقافات الأدبية العالية . والنقد عند كثير من النقاد فن وليس بعلم ، فليس عندهم قاعدة ثابتة .

(٤)

١ - وإذا كانت كلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) : وكان « النقد الأدبي » هو إصدار حكم على الآثار الأدبية ، فإن الأدب الإنساني يخالف الأدب النبدي الذي هو من الأدب الوصفي ، فالإنساني هو تفسير الحياة في صور مختلفة من الفن الأدبي ، والأدب النبدي هو تفسير لهذا التفسير ولصور الفن التي يوضع فيها ، وكما يأخذ الأدب من الطبيعة والحياة فإن النقد كذلك يأخذ منها عن طريق غير مباشر ، ولذلك يقول الناقد وليم و طسون عن الشعراء « وقد اعتبرت مؤلاة كجزء من عظمة الطبيعة » .

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب واصول النقد الادبي للشاعيب ، ٤٥ - ٥٠ الادب الجاهلي .

(٢) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٣) ٦٩ المرجع نفسه .

وإذا كان في الإمكان الرجوع إلى المصدر الأول وهو الطبيعة دون الرجوع إلى النقد ، فإن النقد يوحى ويشجع وينير السبيل ، ويلهم الأدباء أنفسهم اتجاهات جديدة ، وللنقد قيمة الذاتية في أنه تعبير عن الناقد نفسه ، عن شخصيته وفكرة ومذهبة ومنهجه .

٢- إن وظيفة النقد الأدبي هي في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمة التعبيرية والشعرية ، وتوضيح متردته وآثاره في الأدب ..

يرى سانت بيف أن وظيفة النقد الأدبي هي النهاذ إلى ذات المؤلف ، لتشتشف روحه من وراء عبارته بحيث يفهمه قراءه ، وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب . فالنقد على حد تعبيره يعلم الآخرين كيف يقرأون ، ولذلك كان على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية العامة إلى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف ، فوظيفة النقد هي تفسير العمل الأدبي للقارئ لمساعدته على فهمه وتلقيه ، وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم ^(١) .

ويحمل وردزورث على النقد ويعده عبئاً ، لأن المقدرة على النقد أحاط من المقدرة على الإنشاء ، ومن قبل حمل أفلاطون على الشعر وعابه بأنه تقليل للتقليل .

ولا شك أن ذلك أمر لا يوافقه عليه ناقد آخر ، فإن النقد يوجه ويثير الأدب ، ويعلي من متردته في الحياة ، ولا غنى للحياة ولا للأدب ولا للأدباء عنه ، وهو الذي يخلق المناهج والمذاهب الأدبية ، ويقوم أعمال الأدباء ، ويوصي باختيار النماذج الجيدة من الأدب ومحاكاتها ، ويغرس حب الجيد منه في نفوس الدارسين والناشئين ويعودهم على مثل هذا الجيد منه .

(١) راجع ٥٢ - ٩٦ الأدب وفنونه لعز الدين اسماعيل .

والنقد الأدبي يتتنوع إلى :

١ - **النقد الذاتي أو التأثيري** : وهو الذي يقوم على النزق الخاص ، ويعتمد على التجربة الشخصية ، ويبعد عن المنهج الموضوعي العلمي .

٢ - **النقد الموضوعي** : وهو الذي يرتكن إلى أصول مرجعية وقواعد عقلية مقررة ، يعتمد عليها في الحكم ، كطريقة قدامة في كتابه « نقد الشعر » .

٣ - **النقد الاعتقادي** : وهو النقد الذي تحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد . وهو يحمل في طياته معنى التصub والميل إلى نزعة خاصة ، وكلما تحرر الناقد في نقه وآرائه ومعتقداته الشخصية كان نقه عادلاً وأكثر إنصافاً وصدقأً وتحرياً للحقيقة ، إذ أن تجرد الناقد من هواه وآرائه شرط أساسي لسلامة أحکامه التقدية من الجور .

٤ - **النقد التاريخي** : وهو النقد الذي يحاول تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب ، فهو يعني بالفهم والتفهم أكثر من عنايته بالحكم والماضلة وتفسير الظواهر الأدبية أو المؤلفات أو شخصيات الكتاب يتطلب معرفة بالماضي السابق لهم ، ومعرفة بالحاضر الذي أثر فيهم .

٥ - **النقد اللغوي** : وهو الذي يحكم فيه على أسماء اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة .

وفي النقد الموضوعي والذاتي يقول السحرتي^(١) : النقد الموضوعي هو النقد الذي يتناول العمل الأدبي من نصوصه ، ويكشف عما فيها من حقائق ، وما يرقد وراءها ، وعن ميزاتها ، والمادة الجديدة أو المطروقة التي تتطوّر عليها . فهو نقد كاشف لجوهر الموضوع وروحه

(١) مجلة قافلة الزيت عدد ذي الحجة ١٢٨٤ هـ .

في تجرد وإنصاف وحيدة . والناقد الموضوعي في كشفه وإندماجه في العمل المتفوّد أقرب شبيهاً بالنحلة التي تحوم حول الزهر ، فتفع عليه وتنقص رحيمه ، وتخرجه عسلاً فيه من الزهر لونه وعطره ونكته .

وعلى العكس من هذا ، النقد الذاتي ، فهو نقد ذو طابع غير مقنع ، لأنّه لا يهتم بالنصوص ، بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه ، ومقاييس الناقد فيه هو شعوره وذوقه ، وعواطفه وأهواه ، وهو ليس نقداً في الحقيقة ، إنما هو تعبير عن سمات الناقد ، وترجمة ذاتية لما يجري في عقله الغافقي ، أو عقله الوعي ، ومثل هذا النقد قد يكون مقالاً للنبذ ، أو نقاشاً ذكيّاً عن موضوع يتناوله الكتاب المتفوّد ، ولكنه بعيد عمّا تناوله الكتاب المتفوّد ، فالناقد يكشف به عن معرفته بال موضوع ، وزكانته ، أو يبرّز فيه افعالاته نحو الكتاب ، والناقد في سلوكه هذا أقرب ما يكون شبيهاً بالطاووس الذي يعجب بريشه المزركش الملون ، ولا يعجب بما حوله ، إلا اعجاباً عابراً .

ومثل هذا النقد لا جدوى من ورائه ، فهو لا يضرّ ولا ينفع ، بل قد يضرّ في كثير من الأحيان ، إذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة . أو كان بينه وبين المتفوّد خصومة فيتخذ من قلمه حبلًا ليشنق المؤلف به ، كما يقولون .

والنقد الموضوعي يقوم على ركنتين جوهر بين : أولهما اهتمام الناقد بموضوع العمل الأدبي المتفوّد ، وحبه لفنه ، وثانيهما طبيعة الناقد وخلقه القوي ، الذي يكبح جماح عواطفه الشرود ، أو افعالاته النازلة . فالاهتمام هو الركن الركيـن الذي يجعل الناقد يفتح قلبه وعقله للعمل ، المتفوّد ، ويقوده لاحتضانه والاستغراف في مادته ، في مودة واحترام ، حتى إذا ما بلغ من غايتها ، وقف من العمل الأدبي موقف الحياد ، وتوضيـحـه ، وبيان حـسـنـاته وـهـفـوـاتـهـ .

فعـمـلـيـةـ النـقـدـ المـوـضـوـعـيـ تمـثـلـ الـاـهـتـمـامـ ، أوـ الشـغـفـ بـالـمـوـضـوـعـ .

وهذا الاهتمام هو في البداية ، نزعة ذاتية ، ولكن الاستمرار في ارتياح مجالات العمل الأدبي تنقل الناقد إلى النظر في العمل المقود نظرة واقعية ، تسود نقدة فيما بعد .

وهذه النظرة تستلزم من الناقد أن يكون ذا طبيعة قوية سوية ، وبدون هذه الطبيعة السوية التي تتجرد من عواطفها وانفعالاتها لا يقوم الركين الثاني للنقد الموضوعي .

وتوسيعًا لهذه الحقيقة . نقول : إن الناقد الذي يقحم نفسه في نقد الشعر دون ما شغف به واهتمام ومارسة ، لن ينفرد إلى جوهره وروحه . ولن يستطيع التغلغل في جماله ومضمونه . ونقدة عندها لن يكون إلا نقداً سطحياً هريلياً . أو عبراً طائراً محوّلاً حومان الفرف على الأزهار . فإذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة المريضة ، فنقدة يكون مؤذياً أشبه بالعنكبوت الذي يترك آثاره السامة في الحديقة .

ونبادر فنقول : إن النقد الموضوعي قد لا يكون نقداً شاملًا لعناصر المقود من الناحيتين الجمالية ، والموضوعية . فقد يلقى النقد بذرة اهتمامه على زاوية من روايا العمل الأدبي . بأن يتناول محتواه ومضمونه ، أو يتناول البيئة التي نما فيها العمل الأدبي وازدهر ، أو ينظر إلى شخصية الكاتب التي أثّرت هذا العمل . أو بمعنى آخر . قد يكون النقد داخلياً ، أو خارجيًّا . حسب اتجاه الناقد ومذهبة النافي . وتناول هذه الروايا يدخل في النطاق الموضوعي إذا ظهر إخلاص الناقد في نقاده ، وإذا وضع نصب عينيه النص الذي يفسره أو يقدره أو يحكم عليه ، في حياد وبلا إسراف .

فكل نقد مخلص شريف متصل بالنص . سواء ألقى أصواته جانبيه . أو أصواته غامرة على النص . هو نقد موضوعي ما دامت غايتها خدمة الأدب ، ولفت الأبصار إلى الموهوبين .

وإذا أبحنا للناقد الاهتمام بزاوية نقدية . أو منطقة نقدية محدودة

يتناولها فليس معنى هذا أنه يتخذ منها وحدتها المعيار النهائي لحكمه ، بل إن اهتمامه ينبغي أن يتحول إلى العناصر الأخرى ، والنظر إليها نظرة كلية وإلا خرج على الموضوعية .

فالناقد الذي يصب كل اهتمامه على الناحية الجمالية ، دون أي اعتبار للمضمون ، فيرفع العمل الأدبي أو يهوى به إلى الحضيض بالنظر إلى جماليته ، يجانف بعمله هذا ، سبيل الموضوعية ونظيره هذا الناقد الذي يغrom بعضهمون في العمل الأدبي يتواهم مع هواه فيرفعه إلى القمة ، دون نظر إلى جمال أدائه ، فمثل هذا الناقد يجانب الموضوعية ، ولا يصل إلا إلى حكم أبتر على العمل المتفوّد .

النقد الأدبي عند العرب

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلًا ، وكان هناً يسير ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه^(١) ، عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم^(٢) .

وُجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة^(٣) وفي حكومة أم جندب بين أمراء القيس وعلقمة^(٤) ، وحكومة النابغة بين الشعراء ، « وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتشنده أشعارها »^(٥) ، وفي حكم ربيعة بن حذار الأسدى على الزيرقان والمخلب السعدي وعبدة بن الطيب وعمرو بن الأهم^(٦) . ووُجد في نقد الشعراء للشعر : فامرؤ القيس يمر بكمب وأخويه الغضبان والقعقاع فأشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تهتلي عليكم ناراً جودة شعركم فسموا بني النار^(٧) ، ويقول النابغة : اشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحكه رديئه^(٨) ، وسمى كعب الغنوبي كعب الأمثال

(١) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٢) ص ٢٥ المرجع .

(٣) راجع ٢٧٩ ج ٢ العقد .

(٤) راجع ١٢٨ ج ٧ الأغاني ، وقد نقد الراافي هذه الحكومة ورأى أنها جائرة (٢٢٤ - ٢٢٥) ج ٣ أداب العرب للراافي . وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤) الأدب العربي في العصر الجاهلي (ويرتات باحث في هذه القصة ، ويرى أن أمرأ القيس غير مقصري ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن يذكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر أمرأ القيس (٢١) و ٢٢ تاريخ النقد عند العرب) .

(٥) ١٢٢ الشعر والشعراء .

(٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٧) ٧٠ من المؤتلف للأمدي .

(٨) ٢٥٦ سر الفصاحة لأبن سنان ، ٥٠ و ٥٧ : ١ العدة .

لكررة ما في شعره^(١) منها ، وسمى طفيل الخيل لكررة وصفه إياها ، والشعر بن تولب «المحبر» لحسن شعره^(٢) ، وسموا قصيدة سويد ابن أبي كاهل «بسطت رابعة الخيل لنا» اليتيمة كما سموا بعد ذلك خطبة لسبحان الشوهاء لحسنها^(٣) ، ويقول زهير وبروئي لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس أمره القيس ثم طرفة نفسه^(٤) .. إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

(١) ٣٤١ معجم الشعراء .

(٢) ١٨٤ المؤتلف ، ١١٢ : ٢ العصدة .

(٣) ٢٢٥ : ١ وبيان والتبيين .

(٤) ٢٠ الجمهرة ، ٢٨٠ : ٢ العقد ، ويقول ابن عبد ربه :

وهذا - أي تفضيل شاعر وآنه أشعر الشعراء - مما لا يدرك غايتها ولا يوقف على حد منه ، والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع ، الا ما أتى ما هو أبدع منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٢٨١) ٣ العقد) .

النقد الادبي في القراء الاول

أخذ النقد في القراء الاول المجري يسير في طريق النصوح والوضوح مع القطرة الحالصة والذوق السالم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابية نقادة بفطريتهم وذوقهم ، فأبوا بكر يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قمراً^(١) ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده^(٢) وقدم زهيراً ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح سبب حكمته بأنه كان لا يعاظل في الكلام ، كان يتتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه^(٣) ، وكان يرى أنه أشعر الناس^(٤) ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكر ورون الشعراء وأيهم أشعر^(٥) ، وقال نوقد غطفان عن النابغة : إنه أشعر شعراً لهم^(٦) .. وكذلك علي بن أبي طالب كان يقدم امراً القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة^(٧) وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويشيد بذلك شاعرها في الحالية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

(١) ٧٨ : ١ العدة .

(٢) راجع : ٧٩ اعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ و ١ : ١ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢ : ٢ العدة .
البيان والتبيين ٢٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ العدة .

(٣) ١٢٥ الموارنة ، ٨٠ : ١ العدة ، ٢٢ جمهرة أشعار العرب ،
والمماطلة وتقسيرها في الموارنة وسر الفصاحة وفي ص ١٠٥ نقد الشعر .

(٤) ٣٧٩ : ٢ العقد وما بعدها .

(٥) ٢٢ جمهرة .

(٦) ٢٤ جمهرة .

(٧) ٢٧ و ٢٨ : ١ العدة .

وذكر امروُ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدكم
وصاحب لواهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ،
يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب لا وف الدین قدموا عليه من غطفان : من
الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب
قالوا : نابعة بنى ذبيان ، قال لهم : فمن الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على وجل تظن بي الفانون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابعة ، قال : هو أشعر شعرائكم ، ولا بدع فخر
كان يعرف قدر الشعر ويستمع لآراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس : من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال :
أموال كثيرة ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول :

إذا التاجر الهندي جاء بقارة
من المثلث راحت في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدته
سirضون إن شاطرهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس ، قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير
فأنشدته قوله في هرم ابن سنان حيث يقول :

القوم أبوهم سنان حيث تنسيهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لوكان يقعد فوق الشمس من كرم قعدوا
 القوم بألوهم أو مجدهم قعدوا

فقال له عمر : ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل
بيت رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت ؟
قال : أنا ابن هرم ابن سنان قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم ،
قال : أما إنه كان يقول فيكم فيحسن ، قال : كذلك كنا نعطيه
فنجزل ، قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطيكم .

وقيل للحظينة : من أشعر الناس ، فأنخرج لسانه وقال : هذا
إذا طمع .

وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب ، وأشعرهم أبو
ذؤيب ، وأمير شعره وغرة كلامه قصيدة التي أو لها : « أمن المدون
وربها تتوجع ^(١) ». .

وكان لعبد الملك مجالس يتناول فيها مع جلسائه نقد الشعر والشعراء
وهي كثيرة ^(٢) ، وحكم سليمان بن عبد الملك على جرير والفرزدق
والأخطل ^(٣) .

ولكثير من خلفاء بني أمية وخاصة عبد الملك أحكام نقدية على
الشعر والشعراء ومنازلهم الأدبية ، وهي كثيرة .

(١) ٨١ خاص الخاص للشعالي .

(٢) راجع مثلا ٣٠ : ٣ الأمالى ، ١٥٢ : ١ و ١٥٥ : ٢ ديوان المعانى

(٣) ١٨٩ الشعر والشعراء .

النقد الأدبي في القرن الثاني

بلغ النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري مرحلة من مراحل تطوره ، تناسب ما بلغه العرب في هذا العهد من نضج ثقافي وأدبي كبير .

كان الرواية كالأصمعي وخلف وحماد وأبي عبيدة بهمون : رواية الشعر وجمعه ، وكان خلف مكانة في النقد ، « وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يخرون مع خلف في حلبة هذه الصناعة — النقد — ولا يشقون له غباراً لتفاذه فيها وحلقه بها ، وإجادته لها »^(١) ، وكان يجمع كثيراً من الآداب^(٢) ، وكان عالماً بالغريب والتحو والتسب والأخبار شاعراً كثيراً الشعر جيده^(٣) ، وأصلاح الأصمعي رواية بيت من شعر جرير ، وقال : أروه كذلك فلقد كانت الرواية قد ياماً تصلح شعر الأوائل^(٤) ، وأعجب بقدر بشار للشعر^(٥) ، وعرض عليه مروان لاميته ففضلها على لامية الأعشى^(٦) ، وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس أمر القيس والنابغة وزهير^(٧) وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأنططر لأنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام^(٨) ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثره فتوهه وسعة تصرفه ولطيفه ، وكان يشبهه بالأعشى والنابغة ، ويشبهه مروان بزهير والخطيبه^(٩)

(١) ١٩٧ / ١ العدة .

(٢) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان .

(٣) ٣٠٨ الشعر والشعراء .

(٤) ١٣ / ٢ زهر .

(٥) ٤٣ / ٣ الأغاني .

(٦) ٤٠٢ / ٣ العقد .

(٧) ٤٤ الجمهرة .

(٨) ٤٦ المرجع .

(٩) ٣٥ / ٣ الأغاني

وكان يفضل بشاراً على مروان^(١) ، وكان يقول هو وأبو عبيدة : عدي في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها^(٢) ، وعاب بين يدي الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك ، بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود
لذكره السقيم^(٣) . وسئل المفضل عن الراعي وذى الرمة : أيهما
أشعر فصاح صيحة منكرة ، أي لا يقام ذو الرمة بالراعي^(٤) .

وكذلك كان الأدباء ينقدون الشعر بفطريتهم وذوقهم . كان بشار أجوادهم وأدقهم في نقد الشعر ومذهبه ، وكان أبو عبيدة يعجب من « فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقاده لأشعر »^(٥) ، وكان خلف يعجب من نقاده ومذهبه^(٦) ، وغضب بشار على سلم لشرقته معانه^(٧) ، وكان مروان يعرض شعره عليه^(٨) وكان أبو العتايبة يعتمد على معانى بشار^(٩) ، وكان أشجع يأخذ عنه ويعظمه^(١٠) وكان ابن الرومي يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر^(١١) ، وكان

(١) ٢٢٥ ، ٢٥١ الموضع .

(٢) ٢ / ١ الاغانى .

(٣) ٢٧٠ العدة .

(٤) ١٧٩ الموازنة . وكان ذو الرمة راوية للراعي ٢٠٧ طبقات ابن سلام .

(٥) ٢ / ٢ الاغانى .

(٦) راجع ٤٢ / ١ الاغانى ، ٢١٠ الدلائل ، ٧٥ الفتاح ، ١٧ الايضاح .

(٧) ٤٨ / ٢ الاغانى .

(٨) ٥٨ / ٢ الاغانى .

(٩) ١٢٤ : ٣ الاغانى .

(١٠) ١٢٧ / ٣ الاغانى .

(١١) ١٢ : زهر الأدب . وكان بشار يقدم جريحا على الفرزدق (١٢٩ طبقات ابن سلام) من حيث كان البختري يفضل الفرزدق (٢٤ صناعتين) ونقد بشار قول كثير « الا انما ليلى عصا خيزرانة » (٨٠ : ٢ الكامل) .

كثير من الشعراء يجرون بشاراً في هذا الميدان .. وكان أبو نواس بدعوته إلى ترك بده القصيدة بذكر الأطلال ناقداً خيراً بتأثير المفارقة في الشعر والأدب .

ولكن جهود علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا المحاھلین في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من المحاھلین إلا رأوا فيه رأياً ، ولا فتاً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد ورديٍّ . وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم في الشعر والشعراء ، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين . ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانیه وغير ذلك من الموضوعات .

وقد كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، كانوا بهما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليق لأحكام النقد والأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول النقد بعيدة عن الدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات فلفتحت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من اللكنة واللحن ، وأخذ أئمة العربية يعملون في صبر وعزيمة في وضع أصول النحو العربي ، وجمع مواد اللغة الغزيرة ، وصاحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تناول النقد ، كما تناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للنقد والبيان العربي ، وظل التقدم الفكري والنضوج الأدبي والعلمي يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة .

وكانت الثقافة النقدية البيانية تنمو في القرن الثاني بجهود طبقتين :

١ - الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين من أمثال : خلف والأصممي وأبي زيد وأبي عبيدة وبهبي

ابن نجم وابن كركرة ، وأساتذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب^(١) والערבية ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الباحثون دون النحوين واللغويين والأخباريين ، الذين لم يتوجهوا هذا الاتجاه^(٢) وبخوار هؤلاء الأئمة الشعراء^(٣) وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تثقفوا بالثقافة العربية .

٢ - والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الباحثون قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم ، والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً^(٤) ، ورأى الباحثون البصر بهذا الجواهر من الكلام فيهم أعم^(٥) ، وحكم مذهبهم في النقد^(٦) ، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رأهم الباحثون فوق أكثر الخطباء وأبلغ من البلغاء^(٧) وكان بعضهم من عناصر عربية وثقفوا بثقافة أجنبية ، والآخرون من عناصر أجنبية تثقفت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره في فهم أصول البيان وفي توجيه دراسته وبخوره وفي الدعوة إلى آراء في الأدب توافقهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلقن مذاهبه الأدبية العامة للتلميذ وشدة الأدب ، كما نرى في محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلي م ٢١٠ هـ في أصول البلاغة^(٨) ،

(١) ٢٠٩ : ١ البيان .

(٢) ٢٢٤ : ٣ البيان .

(٣) راجع ٥٤ : ١ البيان .

(٤) ١٠٥ : ١ البيان .

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان .

(٦) ٢٤٠ : ١ البيان .

(٧) ١٠٦ : ١ البيان .

(٨) ١٠٤ : ١ وما بعدها البيان ، ١٢٨ وما بعدها صناعتين .

والتي يقول الجاحظ عنها إن بشرأ مر بابراهيم بن جبلة بن محرمة (١) وهو يعلم الفتىان الخطابة فوقف بشر فطن إبراهيم أنه وقف ليستفيد فقال بشر : اضرروا عما قال صفحأ ثم دفع إليهم صحيفه من تجبيه وتنميقه في أصول البلاغة وعناصر البيان (٢) . ومن رجال هذه الطبقه : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٣) وابن المفعع وسهل ابن هرون (٤) والحسن والفضل (٥) ابنا سهل ، ويحيى البرمكي وأخوه (٦) جعفر . وأحمد بن يوسف وعمرو ابن معدة وابن الزيات .

(١) يعدد الجاحظ من الخطباء الشعراء ٥٥ : ١ البيان .

(٢) ولبشر كتاب في نظم كليلة ودمنة (٥٨ ابن المفعع لمدرم) .

(٣) ١٥١ : ١ البيان .

(٤) كان سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة (١٤٤ : ١ البيان . ٣ العقد) . ٢٢

(٥) ذكر الحصري كثيرا من بلاغته (١٦ - ١٩ : ٢ زهر) .

(٦) فوه الجاحظ ببلاغته (٨٥ و ٩١ : ١ البيان ، ٨١ : ٢ زهر الآداب) وكان يؤثر الإيجاز (٨١ : ١ البيان ، ١٧٧ : ١ الكامل لل McBride) ، ونحوه به سهل بن هارون (١١ : ٢ زهر) .

النقد الأدبي في القرن الثالث

(١)

أخذ النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم : كابن سلام (م ٤٢٣) ، والجاحظ (٤٢٥) ، وابن قتيبة (٤٢٧) ، وابن المدبر (٤٢٩) ، والمرد (٤٢٨) وثعلب (٤٢٩) ، وابن المعتر (٤٢٩) وسواهم من الأدباء ، وعلماء اللغة وأصحاب الثقافات الحديثة ، وغيرهم من الذين خاضوا في أصول الموازنات والبلاغة وموازين النقد .

(أ) فمن الأدباء النقاد : أبو تمام (٤٢١) ، ووصيته للبحري حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة ، وأصل من أصوله الأولى^(١) ، وله آراء أخرى في النقد مفرقة في شئ المصادر^(٢) ومنهم ابن المعتر^(٣) وسواه .

وتميل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدهما وخاصة شعر أبي تمام والبحري ، ولعلي بن أحمد المنجم رسالة في العباس بن الأحنف والعتابي والموازنات بينهما^(٤)

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة .

(١) راجع الوصيية في : ١٥١ : ١ زهر ، ٢/٢٠٩ العemma . ١٦٠ حدائق الافراح للبيهقي ط ١٢٠ هـ ، المطالعة التجريبية .

(٢) راجع مثلاً ص ١٩٢ طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتر .

(٣) ويدرك مندور أن ابن المعتر تأثر أرسطو في كتابه البديع ٤٤ - ٤٧ النقد المنهجي للذور .

(٤) ٩٤ - ٩٢ : ٤ زهر ، وهي في الموضع ٢٩٢ و ٢٩٣ منسوبة لابي احمد يحيى بن علي المنجم .

١ - أما ابن سلام فبصري راوية عالم بالشعر مؤلف في نقاده ، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري والثالث الأول من القرن الثالث ، ودرس وثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين^(١) وقد أدرجها في بعض وطبعا من عهد قريب باسم ، طبقات الشعراء ، والمقدمة المطبوعة في أوله هي مقدمة كتاب طبقات الإسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : « ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام »^(٢) .

وكتابه أول مؤلف في النقد^(٣) كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله كتب أخرى في موضوع كتابه نفسه ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتهائه ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المرأة وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر ، جاعلاً في كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر ، والكتاب من مصادر ثقافتنا الأدبية في النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضروري في دراسة النقد وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخيه أبو خليفة الفضل بن الحباب الحمسي ٤٣٠هـ ، والذي يشيد الحصري بأدبه وببلاغته^(٤) .

(١) ١٦٥ فهرست .

(٢) ص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣) ١٠٨ : ٢ زيدان ، ٧٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٤) ٢٥٢ ج ٣ نهر .

٤ - وأما الجاحظ فعلم من أعلام الأدب والنقد والبيان، وفي كتابه «البيان» وسواء من مؤلفاته ثروة كبيرة في النقد الأدبي، فتجده يخلل في دقة وتفصيل مذهب الطمع والصنعة في الشعر^(١) ويشير إلى سرقات أدبية^(٢) وموازنات أدبية^(٣)، ويستجيد بعض آثار للشعراء فيقول مثلاً: وكان أبو حية أشعر الناس لقوله الخ^(٤)، ويقول: ومن جيد محمد أشعارهم الخ^(٥)، ويقول: ومن جيد الشعر قول جرير الخ^(٦) ويشي على أبي نواس وشعره وخرمياته^(٧)، ويرى أنه ليس هناك مولد إلا وبشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبي نواس^(٨) وأبو نواس عنده أشعر الناس في قوله: «كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمراً»^(٩) ورأى أن بيبي عنترة «وخلال الذباب بها الخ» من المعاني العقلي^(١٠)، ومثله قول أبي نواس «قرارتها كسرى الخ»^(١١) وينقد أبي العتاهية ذاهباً إلى^(١٢) أن شعره أملس المتون ليس له عيون الخ،

(١) ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ ج ١ ، ٢١ - ٢٦ ج ٢٠ البيان والتبيين .

(٢) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ ج ١ البيان .

(٣) ٢٤٣ ج ١ البيان .

(٤) ١٦٦ ج ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٢ البيان .

(٥) ١٧٥ ج ٣ البيان .

(٦) ١٢٢ ج ٢ البيان ، وتجد شرحاً لبيبي جرير اللذين ذكرهما الجاحظ في هذا الموضوع في ص ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٧) ٤٢ ج ٤ العقد الفريد .

(٨) ٩١ ج ١ العمدة .

(٩) ١٨٥ ج ٤ زهر .

(١٠) ١٨٤ ج ٢ البيان .

(١١) ١٦٦ ج ٢ زهر وراجع شرح البيت في العمدة ٢٧٥ ج ١ وكذلك ذهب المبرد في الروضة في بيت أبي نواس ، وتفذهما ابن الأثير في ذهابهما إلى أن بيت أبي نواس من المعاني المبتكرة . ورأى أنه من المعاني المعتادة وإن فصاحة هذا الشعر هي الموصوفة لا هذا المعنى (١٢٢ المثل المسائر) .

(١٢) ٥٢ ج ٣ زهر .

ويعجب بقوله « رواح الجنة في الشاب » إعجاباً كبيراً ^(١) ويندكر حوار إبراهيم بن عبد الله لأبيه في شعر كثير ^(٢) ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى « وبات على النار الندي والمحلق » حتى قال الخطيب :

عَمَتِي تَأْنِه تَعْشُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجْدِي خَيْرَ نَارِ عَنْهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ

فسقط بيت الأعشى^(٣) ، وينقد الكمبيت لقوله في رسول الله :
لِجَبْتُكَ لِلْلَّهُسَانِ وَلِسُوَّ أَكْثَرَ فِيْكَ الْجَمَاجُ وَالصَّبْحُ

كما ينقده لقوله في رثائه :
لقد غيروا حزماً وعزماً ونائلة
عشية وأرأاه الصفيح المنصب

لأنه يصلح في عامة الناس^(٤) ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد في البيت الأول آل الرسول لا الرسول فروي عنهم بذكر الشيء خوفاً من بني أمية^(٥) ويدرك مناهج الرواية^(٦) وتعصب أبي عمر وابن العلاء على الإسلاميين^(٧) وأن الرواية كانوا^(٨) يحرضون على نسيب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسيب الأعراب فعنوا به وذهبوا في نسيب العباس ، والباحث ينكر علو المتصحّبين على الشعراء المحدثين ، ويرى أنه لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد من كان ، وفي أي

^{١)} ٢٨ ج ٢ الاغانى ، ٢٦٦ ج ٢ عصر المؤمن .

١٤٦ ج ٣ البيان

٣٦ جزء ٢ البيان

٤) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٥ الحيوان ط ١٩٤٢ ، ١٤٥ ج ٢
العمدة .

(٥) ٢٠ الموارنة و ١٢٦ ج ٢ العدة .

٦) ٢٤٤ ج ٣ البيان و ٤ و ٥ الكشف عن مساريء المثلثي .

(٧) ج ١ البيان .

٢٢٤ ج ٣ البيان

زمان كان ^(١) .. إلى غير ذلك من شئ آرائه في النقد .

٣ - وأما ابن قتيبة فهو عالم ملم بالثقافات في عصره ، مجدد في الفكر ولكن مع ذلك محافظ كل المحافظة في الأدب ، يعني على الأدباء انصرا فهم إلى المتنق وشغفهم به عما سواه من علوم الدين واللغة ^(٢) ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين في نظم القصيدة ^(٣) ولكن مع ذلك لا يتعصب للقديم ولا للمحدث تعصباً أعمى ولكن يعطي كلّاً حقه من العدالة والإنصاف وكتاب «الشعر والشعراء» وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره وللطمع والصنعة فيه وللخصوصية بين القدماء والمحدثين ، ولدواعى الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر .

والكتاب مظهر ثقافة واسعة ^(٤) ، واطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض نحو مائة وستين شاعراً من المحاهلين والمخضرمين والإسلاميين وصلور المحدثين ، وقد عني في دراسته لهم بيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد في شعرهم وسر قائم وما يستجاذ لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقو إليه من معان ، وسرد الشعراء سرداً دون ترتيب لطبقاتهم أو لهم بحسب عصورهم يعكس ابن سلام ، وقد أهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها ^(٥) وتكلم عن بعض النساء الشاغرات كالخنساء ^(٦) وليلي

(١) ٤٠ ج ٢ الحيوان وذلك مما يردده ابن المعتز الذي حث عدالة الحكومة الأدبية وحث لا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا (١٢ و ١٤ رسائل ابن المعتز) . وكذلك رأى ابن قتيبة (٧ و ٨ الشعر والشعراء) ، وابن رشيق (٧٤ ج ٢ العدة) .

(٢) ص ٢ أدب الكاتب .

(٣) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء .

(٤) راجع مثلاً شرحه للمشكل من شعر أبي نواس (٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٣٢٥ الشعر والشعراء) وسوى ذلك .

(٥) راجع رأيه في عدى وأمية بن أبي الصلت وأبي دؤاد (٦٢ و ٦٩ و ١٧٦ الشعر والشعراء) ، ١٧ ج ٢ الأغاني مثلاً .

(٦) ١٢٢ للشعر والشعراء .

الأخيلية ^(١) ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة ^(٢) ، ويعنى بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

(ج) وأما طبقة علماء اللغة فأثرهم في النقد واضح جليل يتجلّ في آرائهم وكتبهم .

وكان هؤلاء كلامهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميل المتوفى ٢٤٠ هـ وابن السكريت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستاني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل الرياشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ ، والبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ ^(٣) . وأظهرهم أثراً في ذلك البرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد .

وأهم ما في الكامل للبرد دراسته للتشبيه وعرضه لكثير من شواهده ^(٤) وهذا الباب كله نقد أدبي جيد ، ويدرك البرد كثيراً من السرقات الأدبية في كتابه ، ويدرك الكثير من آراء القديم في النقد والموازنة ، ويشيد بابن منذر ومرثيته « كل حي لافي الحمام فمودي ^(٥) والبرد لا ينحصب لقديم على محدث » ، ويرى أنه « ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهضم المصيب ولكن يعطي كلاماً يستحق » ^(٦) ، ولذلك ضمن كتابه كثيراً من شعر المحدثين . وعقد

(١) ١٧٠ المرجع .

(٢) راجع مثلاً : ٢٢١ و ٢٢٢ المرجع .

(٣) ينقد ابن الرومي الاخفش لعدم خبرته بالنقد ، وذلك في أبياته :
قلت لمن قال لي : عرضت على الاخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه على مين العمى اذا انتقدته
ما قال شعراً ولا رواه فلا تعلمك كان لا ، ولا اسد
فان يقل انتي رويت فكالدة ترجهلا بكل ما اعتقده

(٤) الكامل ص ٢٥ - ١٠١ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٢٨٨ ج ٢ .

(٦) الكامل ص ١٨ ج ١ .

بابين لأشعارهم خاصة (١)، ورأى أنها أشكل بالعصر (٢)، وبروي
شعرأ لأبي تمام ويقول : « وليس بناقصه حظه من الصواب إنه
محدث » (٣) وذكر مكانة النساء ولily الأخيلية في الشعر (٤) ونقد
قول الشاعر :

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرق بدم الوتين^(٥)

وإجماع النقاد على نقد قول نصيـب :

أهيم بعده ما حييت وإن أمت أوكل بعده من يهم بها بعدي ^(١)
 ويذكر مجد آل حسان وابن أبي حفصة في الشعر ^(٢) ، كما
 يذكر بعض المعاني الجديدة في شعر أبي نواس ^(٣) ، ويعيب ^(٤) قوله :
 كيف لا يدنيك من أمسلي من رسول الله من نفريه
 ويذكر وجهاً لشخريجه .

وعلى أي حال فنفافة اللغويين في النقد كانت قليلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء النقد^(١٠) ، وسئل البحيري عن مسلم وأبي نوaman أيهما

١) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وص ٢٢٢ - ٢٦١ ج ١ .

٢٢٣ ج ١) الكامل

(٣) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وللمبرد مناقشة أدبية بينه وبين ابن درستويه حول معنى لابي تمام (زهر الآداب ص ٢٢٩ و ٢٤٠ ج ٢) .

٤) الكامل ص ٢٧٩ ج ٢

١٧٧ ص ١ ج ٧٧ (٥) الكامل

(٦) المرجع نفسه ص ١٠٦ ج ١ ، ويذكر الجاحظ أن صالح بن نيمان قال : أحمق الشعراة الذي قال : «أهيم بدد - البيت» (البيان ص ٢٢١٧ ج ٢)

٧) الكامل ص ١٥٤ ج ١

٨) الكامل ص ٩٤ ج ٢

٩) الكامل ص ٤٣ و ٤٤ ج ١

(١٠) راجع كلمة الجاحظ في ذلك في جن ٢ و ج ٥ الكشف عن مساوئه
شعر المتنبي .

أشعر فقال : مسلم لأنك يتصرف في كل فن ، فقيل له إن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من عالم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ^(١) . وقال البحري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس ^(٢) ليقرأ عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبي عباس كم هذا فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً له ورأيته يستجيد شيئاً وما هو بأفضل الشعر ^(٣) .

(٤) وفي هذا القرن نشأت طبقة المفكرين والملقين الذين تثقفوا بثقافات أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بآداب الأمم الأخرى ، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية ، أو ألفوا كتاباً تبحث في هذه الإتجاهات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلامية ، وأثروا في النقد والأدب والبيان ودراسته وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ويمكننا أن نذكر شيئاً عن مجدهم هذه الطبقة في خدمة البيان .

أهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة هو ترجمة كتاب الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية ، فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها وقد « أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٥٢٩٨ » ، وكذلك نقله لإبراهيم بن عبد الله وفسره الفارابي م ٣٢٩ ^(٤) وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكوفي م ٢٥٣ هـ ، وترجمه إسحاق أيضاً ^(٥) ، ونقله يحيى بن عدي ومني بن يونس في القرن الرابع من

(١) دلائل الاعجاز ص ١٩٥ ، والكشف ص ٥ ، واعجاز القرآن ١٠١ ، والعدمة ٩ ج ٢ .

(٢) لعله يريد ثعلباً ، وابو العباس بن المبرد وشعلب .

(٣) الدلائل ص ١٩٥ .

(٤) ٣٤٩ فهرست الدكتور ابراهيم سلامة حوله كتابان : خطابة أرسطو ، وبلغة أرسطو بين العرب واليونان .

(٥) راجع ٢٥٠ الفهرست لابن النديم .

السريانية إلى العربية ^(١) . وقد ألغوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر ^(٢) ، ولأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً ^(٣) ، وكذلك لأبي هفان ^(٤) . وهناك آراء مأثورة عن هذه الطبقة في النقد وفي البلاغة وفي شئ كتب الأدب ومصادره ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرَا بثقافة اليونان في الأدب والنقد والبيان ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتاباته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ، ويذكر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوفق ذوقه ، ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ^(٥) .

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البلاغة العربية ^(٦) ويرى آخر أن أرساطو المعلم الأول لل المسلمين في علم البيان ^(٧) وأن الكتاب والتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا

(١) ٢٤٩ و ٢٥٠ فهرست ، ونجد تحليلاً كاملاً للكتاب في (٦٤ - ١٢٦) قواعد النقد الأدبي) وهو لم يصل إلينا كاملاً وليس من شك في أن الكتاب جزءاً ثانياً قد فقد (٦٨ المراجع) وتکاد نجزم بأن أرساطو أراد بكتابه هذا أن يكون ردًا على أفلاطون في رأيه الذي ذهب إليه ، وهو أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري وأنه من أشد بواتعث الفساد (٧١ المراجع) ، ويقول أرساطو في أوله : ساتكلم هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع وفي البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » (٧٩ المراجع) وترجمة ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر) - وهو ترجمتان رديكتان (١٢ فن الأدب - المحاكاة لسهيير القلماوي) ومن ترجمة متن ابن يونس العربية لكتاب الشعر نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة ، ومن ترجمات كتاب الشعر الحديثة : ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وترجمة احسان عباس، وترجمة حلف الله وعاطف سلام وقد نشرت ترجمة متن لكتاب الشعر محققة ٠

(٢) ٢٥٩ فهرست ٠

(٣) ١٩٨ فهرست ٠

(٤) ٢٠٧ فهرست ٠

(٥) ٢٠ المثل السائر ٠

(٦) ٢٧٧ ج ١ ضحى الاسلام ٠

(٧) ٣١ مقدمة نقد النثر ٠

في البيان وتطوره جلهم أعلام (١) وأن متكلمي المعتزلة بتضليلهم من الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي ، وأنه حتى متتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان في دور الطفولة وكان خصباً جاماً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربي بحث ويوناني يجهز بالأحد عن أرسطو (٢) حتى العربي البحث تأثر باليونان (٣) . ويقرر أن عبد القاهر حين وضع في القرن الخامس كتابه « أسرار البلاغة » لم يكن إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه (٤) .

ترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث . وجاء فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينفع به وطبقه على الشعر العربي ولا سيما القسم الخاص بالأسلوب ، وكان يجهل كتاب الشعر فترجم المأساة بالمدح والمهزلة وبالهجاء (٥) . وقد درس قدامه الفلسفة وخاصة المنطق . على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة (٦) ويعتمد أن المشتغلين بالفلسفة اليونانية اشتراكوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البلاغة العربية واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتأليف فيها ، وأن للفرس وما ترجم من قواعد

(١) ٦ المرجع .

(٢) ٨ مقدمة نقد النثر

(٣) ١١ المرجع .

(٤) ١٤ المرجع .

(٥) و (٦) ٧ المرجع .

بلاعثهم أثراً ما في البلاغة العربية ^(١) ، كما يؤيده أبو هلال في الصناعتين وديوان المعاني .

وفي غالب الفتن أن في البلاغة العربية عناصر ثلاثة : عنصراً عربياً وعنصراً فارسياً وعنصراً يونانياً ، ولا شك أن البلاغة العربية حينما بدأ واضعوها في تدوينها قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة في هذا التدوين إلى حد كبير .

ومن عجب أن يزعم زاعم أن أرسطو كان أباً للنقد في الآداب الأوروبية ، وفي الأدب العربي كذلك ^(٢) ، فذلك هو الخطأ الذي ليس بعده خطأ .

(٢)

وإذا كان أبو تمام قد شغل التقاض طول القرن الثالث والرابع الهجري حتى ألقوا في سرقاته ونقده ، وصنف فيه الصولي م ٣٣٦ هـ « أخبار أبي تمام » فاقصدأ بيان فضل الطائي ^(٣) . ووازن الآمدي م ٣٧١ هـ بينه وبين البحترى مع ميل إلى البحترى وتقديم له ، وللحاتمي م ٣٨٨ هـ مناظرة بينه وبين أعرابي متبعباً للبحترى والحاتمي لأبي تمام ^(٤) .

فإن أول من كتب في نقده هو ابن المعتز ، فألف في رسالته في مخاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزباني جزءاً منها إن لم يكن ما أتبته في كتابه هو كل الرسالة ؛ وقد نشرناها في كتابنا « رسائل ابن

(١) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فتحولها إلى اللسان العربي الخ .

(٢) راجع ١٧٤ المدخل في النقد الأدبي لهلال .

(٣) ٦ أخبار أبي تمام .

(٤) ٢٠ - ٢٧ / زهر الآداب .

المعتر^(١) ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتر فيما عاب فيه أبا
تمام^(٢) ، وللامدي كتاب في الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا
تمام^(٣) .

(٣)

ومن أهم القادة في القرن الثالث : الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ) ،
وهو عبدالله بن محمد أبو العباس (ابن شرشر الأنباري البغدادي) ،
كان من كبار القادة في القرن الثالث وقد توفي في مصر وكان قد هاجر
إليها وأقام فيها^(٤) آخر حياته .

وكان شاعراً كذلك في عدد الشعراء المجيدين ، كما يذكره ابن
خلكان في وفيات الأعيان وابن المعتر في طبقات الشعراء ، وغيرهما .

ويذكر ابن رشيق كتاباً له عنوانه « تفضيل الشعر »^(٥) ، ويذكر
أبو حيان التوحيدي كتاباً له بعنوان « نقد الشعر »^(٦) .

(١) ٣٠٧ - ٣١٩ الموضع ، ١٩ - ٢١ رسائل ابن المعتر .

(٢) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ / ٦ معجم الأدباء نشر مرجليلوث .

(٣) ٨٦ معجم الأدباء نشر رفاعي .

(٤) ٤١٧ - ٤١٨ طبقات الشعراء لابن المعتر - ٢١٧ الفهرست لابن
النديم - ٩٢ / ١٠ تاريخ بغداد - ٢ / ٢٧٧ وفيات الأعيان - ٨٥ مراقب
النحوين ١٠١ / ١١ البداية والنهاية - ٥٧ / ٦ المنظم - ٦١ / ٢ أبو الفداء
- ٥٨ - ٥٩ / ٣ النجوم الزاهرة - ١٢٨ / ٢ أنباه الرواية - ١ / ١٤٠ -
حسن المحاصرة ٢ / ١ العمدة لابن رشيق (محبي الدين عبد الحميد) -
وكان الناشيء معتزلياً متكلماً .

اما الناشيء الاصغر فهو أبو الحسن علي بن عبد الله (٢٧١ - ٣٦٥)
- ١ / ٢٢٢ يتنمية الدهر - ٢٢٦ الفهرست لابن النديم - ٣ / ٥١ وفيات .

(٥) ٢٠١ / ١ العمدة - تحقيق محبي الدين عبد الحميد .

(٦) البصائر والذخائر ٢ / ٢٧٢ و ٦١٩ - دمشق .

ويروي أن له قصيدة في فنون العلم والكلام في أربعة آلاف بيت^(١) ويروي له ابن رشيق قصيدين في نقد الشعر^(٢).

ويقول التوحيدى عنه : ما أصبت أحداً تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشيء المتكلم ، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره^(٣).

ويتحدث إحسان عباس عن الناشيء في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب »^(٤) ، وكتب عنه الدكتور يوسف حسين بكار مقالة في مجلة الأديب اللبناني^(٥).

وعلى الجملة فإن تراث الناشيء النقدي لا يزال مجهولاً لم يكشف عنه بعد .

(١) ١٠١ / ١١ البداية والنهاية .

(٢) ٢ / ١١٣ ، العمدة ٢ / ١١٥ أيضاً .

(٣) ٢ / ١١٧ البصائر والذخائر التوحيدى .

(٤) راجع ص ٦٦ من الكتاب .

(٥) عدد يونيو ١٩٧٤ .

النقد في القرن الرابع الهجري

اتجه علماء الأدب في مشرق هذا القرن إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلی انتقلت بهم إلى البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البيان نفسه

ونقاد الأدب والشعر في القرن الرابع فريقان كتب ونقد ووازن وحكم متأثراً بذوقه الأدبي وطبعه العربي وثقافته الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى التي جرت جداول إلى يم الثقافة الإسلامية الصميمية المتداقة ، ومن هؤلاء الحاتمي ٣٨٣هـ « صاحب الرسالة الحاتمية » في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف والحسن بن بشر الأمدي ٣٧١هـ صاحب الموازنة بين الطائفين ، وعلى ابن عبد العزيز البحرياني ٣٩٢هـ صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وابن وكيع ٣٩٣هـ صاحب « المنصف » في سرقات المتنبي وأبو بكر الباقلاني ٤٠٣هـ مؤلف « إعجاز القرآن » وقبلهم أبو بكر الصولي ٣٣٦هـ صاحب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصفهاني ٣٥٦هـ مؤلف كتاب « الأغاني » . وفريق آخر كتب بروح أدبي هذب فكرته ووسعـتـ أفقـهـ الثقـافـاتـ الأـخـرـيـ التيـ هـضـمـهاـ القرـنـ الـرـابـعـ وأحـالـهاـ غـذـاءـ عـقـلـياـ لـكـلـ مـنـ توـسـعـ فـيـ الـدـرـاسـةـ وـالـبـحـثـ العـمـيقـ ،ـ وـمـنـ هـذـاـ الـفـرـيقـ :ـ جـعـفـرـ بـنـ قـدـامـةـ وـقـدـامـةـ بـنـ جـعـفـرـ ٣٣٧ـهـ صـاحـبـ (ـ نـقـدـ الشـعـرـ)ـ وـأـبـنـ الـعـمـيـدـ ٣٦٠ـهـ وـالـصـاحـبـ اـبـنـ عـبـادـ ٣٨٥ـهـ صـاحـبـ رسـالـةـ «ـ الـكـشـفـ عـنـ مـسـاوـيـ شـعـرـ المـتـنـبـيـ »ـ وـأـبـوـ هـلـانـ الـعـسـكـريـ ٣٩٥ـهـ صـاحـبـ (ـ الصـنـاعـتـيـنـ)ـ وـ (ـ دـيـوانـ الـمـعـانـيـ)ـ وـ هـذـاـ الـفـرـيقـ الـأـخـرـ

يختلف نقده قوة وضفأً بحسب تمكن الطبع العربي من نفوس رجاله وأعلامه وتنافوت منازلهم في الإجاده والإحسان بتفاوتهم في الذوق الأدبي الذي يعتقد به في الحكومات الأدبية العادلة. ودعنا من نقدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبي في نفوسهم ، من : النحويين علماء اللغة ، والمعنويين رجال العقل والفلسفة ، الذين جاء حكمهم بعيداً عن الذوق المطبوع والفطرة السليمة. والذين نقدتهم الجرجاني في (وساطته) نقداً لاذعاً، وطرح آراءهم في النقد والبيان فلم يعتقد بها ولم يعرها نصيباً من البحث والمناقشة اللهم إلا حيث أراد أن يبرر موقفه منهم فذكر بعض أخطائهم في النقد لتكون حجة له في هذا الإهمال .

ولا شك أن ظهور قدامه في أول هذا القرن ، ورجوعه إلى البيان اليوناني وما فيه من موازين للنقد و منهاج للبيان يلقي بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي ، جاعلاً لألوان الترف في الأداء التي تمس الفكره وتسبغ على المعنى حظاً كبيراً في النقد ، كان تطوراً جديداً في بحوث النقد والبيان وكان عقل قدامه المنطقي يغلب ذوقه الأدبي ، فزل أحياناً في نقده من حيث قوم ذوق ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي هلال العسكري أحكم عقوتهم في النقد والحكومة الأدبية ، وإن تبعوا منهج قدامه ، وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضحه في كتابه « نقد الشعر » والذي يرجع إلى البحث في عناصر الشعر الأساسية من : اللفظ والوزن والقافية والمعنى .

و جاء الآمدي فوضع نظرية عمود الشعر في النقد ونقد قدامه في كثير من آرائه ، بل ألف كتاباً بين فيه أخطاءه في نقد الشعر ، وأهداه إلى ابن العميد ^(١) وبالرغم من ذلك كله فقد تأثر كرهاً ببعض آراء قدامه ، تأثر به في فهم عناصر ميزان النقد الأدبي التي حللها حين نقد أبي تمام والبحري فيما يتصل باللفظ وسلامته والمعنى وصحته والغرض

(١) ٢ / ٥٨ معجم الأدباء لياقوت - نشر فريد رفاعي .

واستقامته والأسلوب ومواءمته للأسلوب العربي في الأداء والوزن ، وملاءمته لموسيقى الشعر وأوزانه . وتأثر به في تنسيق بخوته وموضوعاته عارضاً للموضوعات التي أثارها ابن المعتر وقدامة ، كبحوثه في الجناس والطباق والإستعارة والتقسيم ، مديلاً برأيه مع رجوعه إلى العربية وحدها في المناقشة والنقد والحكم .

و جاء بعد الآمدي الصاحب بن عباد فسار على ضوء أستاذة ابن العميد في فهم النقد وعناصره وأصوله . ثم جاء القاضي الهرجاني فوضع منهجاً متميزاً في النقد .

ومن ثم نجد أن النقد الأدبي في القرن الرابع :

- ١ - قد استحال إلى علم له أصوله وقواعديه ومبادئه .
- ٢ - كثرت المؤلفات فيه إلى حد كبير .
- ٣ - كانت الموازنات الأدبية أظهر فروع النقد في هذا القرن ، وأشهرها الموازنة الآمدي .
- ٤ - كثر النقاد في هذا القرن وتعددت آراؤهم في النقد .
- ٥ - كانت مشكلات النقد تثار غالباً عند الحديث عن متزلسة شاعر أو الموازنة بين شاعر وآخر .
- ٦ - تطور النقد فبحث في إعجاز القرآن وأسراره ، ثم أخذ يتحدث عن أصول البيان العربي . حتى استحال بعد ذلك إلى علم البلاغة الذي وضع أصوله عبد القاهر الهرجاني في كتابيه : الأسرار والدلائل ..

قدامة بن جعفر

(١)

ولد قدامة في البصرة نحو عام ٢٦٠ هـ أو عام ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد العباسي .

وقرأ وتعلم وثقف على والده وعلى المبرد وغيره - واجتهد وبرع في البلاغة والمحاجب ، وقرأ صدراً صالحاً من المتعلق وهو لائح على ديباجة تصانيفه واشتهر بالبلاغة ونقد الشعر والكتابة .

عاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر العباسي ، وأدرك مطلع حكم آل بويه ، وتولى مجلس الزمام لآل الفرات .

وألف كتباً كثيرة منها : نقد الشعر ، وكتاب السياسة ، وكتاب الخراج (ثمانية منازل وأضاف إليه متزلاً تاسعاً) ، وكتاب الرد على ابن المعتر فيما عاب به أبي تمام ، وكتاب صناعة الجدل ، وكتاب زاد المسافر ، وكتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وغيرها .

وتوفي في بغداد في خلافة المطیع العباسي عام ٢٢٧ هـ .

ظهر قدامة بن جعفر في هذا القرن (٢٦٠ هـ أو ٢٧٦ - ٣٣٧ هـ) فكان له آثار كبيرة في النقد .

وكان قدامة أحد البلاء الفصحاء وال فلاسفة الفضلاء ^(١) والنقاد الأعلام ، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته .

فصل قدامة في « نقد الشعر » مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري . ونجد أثر أرسطو واصحاحاً عند قدامة في كلامه على الصفات الفضائية التي جعلها أمهات الفضائل وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها ^(٢) .

ويرى قدامة أن الرثاء كال مدح في وقوعه بهذه الصفات ^(٣) ، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها ^(٤) ، وهذا وغيره أثر لثقافة قدامة المقلية التي تزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما ترکب منها ^(٥) .

ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر

(١) ٢٠٣ - ٢٠٥ : ٦ معجم الأدباء لباقوت . ١٨٨ الفهرست . وراجع تاريخ بغداد ٢٤ : ٢ كشف الظفون .

(٢) ٢٩ - ٤١ نقد الشعر بتحقيق « منون » .

(٣) ٥٩ نقد الشعر ١٢٦ الصناعتين .

(٤) ٥٥ نقد الشعر . ويقول عبد الصمد بن المعدل ٢٢٠ هـ : الشعر كله في ثلاثة لفظات ، فإذا مدحت قلت أنت : وإذا هجوت قلت لست : وإذا رشيت قلت : كنت ١٠٢ : ١ العمدة) . وهذا أساس نظرية قدامة . وسار عليها أبو هلال وابن رشيق .

(٥) راجع نقد الشعر ص ١٢ . ومثل ذلك في العمدة ص ٩٩ ج ١ .

في نظم الشعر ويرى أن أضداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم . ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذرأ من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على ضوء هذا النهج نفسه فيرى مواطن الجمال والعيب في شعر الشاعر سواء في الفاظه وأساليبه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما ترکب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والإحسان ؛ وهذا نهج عقلي واضح ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه ينطوي كثيراً .. وقد ألف الأمدي كتاباً في « تبيين غلط قدامة في نقد الشعر » وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه عام ٣٦٥ هـ ^(١) ، كما نقه كثير من علماء النقد الأدب في شئ العصور . فلابن رشيق كتاب « تزييف نقد قدامة ^(٢) » ولابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) كتاب « الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » ^(٣) ، ولعبد اللطيف البغدادي (- ٦٢٩ هـ) شرح قواعد الشعر لقدامة ^(٤) ، وسماه التكملة في شرح نقد قدامة » وله كتاب « كشف الظلمة عن قدامة ^(٥) » .

(٣)

ويقول أبو حيان ^(٦) - في أثناء كلامه على بلاءة النثر - ما نصه : « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجمع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المزيلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير :

(١) معجم الأدباء في ترجمة الأمدي ص ٥٨ ج ٢ ، وراجع ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح .

(٢) ص ٨٨ تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) .

(٣) ص ٤٩ كتاب تحرير التحبير .

(٤) ١٠ / ٢ / فوات الوفيات ط ١٢٨٣ هـ .

(٥) كشف الظلمون ٢ / عمود ١٩٧٢ .

(٦) ١٤٥ و ١٤٦ ج ٢ الامتناع والموانسة - طبع لجنة التأليف .

عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة ، وخبرته فوجده قد
بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة ، بما
لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار
المحبتي والمعيب المجبوب ، ولقد شاركه فيه الخليل بن أحمد في وضع
العروض ، ولكنني وجده هجين اللفظ ركيك البلاغة ، حتى كان ما
يصفه ليس ما يعرفه وકأن ما يدل به غير ما يدل عليه .. وهذا لا
يكون إلا من غزارة العلم وحسن التصور ». فأبُو حيَان على لسانه
حيَناً ، وعلى لسان ابن عيسى الوزير حيناً آخر يقرر :

- ١ - أن قدامة بد سابقيه في وصف النثر وفنون البلاغة من طريق
اللفظ والمعنى في المنزلة الثالثة من كتابه .
- ٢ - أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتکاره ليحوله يضارع الخليل بن
أحمد في سمو مكانته وابتکاره لعلم العروض .
- ٣ - أن كتابه هذا عرض على علي بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠ هـ .
- ٤ - أن أسلوب قدامة في كتابه هجين اللفظ ركيك البلاغة في
وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه في ذلك رائع ممتع دال على مدى
مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين ، ولكن ما هو هذا الكتاب
الذى استحق هذا التقدير والإعجاب من رجلين يعدان من أعظم رجال
الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وإذاً فليس « نقد النثر » هو
الكتاب الذى عناه أبو حيَان والوزير .

ولعله كتاب آخر - ولا شك - غير « نقد النثر » الذي لا يمت
إلى قدامة بصلة ، وغير نقد الشعر ، الثابت النسبة إليه والذي نقدر
الآمدي وشرحه عبد اللطيف بن يوسف .. وقدامة له - غير « نقد

الشعر - كتاب في صنعة الكتابة» ^(١) وهو غير «نقد النثر» ، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر ، وجعله مؤلفاً آخر سواه ^(٢) ، وإن كان قد نسبه إلى قدامة ، ويدرك صاحب كشف الظنون أن قدامة كتاباً اسمه «سر البلاغة في الكتابة» ^(٣) ، وكذلك يدرك اليزدادي في كمال البلاغة أن قدامة تأليفاً في الكتابة (ص ١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذاً أن يكون التوحيدى وعلي بن عيسى الوزير قد قصدوا كتاباً من هذين الكتابين : صنعة الكتابة وسر البلاغة ، وقد يكون هذان الإسمان عنواناً لكتاب واحد لقدامة في بلاغة الكتابة ، وعلى أي حال فالذى نراه ونجزئ به أن نقد النثر لا يمت إلى أحد الكتابين بصلة ، وليس هو أيضاً من مؤلفات قدامة في البيان ، وما يؤيد ذلك وصف اليزدادي لكتاب قدامة ، وأنه «فصل مستخرجة من رسائل الكتاب الخ» (١٦ و ١٩ كمال البلاغة) .

ولقدامة «كتاب الخراج وصناعة الكتابة» وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبلي بالآستانة ، وقد استخرج دي غويه نبذةً منها وطبعها تحت عنوان «كتاب الخراج» وهذه النبذة هي الأبواب : الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المزيلة الخامسة ، والبابان السادس والسابع من المزيلة السادسة وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله : «وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة» رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً ، ويقول المطرزي - في كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريري - مخطوطة المتحف البريطاني : «وله تصانيف كثيرة منها كتاب الألفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء . وقيل هو لوالده جعفر . ومنها صناعة

(١) راجع ٢٠٢ ج ٢ كتاب الأدب العربي لجورجي زيدان .

(٢) راجع ١٧٣ ج ٢ نفس المرجع .

(٣) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون .

الكتابة ظهرت به وعُرِّفت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على تسع منازل ، كل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلاغة ؛ وقال ابن الجوزي في المتنظم في حوادث سنة ٣٣٧ هـ موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة » .

كتاب نقد الشعر

(1)

أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) عالم ناقد بصري مشهور ألف كتاباً سماه «نقد الشعر» طارت شهرته في كل مكان. وصار أصلاً، بجميع الدراسات النقدية عن الشعر (١).

وقد عرّف قدامة الشعر بأنه قول موزون مقفي يدل على معنى ،
وذكر أن الشعر قد يكون جيداً أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه
صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى ^(١)

ويقول عن منهجه في نقده للشعر : إنه يذكر صفات الشعر التي
بلغه غاية الجودة ، فإن وجد بضد هذا الحال كان شعراً في غاية
الرداة وإنما فهو بين طرق الجودة والرداة بحسب مدى قربه من أي
الطرفين أو توسطه بينهما .

ويقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلّم منها فيما
أحب ، إذ كانت المعاني للشعر متزلة المادة الموضوعة ، والشعر منها
كالصورة ، والمهم بلوغ الشاعر متزلة الجودة ، لا كتابته في معان
ردية .

(١) لشهرة نقد الشعر ألف الأمدي م ٢٧١ ه كتابا في تبيين غلط قدامة في كتابه نقد الشعر (ص ١٢٥ الموازنة للأمدي طبعة صبيح ، ومعجم الأدباء في ترجمة الأمدي) - وألف عبد اللطيف البغدادي « ٦٢٩ ه » كتابا في شرح نقد الشعر لقدامة « ٧ ج ٢ فوات الوفيات » ، ولعبد اللطيف البغدادي هذا كتاب اسمه قوانين البلاغة ، واختصر كتاب الصناعيين العسكري (٧ و ٨: ٢ فوات الوفيات) ، ويروي مؤلف كشف الظنون لعبد اللطيف بن يوسف « البغدادي » هذا كتابا اسمه « تكملة الصلة في شرح نقد الشعر لقدامة » (٢٤٦ : ١ كشف الظنون) وكتابا آخر اسمه كشف الظلمة عن قدامة « ٤٠٠ : ٢ كشف الظنون » .

^{٢)} ص ١٢ نقد الشعر شرح « منون » .

ويقرر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ويتألف من هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي :

١ - ائتلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن .

٢ - ائتلاف المعنى مع الوزن أو القافية .

أما صفات اللفظ الجيد عنده فهي : سماحة اللفظ - سهولة مخارج الحروف - الخلو من البشاعة - الفصاحة .

وأما صفات الوزن الجيد فهي : سهولة العروض - الترصيع .

وأما صفات القوافي الجيدة فهي : عنونة حروف القافية - سهولة عرجمها - التصريح في المطلع .

وأما صفات المعنى الجيد عنده فهي : الوفاء بالغرض المقصود ، أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الإلتصاق على الحد الوسط ويقول : إنه عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قد ياماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم : أعزب الشعر أكذبه ، وكذلك ذهب فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم ، والغلو من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعدوم ، فالمراد به المثل وبلغ النهاية في النعت ، ولما كانت المعاني عند قدامة لانهاية لها فقد عدد نووت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ .

فنتع مدح الجيد عنده هو : الصدق - ويقسم الفضائل الإنسانية إلى أربع : العفة والشجاعة والمعدل والعقل ، ويقول : إن المدح المصيب يكون بهذه الصفات أو ببعضها وإن كان ذلك يعد قصوراً ، وقد يصف الشاعر المدحدين ببلغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والبالغة .. والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته ضد صفات المدح ،

ويقرر أنه ليس بين المرئية والمدححة فرق إلا في اللفظ دون المعنى ، فإذا صابة المعنى به ومواجهة غرضه هي أن يجري الأمر فيه على سبيل المديح .. ثم يذكر نعوت التشبيه الجيد ، والوصف الجيد ، والغزل الجيد .

ويقول : إن هذه هي نعوت أغراض الشعر التي تختتمها الشعراة من المعاني وهذه الأغراض بالنسبة للمعاني جزء من كل ، فاما ما يعم جميع المعاني من نعوت الشعر فهي : صحة التقسيم – صحة المقابلة – صحة التفسير – التسميم – المبالغة – التكافؤ – الإنفات – الإستغراب والطرافة .

ثم يذكر قدامة نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى من : مساواة ، وإرداد ، وإشارة ، وتخيل ، ومطابق ومحانس .

ويعدد نعوت ائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية [من ترشيح وإيغال] .

ويذكر عيوب الشعر في اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ، وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية ، وهي كلها بعكس ما سبق أن قرره في صفات الجودة .

(٢)

والكتاب في غاية الأهمية في بابه ، وقد تأثر فيه قدامة بكتاب [فن الشعر] لأرسطو تأثراً واضحاً .

هل أن قدامة ينافق نفسه حين يذهب إلى أن الشاعر يجب ألا

يُمْحِي أحَدًا إِلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ^(١) ، ثُمَّ يَذَكُّرُ أَنَّ الشَّاعِرَ الْمَجُودَ فِي الْمَدْحِ
هُوَ مِنْ يَجْمِعُ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلْمَمْدُوحِ .. وَحِينَ يَرَى قَدَامَهُ
أَنَّ الْمَبَالَغَةَ أَجْوَدُ يَعُودُ فِيْقِيَدَهَا بِمَنْهَاجِ الْعَرَبِ وَمَالُوْفَهُمْ^(٢) ، ثُمَّ يَقِيَدُهَا
بِالْأَنْتَرِجَ إِلَى جَدِ الْمُتَنَعِّ الَّذِي لَا يَكُونُ^(٣) .

وَقَدَامَةُ مَعَ تَفْضِيلِهِ لِلْمَبَالَغَةِ يَرَى أَنَّ كَثِيرًا فِي قَوْلِهِ لِعِيدِ الْمَلَكِ :
« أَلِي الْعَاصِي دَلَاصَ حَصِينَةٌ » الْخَ أَجْوَدُ مِنَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ :
« كَتَتِ الْمَقْدِمُ غَيْرُ لَابْنِ جَنَّةِ الْخِ » ، وَقَدَامَةُ مُخْطَىءٌ هُنَا لِأَنَّ الْعَرَبَ
قَدْ تَصَفَّ الرَّجُلُ بِالشَّجَاعَةِ ، وَقَدْ تَصَفَّهُ بِالْإِحْتَرَاسِ وَلِبَسِ الدَّرَوْعِ ،
وَذَلِكَ مِنْهَاجُانِ مِنْ مَنْهَاجِ الْعَرَبِ فِي الْمَدْحِ^(٤) .

وَقَدَامَةُ يَحْكُمُ عَقْلَهُ الْمُنْطَقِيَّ فِي النَّقْدِ إِلَى أَبْعَدِ حَدٍ ، فَيَجْعَلُ الْمَدْحَ
الْجَيْدَ بِذَكْرِ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَيَعِيبُ الْمَدْحَ إِذَا كَانَ بِشَرْفِ
الْأَبَاءِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَدْحَأً بِفَضَائِلِ^(٥) ، وَيَجْعَلُ الْمَجَاهِيَّ بِنَفْيِ أَنَّ يَكُونَ
الرَّجُلُ شَرِيفُ الْحَسْبِ مَعِيَّاً ، وَيَقْرَرُ أَنَّهُ ضَدِ الْمَدْحَ ، وَيَجْعَلُ الْمَرْثِيَّةَ هِيَ
الْمَدْحَ مَعَ جَعْلِ الْأَسْلُوبِ مَاضِيًّا وَذَلِكَ كُلُّهُ خَطَأً مَا بَعْدَهُ مِنْ خَطَأٍ .

وَقَدَامَةُ يَجْعَلُ طَرَافَةَ الْمَعْنَى وَإِخْتِرَاعَهُ لَيْسَ نَعْمَانًا لِلشِّعْرِ بَلْ لِلشَّاهِرِ^(٦)
وَذَلِكَ بَيْنَ الْخَطَأَيْنِ .

وَقَدَامَةُ يَسْتَجِيدُ أَبْيَاتًا وَيَعِيبُ أَبْيَاتًا أُخْرَى دُونَ ذُوقِ أَدْبَى مَصْقُولٍ
وَمِنْ مَثَلِ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ يَجْعَلُ تَنَاقْصًا مَعِيَّا فِي بَيْتِ ابْنِ هَرْمَةَ :

(١) ص ٢٨ نَقْدُ الشِّعْرِ .

(٢) ص ٢٧ سَطْر ١٠ - ١٢ .

(٣) ص ١٢٥ سَطْر ١٢ - ١٥ .

(٤) ص ٢٢٨ - ٢٢١ الْوَسَاطَةُ .

(٥) ص ١١١ و ١١٢ نَقْدُ الشِّعْرِ .

(٦) ص ٨٨ و ٨٩ الْمَرْجَعُ .

تراء إذا ما أبصر الضيف كلبه : يكلمه من حبه وهو أعمى
لقوله « يكلمه » و « أعمى » ^(١)

ونراه يعيّب البيت :

كانت بنو غالب لأمتهما كالغيث في بكل ساعة يكفي
لأنه كما يقول : ليس في المعهود أن يكفي الغيث كل ساعة أى
يمطر ^(٢) .

و كذلك يثبت التناقض في قول زهير ^(٣) :

قف بالديار التي لم يغفها القدم بلي وغيرها الأرواح والديم

(٣)

على أن قدامة في كتابه يضع منهاجاً نقداً لنقد الشعر ، متأثراً فيه بالثقافتين العربية الأصلية ، والفلسفية اليونانية ، ونوح قدامة في نقد الشعر نقد عقلي ، فقد صور المثل الأعلى للشعر وما يجب أن يكون عليه وذلك ببيان عناصر للشعر والأوصاف الجميلة لكل عنصر ، ثم قال إن هذا المثل الأعلى يرشدنا أولاً وبالذات إلى معرفة جيد الشعر ، وثانياً وبالتالي إلى معرفة رديئة الذي هو ضد الجيد منه ، وثالثاً معرفة درجة الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداة .

ولقد اطلع قدامة على الأدب العربي وعلى آراء الفلاسفة في نقد الشعر وشرع للأدب العربي قوانين جديدة لنقاده على ضوء ما قرأ في النقد اليوناني والعربي ، ولكنه كان متأثراً في ذلك بعقله المنطقي أكثر

(١) ١٢٣ نقد الشعر .

(٢) ص ١٢٦ المراجع .

(٣) ص ١٢٤ المراجع .

من تأثيره بمناهج النقاد العرب كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم من الذين حكموا النزق الأدبي وحده ونهج العربي في الأسلوب دون سواه .. قدامة حكيم عقله ، وثقافته اليونانية فيما ذكر من موازين النقد فأسرف وأحال .

على أن هذا النهج الذي نهجه قدامة كان أكبر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، وحسبك أن ثلاثة من النقاد العرب احتذوا قدامة ونهجه في النقد احتذاء كاملاً ، وأو لهم هو أبو هلال العسكري [٣٩٥ هـ] في كتابه « الصناعتين » وثانيهما ابن رشيق [٤٥٦ هـ] في كتابه « العمدة » ، وثالثهما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » وقد تأثر علماء البلاغة تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسكاككي وسواهم .

ويمتاز قدامة في كتابه بالمنهجية العقلية والعلمية ويتغير الشواهد والمثل .

كتاب نقد الشعر لقدامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر لإمامه

[مقدمة المؤلف لكتابه]

(قال أبو الفرج قدامة بن جعفر) :
العلم بالشعر ينقسم أقساماً :
قسم يناسب إلى علم عروضه ووزنه .
وسم يناسب إلى علم قوافيه ومقاطعه .
وسم يناسب إلى علم غريبه ولغته .
وسم يناسب إلى علم معانيه والمقصد به .
وسم يناسب إلى علم جيده ورديه .

وقد عنى الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع
عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع
وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما
الذي يريد بها الشاعر .

ولم أجده أحداً وضع ^(١) في « نقد الشعر » وتخليص جيده من رديه
كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم ^(٢) أولى بالشعر من سائر
الأقسام المعدودة ، لأن علم الغريب والنحو وأغراض المعاني تحتاج إليه
في أصل الكلام للشعر والثر ، وليس هو بأحدهما أولى بالآخر ،
وعلما ^(٣) الوزن والقوافي وإن خصا بالشعر وحده فليست الضرورة

(١) أي الف .

(٢) وهو نقد الشعر .

(٣) الاصح : وعلمي بالعطف « على علم » سابقاً .

داعية إليهما لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم . وما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو من كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي ، ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسداً أو أكثره ؛ ثم ما نرى أيضاً من استغفاء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه إلى هذا الوقت فإن من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يغول في شعر إذا أراد قوله إلا على ذوقه دون الرجوع إليه فلا يتزكى عند الذي يعلمه صحة ذوق ما تزاحف منه بأن يعرض عليه ، فكان هذا العلم مما يقال فيه إن الجهل به غير ضائز وما كانت هذه حالة فليست تدعوه إليه ضرورة .

فأما علم جيد الشعر من رديته فإن الناس ينبطون في ذلك من شدة تفتقهوا في العلوم ، فقليلًا ما يصيرون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أحسن بالشعر من سائر الأسباب الأخرى وأن الناس قد قصرروا في وضع كتاب ^(١) فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع فأقول :

(١) هذا يشير إلى أن كتاب قدامة هذا هو أول مؤلف في نقد الشعر كما يرى قدامة .

الفَصْلُ الْأُولُ

إن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر ^(١) معرفة حد ^(٢) الشعر الجائز عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه : إنه قول موزون مقصى يدل على معنى قولهنا « قول » دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا « موزون » يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا « مقصى » فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف و بين ما لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا « يدل على معنى » يفصل ما جرى من القول على قافية و وزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنته وما تعذر عليه .

فإذ قد تبين أن ذلك كذلك ، وأن الشعر هو ما قدمناه ، فليس من الإضطرار إذاً أن يكون ما هذه سبile جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً ، بل يحتمل أن يتعاقبه (٢) الأمران (٤) مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق ، فحيثئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتميزه من الرديء .

ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرقان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده ^(٥) بينهما تسمى الوسائل ، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجدود ، فإن كان

(١) وهو بيان وجه الحاجة الى معرفة كل من الجيد والرديء ، أو بيان ان من الشعر ما هو جيد ومنه ما هو رديء .

۲) ای ماهیتہ ۔

• (۳) ای پتداولہ ۔

٤) الجودة والرداة .

٥) عطف على « طرفة » .

معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقاً تام الحدق ، فإن قصر عن ذلك نُزُل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها ، إذ كان الشعر أيضاً جارياً على سبيلسائر الصناعات ، مقصوداً فيه وفي ما يحاك ويُؤلف منه إلى غاية التجويد ، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته . فإذا قد صبح أن هذا على ما قلناه فاندكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة ، وهو الغرض الذي ت نحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات ، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة وأذكُر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها . ليكون ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلامن الحال المذمومة بأسرها يسمى شعراً في غاية الجودة ، وما يوجد بقصد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة ، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسماً ^(١) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه : صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء ، فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن تحد بسلب الطرفين ، كما يقال مثلاً في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد إنه لا حار ولا بارد ، والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض إنه لا حلو ولا حامض .

وما يجب تقدمته وتروطيده قبل ما أريد أن أتكلّم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلّم منها في ما أحب وآثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى – كان –

(١) الأصح : اسم على بناء « ينزل » للمفعول .

من الرفة والضعة ، والرفث والتراءة ، والبذخ والقناعة ، والمدح ^(١) وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة ، أن يتونخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة .

وما يجب تقاديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدين أو كلمتين ، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يندهم بعد ذلك ذمأ حسناً ، بينما غير منكر عليه . ولا عيب من فعله . إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته . واقتداره عليها .

وإنما قدمت هذين المعينين ^(٢) لما وجدت قوماً يعيون الشعر إذا سلك الشاعر هذين المسلكين ^(٣) : فلاني رأيت من يعيب أمراً القيس في قوله :

فَمِثْلُكِ حُبَّلَ قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعَ
فَأَهْيَنْتُهَا عَنْ ذِي تَعَاصِمٍ مُحْوَلَ ^(٤)
إِذَا مَا بَكَى مَنْ خَلَفَهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
بِشَقٍّ وَنَحْنُ شِقُّهَا لَمْ يَحُولَ

ويذكر أن هذا معنى فاحش . وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيي جودة التجارة في الخشب مشلاً رداءته في ذاته .

و كذلك رأيت من يعيي هذا الشاعر أيضاً ^(٥) في سلوكه للمذهب الثاني ^(٦) الذي قدمته ، حيث استعمله باقتدار وقرة ، وتصرف فيه إحساناً وحذافة . وذلك قوله في موضع :

(١) الاصح : والمدح والهجاء .

(٢) وما : ان المعاني كلها معرضة للشاعر ، وان مناقضة الشاعر نفسه أمر غير منكر .

(٣) بأن جعل المعاني فيه كلها معرضة للشاعر أو تاقض الشاعر نفسه في كلمتين أو قصيدين .

(٤) الطروق : الاتيان ليلاً . المرضع : هي التي لها ولد رضيع . محول : أتى عليه حول .

(٥) وهو أمر القيس .

(٦) وهو مناقضة الشاعر نفسه في كلمتين .

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنِي مَعِيشَةً
كَفَانِي وَلَمْ أَطْلَبْ قَلِيلٌ مِّنَ الْمَالِ
وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْثَلَ أَمْثَالِي^(١)

وقوله في موضع آخر :

فَتَمَلَّا بَيْتَنَا أَقِطَّا وَسَمَّنَا وَحَسِبُكَ مِنْ غَنِيٍّ شَيْعٌ وَرِيٌّ^(٢)

فإن من عابه زعم أنه من قبيل الماقضة ، حيث وصف نفسه في موضع بسم الهمة وقلة الرضى بدنيء المعيشة ، وأطربى في موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشعبه وريه .

وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا ضع^(٣) ليكون في ما احتاج به بعد التطريق^(٤) من يؤثر النظر في هذا العلم^(٥) [طريق] إلى التمهر فيه ، فأقول :

إنه لو تصفح أولاً قول امرىء القيس حق تصفحه لم يوجد معنى ناقص معنى ، فالمعنيان في الشعرين متفقان ، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تقض ما في الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الإتساع في المعانى التي لا تتناقض ، وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي وَلَمْ أَطْلَبْ قَلِيلٌ مِّنَ الْمَالِ

وهذا موافق لقوله :

وَحَسِبُكَ مِنْ غَنِيٍّ شَيْعٌ وَرِيٌّ

(١) مؤثر : ثابت .

(٢) الاقط : اللبن الخاثر أو هو لون من الجبن .

(٣) وهو الثاني (أي الماقضة) .

(٤) طرق له تطريقاً اتخذ له وعبد له طريقاً .

(٥) وهو النقد .

ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقصة لشيء ، وهو ^(١) قوله :
 لكنني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أولئك ، فالمعنيان اللذان ينتجان
 عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرتين ، والزيادة في الشعر
 الأول التي دل بها على بعد همته ليست تتفض واحداً منها ، ولا تنسخه
 وأرى أن هذا العائب ظن أن أمراً القيس قال في أحد الشعرتين : إن
 القليل يكفيه ، وفي الآخر : إنه لا يكفيه .

وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ، ولا ذهب
 إليه ، ومع ذلك فهو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخططاً ، من أجل
 أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا يتضمن بعضه بعضاً ، ولا
 في معنى سلكه في الكلمة واحدة أيضاً لم يغير مجرى العيب ، لأن الشاعر
 ليس يوصف بأن يكون صادقاً . بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من
 المعاني كائناً ما كان أن يجعله في وقته الحاضر . لا أن ينسخ ما قاله في
 وقت آخر ، ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذنا في معنى ^(٢) لم يسبق
 إليه من يضع لمعانيه وفتوته المستنبطة أسماء تدل عليها ، احتجت أن
 أضع لما يظهر من ذلك أسماءً آخر عنتها ، وقد فعلت ذلك والأسماء
 لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات ، فإن قمع بما وضعته من هذه
 الأسماء وإلا فليخترع كل من ألبى ما وضعته منها ما أحب . فإنه ليس
 يُنْسَأَعُ في ذلك .

★ ★ ★

وإذ قدمت ما احتجت إلى تقادمه فأقول :

إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مغفياً يدل على معنى .
 وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي
 تحوزه ^(٣) عن غيره . كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه

(١) أي والزائد قوله .

(٢) وهو وضع ميزان دقيق للنقد .

(٣) تفصله .

كما يوجد في كل محدود معانٍ حده ، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت ، فحي بمعنى الحياة التي هي جنس الإنسان الموجود فيه ، وهو التحرك والحس ، وكل ذلك معنى النطق الذي هو فصله مما ليس بناطق موجود فيه ، وهو التخيل والذكر والتفكير ، ومعنى الموت الذي في حد الإنسان وهو قبول بطلان الحركة ، وكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه ، وهو حروف خارجية بالصوت ، متواطأً عليها ، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقوية ومعنى ما يدل عليه اللفظ ؛ فإن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده وما كان كل مجتمع وكل مؤلف من أمور ، فالأمور مؤلف من بعضها مع بعض ، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها ، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جارياً هذا المجرى ، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف إلى ذلك عدة الأسباب المفردات من غير تأليف ، فقد أني على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر فأقول :

إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة ، وهي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقوية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف ، إلا أنني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تألف ، فيحدث من انتلافها بعضها إلى بعض معانٍ يتكلم فيها ، ولم أجده للقاية مع واحد من سائر الأسباب الآخر انتلافاً ، إلا أنني نظرت فيها فوجدتها – من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه – انتلافاً مع سائر البيت فلما مع غيره فلا لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولما دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً ، والوزن شيء واقع على جمع لفظ الشعر الدال على المعنى ، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الآخر انتلاف القافية أيضاً . إذ كانت لا تسمو أنها لفظة

كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى ، فاما من جهة ما هي قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به اثلاف مع شيء آخر ، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره ، وليس أنها مقطع ذاتي لها . وإنما هي شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها ، وليس الترتيب أن لا يوجد للشيء تال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب في أنه لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها . فاما من جهة ما يدل عليه فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتالف ، إلا أنني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية ، وإن أراد مريد إلى أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتالف معه لم أضيقه ، فصار ما أحدث من أقسام اثلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض أربعة ، وهي :

اثلاف اللفظ مع المعنى .

واثلاف اللفظ مع الوزن .

واثلاف المعنى مع الوزن .

واثلاف المعنى مع القافية .

وصارت أجناس الشعر ثمانية ، وهي الأربع المفردات البساط التي يدل عليها حده ، والأربعة المؤلفات منها .

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يدح بها ، وأحوال بعاب من أجلها ، وجب أن يكون جيد ذلك ورديه لاحقين للشعر إذ كان ليس يخرج شيء منه عنها . فلنبدأ بذكر أوصاف الجودة في كل واحد منها ، ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان في نهاية الجودة وإذا لم يكن فيه شيء منها كان في نهاية الرداءة لا محالة ، إذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع التغوت أو العيوب التي تذكرها ،

ولما لم يكن كل شعر جامعاً جميع النعوت أو العيوب ، وجب أن تكون الوسائل التي بين المدح والذم تشمل على صفات محمودة وصفات مذمومة ، فما كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل ، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب ، وما تكافأ في النعوت والعيوب كان وسطاً بين المدح والذم . وتزيل ذلك إذا حصر ما في الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعد على من أعمل الفكر وأحسن سبَّاً الشعر ^(١) .

(١) سبَّ الجرح : نظر مامدي غوره وكل أمر رزته وجربته وخبرته فقد سبَّته .

الفَصْلُ الثَّانِي

فليبدأ من ذكر الأجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات ، وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك ، ونعوت سائر الأجناس ، ونجعل هذا الفصل مقصوراً على ذكر النعوت .

١ - نعوت اللفظ

أن يكون سمحأً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة ، مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلت من سائر النعوت للشعر ، منها أبيات من تشبيب قصيدة للحاجدة الذبياني وهي :

وتصدقَتْ حتى أستبَتَكَ بِواضِعٍ
وبيَقْلَتِي حوراء تَحْسِبُ طَرْفَهَا
وإذاً تَنَازَعْتَهُ الْحَدِيثَ رَأَيْتَهَا
كَفَرَيْضٍ سارِيَةً تَتَسَقَّهُ الصَّبَا
لَعْبَ السَّيُولُ بِهِ فَأَصْبَحَ مَاؤُهُ
فَسَمِّيَ وَيَخْلُكَ هَلْ عَلِمْتَ بِفَتْيَةٍ
بَكَرَوْا عَلَىٰ بَسْرَحَةٍ فَصَبَحَتُهُمْ
صَلَتْ كَسْتَصِبُ الغَرَالِ الْأَلْتَعِ (١)
وَسَنَانٌ حَرَةٌ مُسْتَهِلُ الدَّمْعِ (٢)
حَسَنٌ تَبَسَّمُهُ لِذِيَّدِ الْمَكْرَعِ (٣)
بِتَرْبِيلِ أَسْحَرٍ طَيْبٍ الْمُسْتَفْعِ (٤)
عَلَلٌ يُقْطَعُ فِي أَصْوَلِ الْخَرُوعِ (٥)
غَادِيْتُ لِذَيْهِمْ بَادِكَنَ مُتَرَعِّ (٦)
مِنْ عَاتِقِيْ كَدَمَ الْذَّبَّاعِ مُشَعْشِعٍ (٧)

(١) الواضح : الابيض اللسون اي يجيد واضح الصلات : الواضح استبتك : أسرتك . الالتع : الطويل العنق .

(٢) الحور : اشتداد بياض العين وسودادها . الطرف : العين . وسنان : نائم . حرة : خالصة . ومستهل : هاطل . الدمع : الدموع .

(٣) المكروع هو الفم .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلاً . اسحر : اسم مكان . الصبا : ريح الشمال وهي باردة .

(٥) الخروع كدرهم نبت لا يرعى .

(٦) سمي : اسم المحبوبة ادكنا : اي ابريق ادكنا اللون . متزع : معلوء .

(٧) العاتق : الخمر القديم . مشعشع : ممزوج .

ومن هذا الجنس قول محمد بن عبد الله السلامي :

ألا ربما هاجت لك الشوق عرصة
بها رسم أطلال وجُم خواص
وبيض تهادى في الرياط كأنها
تحرّين منا موعداً بعد رقبة
فجئن هدواء والثياب كأنها
طروقاً وأحلاناً الهوى نحو ربوة
فلما قضيّنا غصة من عتابنا
جرى بيننا ميناً رسيسٌ يزيدنا
قليلاً وكان الليل في ذلك ساعة
وولين منْ وجد بمثل الذي بنا
يُرجّن بكرأ يبهر الريط متنها

بمروان تمريها الرياح الزعاعز^(١)
عليهنَّ تبكي الماهافاتُ السواجع^(٢)
مَهَا ربوة طابت هنَّ المراتع^(٣)
بأعقرَ تعلوهُ الشروح الدَّوافع^(٤)
من الطل بلتها الراهم التواشع^(٥)
بها غفلتْ عنَّا العيونُ الخواجع^(٦)
وقد فاضَ منْ بعد العتاب المدامع^(٧)
سيقاماً إذاً ما استيقنه المسامع^(٨)
و فمن ومحروم منْ الصبح صادع^(٩)
وسالت على آثارهنَّ المدارع^(١٠)
كما مار ثعبان الفضا المدافع

(١) العرصة كل بقعة بين الدور ليس بها نبات . تمريها . تدرها .
الزعاعز : الرياح الشديدة الحركة . مروان : موضع .

(٢) الرسم : الاثر . الجثم : ما تلد في الأرض . الماهافات : هتف
الحمامات تهتف صاتت . السواجع : الحمامات ردت صوتها وجمعها سواجع .

(٣) وبيض أي ونساء بيض . الرياط : جمع مفرد ريط وهو اللاءة اذا
كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتين . المها : البقرة الوحشية . الربوة : ما
ارتفع من الأرض . المراتع جمع مرتع .

(٤) الرقبة : الانتظار . تحرّين : استوثقين . أعقر : الموضع من الرمل
لا ذات به .

(٥) الراهم : المطر الضعيف الدائم . التواشع : جمع ناشع من نشع
اذا امطر قطرة قطرة .

(٦) طروقاً : أي بليل .

(٧) غصة : جعل العتاب ومرارته كالغصة في الحلق .

(٨) الرسيس : أول الحب . السقم : المرض . استيقنه المسامع : علّمه
وتحقّقت .

(٩) صادع : مشرق .

(١٠) المدارع : نوع من الثياب الطويلة ودرع المرأة قميصها .

وَقُمْنَ إِلَى خُوصِ كَأْنَ عِيُونَهَا قَلَاتُ تَرَ اخْتِي مَأْوَهَا فَهُوَ نَاصِعٌ^(١)

وَمِنْهُ بِيَانِ لِشَمَاخٍ^(٢) يُذَكِّرْ نَهْيَنَ الْحَمَارِ :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرَ رَدَّاً كَأْنَهُ بِنَاجِدِهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحَهِ شَبَّيجٌ^(٣)
بَعْدَ مَدِي التَّطْرِيبِ أَوْلَى نَهَاقِهِ سَحِيلٌ^(٤) وَآخِرَ امْخَنْقِي الْمُحَشَّرَجَ^(٥)

وَمِنْهَا أُبَيَّاتٌ بِلِجَهَاءِ الْأَشْجَعِيِّ :

رَأَتْ فَوَادِكَ وَالرَّبُّوْعَ تَرَوْعَ^(٦)
قَطْرٌ وَمُسْبِلَةُ الْذَّيْوَلِ خَدَبِعٌ^(٧)
بِرِّ غَامِمَهُنَّ مَرْبَّةُ زَعْرَوْعَ^(٨)
يَسْفِي الصَّدَاعَ فَيَذْهَلُ الْمَرْفُوعُ^(٩)
جَدْعٌ تَطِيفُ بِهِ الرَّقَاهُ مَنْبِعٌ^(١٠)
أَشْلَاهُ لَهُنَّ مِنْ النَّيَاطِ خُصُوعٌ^(١١)
تِسْرٌ يُرْتَقُ قَدْ دَهَاهُ وَقَوْعَ^(١٢)
وَغَرْنٌ وَالْحَدَقَ الْكَنِينَ خَشَوعٌ

أَمْنَ الْجَمِيعَ بَنْيَ الْيَقَاعِ رُبُوعٌ
مِنْ بَعْدِ مَا بَلَّيْتَ وَغَيْرَ آيَهَا
جَوَالَهُ بِرْبِي الْمَلَأَ غَرَّلَهُ
يَا صَاحِبِي أَلَا ارْفَعَانِي إِنَّهُ
الْلَّوَاحُ نَاجِيَهُ كَأْنَ قَلِيلَهَا
تَنْجُو إِذَا نَجَدَتْ وَعَارَضَ أَوْبَهَا
فِي كُلِّ مَطْرِدِ الرَّفَاقِ كَأْنَهُ
عَرِينَ دَائِرَهُ الظَّاهِيرَهُ بَعْدَ مَا

(١) خوص : الخوص جمع أخوص والاخوص من غارت عينه فسي راسه . القلت : النقرة في الجبل . ناصع : خالص من كل شيء .

(٢) شاعر مخضديم بذوي مجيد .

(٣) رجع : رد . التعشير : نهيق الحمار عشرا . الناجذ : واحد النواجد وهي أقسى الأضراس وهي أربعة أو هي الانياط . شيج : شجي بالعظم اذا اعترض في حلقه .

(٤) المدى : الغالية . التطريب : ترجيع الصوت وتزيينه . أولى : أول . السحيل : النهاق .

(٥) الياق : المكان المرتفع .

(٦) آيَهَا : رسَمَهَا . القطر : مطر السحاب . مُسْبِلَةُ الْذَّيْوَلِ : أي سحابة طولية الحواشي . خديع : من خدعه أي ختله .

(٧) جوالة : طوفة . الرغام : التراب اللين . زعروع : كثيرة زعرعة الاشياء .

(٨) الناجية : الناقفة . الرقاة : جمع مفرده : راق .

(٩) لاج : ظهر . النياط . المفازة البعيدة الطرق .

بامقْ أَغْرِيَ يَلْتَقِي حَنَائِسُهُ
لِلرَّبِيعِ بَيْنَ فَرْوَعِهِ تَرْجِعُ
يَعْتَسِسُ مَتَزْلَهْنَ أَطْلَسُ جَائِعٍ
طَيَّانُ يَتَلَفِّ مَالَهُ وَيَضْبِعُ^(١)

وَمُثْلَهُ أَيْضًا^(٢) :

وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مِنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَلَمْ يَنْظُرْ لِلْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِعٌ^(٣)
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِّي الْأَبَاطِعُ^(٤)
وَلَا قَصَبَنَا مِنْ مِنِي كُلَّهُ حَاجَةٌ
وَشَدَّتْ عَلَى دُهْمِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا
خَدْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بِيَنَنَا

(١) اعتس طاف . الاطلس : الذئب في لونه غبرة الى السواد ، والمراد به الوجل القبيح . طيان : طاوی الايام بدون أكل .

(٢) الابيات لكثير عزة الشاعر الاموي المشهور .

(٣) دهم المهاري : سودها .

(٤) الاباطع : مفرده ابطاع وهو المسيل الواسع فيه دقيق الحصى .

٢ - نعمت الوند

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر
نعوت الشعر .. منها قصيدة حسان :

ما هاجَ حَسَانَ رُسُومُ الْمَقَامِ وَمَطْعَنُ الْحَيِّ وَمَبْتَى الْخَيْامِ ^(١)
وَالنَّؤْيَ قَدْ هَدَمَ أَعْصَادَهْ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِيَوَادِ تَهَامَ ^(٢)
قَدْ أَدْرَكَ الْوَأْشُونَ مَا أَمْلَوْا فَالْمُلْبِلُ مِنْ شَعَاءِ رَثُ الزَّمَامَ ^(٣)
كَأَنْ فَاهَا شَغَبٌ بَارِدٌ فِي رَصْفٍ نَحْتَ ظَلَالِ الْفَمَامَ ^(٤)

ومنها قصيدة طرفة :

مَنْ عَائِدِي الْلَّيْلَةِ أَمْ مِنْ نَصِيبٍ
بَانَتْ فَأْمَسِي قَلْبَهُ هَائِمًا
فِي سَلْفٍ أَرْعَنَ مُنْفَجِرٍ
بَيْتُ بَنْصِ فَقَوَادِي قَرْبَحٍ ^(٥)
قَدْ شَفَهَ وَجَدَ بِهَا مَا يَرِيْحٍ ^(٦)
يَقْدِمُ أُولَى ظَعَنَ كَالْطَّلَوْحٍ ^(٧)

(١) رُسُومٌ : جمع رسم وهو ما كان لاصقاً بالارض من آثار الديار .
مطعن : مصدر ميمي من ظعن أي سار ورحل . والحي : بطن من بطون
القبيلة والمراد به هنا القوم . ومبني الخيام: بناؤها أو مكان بنائهما واقامتها .

(٢) النَّؤْيَ الحفر حول الخباء لئلا يدخل ماء المطر . أَعْصَادَهْ : نواحيه .
تهام : تهامي نسبة إلى تهامة . وتهامة مكة وبلاط جنوب الحجاز .

(٣) رَثُ : خلق بالشعاء : محبوبته .

(٤) الشَّغَبُ : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماءه .
الرَّصْفُ : الحجارة المترافقه المدانية .

(٥) عَائِدِي : العائد : زائر المريض . قَرْبَحٍ بمعنى مفروج أي مجروح .

(٦) مَا يَرِيْحٍ : ما يتبعاً .

(٧) مُنْفَجِرٍ : متذبذب في سيره . يَقْدِمُ : يقدّم . طَلَوْحٌ : جمع مفرد طلح وهو شجر شبه الظعن به .

عاليٌّ رقماً فاخِرًا لونهُ منْ عَقْرِي كنْجِي الدَّبِيعُ^(١)

ومثله أبيات المنخل بن عبيد الشكري :

ولقد دخلتُ على الفتاة الخدرَ في اليوم المطير^(٢)
الكاعب الحسناء ترفلُ في الدُّمُقُسِ وفي الحرير^(٣)
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى القَطَّاءَ إِلَى الْغَدَيرِ^(٤)
وَعَطَقْتُهَا فَتَعْطَقَتْ كَعَطَافِ الْفَصْنِ النَّصِيرِ^(٥)
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَثَنَفَسِ الظَّبِيِّ الْغَرِيرِ^(٦)
وَلَقَدْ شَرِبَتْ مِنَ الدَّمِ مَةً بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ^(٧)
فَإِذَا سَكَرْتُ فَإِنِّي رَبُّ الْخُورُنَقِ وَالسَّدِيرِ^(٨)
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوَيْهِ وَالْبَعِيرِ^(٩)

ومثله أبيات كعب بن الأشرف اليهودي :

رُبُّ خالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتُهُ سَبَطَ الْمُشَيَّةِ أَبْيَاءَ أَنْفِ^(١٠)
لَيْنُ الْجَانِبِ فِي أَفْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ سُمُّ كَالَّرَعْفِ^(١١)

(١) عاليٌّ رقماً والرقم : ضرباً من الوشي فيها حمرة . فاخِرًا جيداً .
عيقر : بلدة الجن كما يزعم العرب وينسب اليها كل صنعة رائعة . النجيع :
الدم الطري . الذبيح : الذبائح .

(٢) المطير : اليوم الذي يمطر ساعة ويكتف أخرى .

(٣) الكاعب : ذات الثدي المكب . ترفل : تجر ذيلها . الدُّمُقُسِ :
الابريسم .

(٤) القدير جانب من المساء يغادرها السبيل .

(٥) عطفتها : أملتها . فتعطفت : مالت على الفصن . النصير :
الشديد الخضرة .

(٦) لثمتها : قبلتها . الغرير ولد الظبي الصغير . تنفست الصعداء
لوضععي من قلبها .

(٧) كنا به عن كثرة شرابه .

(٨) الخورونق : قصر للنعمان الأكبر . السدير : نهر بناحية الحيرة .

(٩) الشويهة : تصغير شاه .

(١٠) سبط : حسن .

(١١) الزعف : القاتل .

لنا بُرْ رَوَاء جَمَّةٌ تُخْرِجُ الشَّمْلَ كَأَمْتَالِ الْأَكْفَ (١)
وَصَرِيرٌ مِنْ مَسْجَالٍ خَلْتُهُ آخر الليل أهازبج تدف (٢)

★ ★ *

ومن نعوت الوزن التربيع ، وهو أن يتوخى فيه تصير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم ، فمما جاء في أشعار القدماء قول أمرىء القيس الكندي :

مِخْشٌ مَجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَتِيسٌ ظَبَاءُ الْخَلْبِ الْعَدْوَانِ (٣)

فأني بالفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد وبالثاليتين لهما شبيهتين بها في التصريف ، وربما كان السجع ليس في لفظة « ولكن » في لفظتين بالحرف نفسه كقوله :

الْصُّ الْفَرْوَنِ حَتَّى الْفَضْلَوْعِ تَبَعُ طَلَوْبٌ نَشِطٌ أَشَرُ (٤)

وقصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله :
وأَوْتَادُهُ مَادِيَّةٌ وَعَمَادُهُ رُدْبِيَّةٌ فِيهَا أَسْنَةٌ تَعْضُبُ
وقال زهير بن أبي سلمى :

(١) رَوَاءٌ : كثير مروء الشمل : المكر .

(٢) وَصَرِيرٌ : وَرَبْ صَرِيرٌ الْهَزْجُ : صوت مطرب فيه ترنم .

(٣) المِخْشُ : الْجَرِيَّ الْمَاضِيُّ مَجْشٌ : غَلِظُ الصَّوْتِ كَتِيسٌ : فَحْلُ الظَّبَاءِ الْخَلْبُ نَيْتَةٌ تَأْكِلُهَا الْوَحْشُ تَضْمُرُ عَلَيْهَا بَطْوَنَهَا الْعَدْوَانُ : الشَّدِيدُ الْجَرِيُّ وَأَمْرُ الْقَيْسِ هُوَ زَعِيمُ الشَّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَصَاحِبُ مَعْلَقَةِ « قَفَانِيْكَ » .

(٤) الصُّ الْفَرْوَنِ : ملتصقُ الاسنان بعضها ببعض حتى الفَضْلَوْع ظاهرها تبوع للصيد قوى عليه .

(٥) المَادِيَّةُ : قَبْلُ بِيَضَاءٍ وَقَبْلُ المَادِيِّ خَالِصُ الْحَدِيدِ وَجِيدَهُ أَسْنَةُ رَمَاحُ تَعْضُبُ : تَقْطَعُ .

كبداء مُقبلةٌ وركاء مدبرةٌ قوداء فيها إذا استعرضتها شخص

فأني بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان .. وقال أوس بن

حجر :

جشا حناجرها علمًا مشافرها نئن أولادها في دحىض إياضاح^(٢)

وقال طرفة :

بطيء إلى الداعي سريع إلى الخنا ذلول^{*} بإجماع الرجال ملهمد^(٣)

وقال عمرو بن أحمر الباهلي :

فمثلك الولى بالفؤاد وزار بالعداد وأضحى في الحياة وأسکرا^(٤)

وقال النمر بن تولب :

من صوب سارية علت بغدادية تنهل^{*} حتى يكاد الصبح ينجب^(٥)

وقال :

طويل^{*} الزراع قصير^{*} الكراع يواشك في السبب الأغبر^(٦)

وقال اللعين المنقري :

مكث^{*} إذا استرخى كيتش إذا انتحر على القرب الأقصى وشد^{*} له الإزار^(٧)

(١) الكبداء : المرأة الضخمة « الوسط » البطيئة السير . القوداء : الثنية العالية .

(٢) جشا حناجرها : غليظة شديدة . علمًا مشافرها : مشقوقة المشافر من أسفل .

(٣) بطيء : فعيل من البطيء . الداعي : المستغيث ، ويروى عن الجل و هو الامر العظيم . الخنا : الفحش . ذلول : فعول من الذل : ملهمد : مدفع . و طرفة هو الشاعر الجاهلي المشهور صاحب معلقة « لخولة أطلال » . فمثلك الولى بالفؤاد : أي مثلك يذهب به . وزار بالعداد : زيارتك معدودة .

(٤) الصوب : انصباب المطر . السارية : السحابة تسقط لپلا . علت استرجمت . الغادية : الآتية بالغداة . تنهل : تسقط . ينجب . ينكشف .

(٥) الكراع : الاطراف السفلية من الإنسان . يواشك : يقارب . المسبيب : المفازة او الارض المستوية البعيدة .

(٦) المكث : الوزين . الكيتش : السريع .

وقال الأسود بن يعفر :

هم الأسرة الدنيا وهم عدد الحصا
وإخواننا من آمنا وأينا

وقال أبو زيد الطائفي :

غير فاشٍ شتساً ولا مختلفٌ طعماً إذا
كان بالسديف السبيك^(١)

وقال الأفوه الأزدي :

سودٌ غدائرها بلجٌ محاجرُها
كأن أطراقها لما اخْتلى الطنف^(٢)

وقال العجير بن عبد الله السلوبي :

حَسَمَ الْفَرَّارَى مَرْسَلَةٌ مِنْ الْعَرَى
وَزَجَلَاتُ الرَّعْدِ فِي غَيْرِ صَعْقَى^(٣)

وقال سليمان بن سلامة :

إذا سهلت جنت وإن أحرنت مشت
وتعشى بها بين البطون وتصدف^(٤)

وقال الشماخ

رَعَيْنَ النَّدَى حَتَّى إِذَا وَقَدَّ الْحَصَى
وَلَمْ يَقِنْ مِنْ نَوْءِ السَّمَاكِ بُرُوقَ^(٥)

(١) السديف : شحم السنام . السبيك : مفرد جمعه سبائك وهو ما سبيك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه . وابو زيد شاعر مخضرم أجاد في وصف الأسد وتوفي عام ٤١ هـ .

(٢) الغدائر : الشعر الطويل بلج محاجرها : نقية مشرقة والمحاجر ما بدا من البرق أو ما يظهر من نقابها .

(٣) زجلات الرعد : أصوات الرعد : الصعق : محركة شدة الصوت .

(٤) سهلت : مشت في السهل . جنت : اسرعت . أحرنت : سارت في الجبال . البطون : الشقوق بين الجبال .

(٥) رعين : من المرعى . والمدى : المطر والمراد به ما أنبته مجاز مرسل وقد الحصى : اشتداد حرارته . النوء : في الاصل النجم ، والمراد به انقطاع المطر لأن العرب يضيقون المطر الى النجوم السماك : نجم وهو احد السماسكين . بُرُوق : جمع برق وهو الذي يلمع في الغيم .

وقال عبيد الراعي :

ضعافُ القوى ليسوا كمن يهتني العلى جعاصيسُ قصارون دون المكارم^(١)

وقال - أيضاً :

سودٌ معاصيها جعدٌ معاقصها قد مسّها من عقّيد القار تفصيل^(٢)

وقال بشامة بن عمرو بن الغدير :

هوانُ الحياة وخزى الممات وكلاءُ أراه طعاماً وبيلا^(٣)

وقالت ليل الأخيالية :

وقد كان مرهوبَ السنان وبينَ اللسان ومجذام السرى غير فائز^(٤)

وقال ناهض بن توبة الكلابي :

صخوب الصدى ظمأى القطا مرّة السري
ركماً ماؤها بين النعام الخراش^(٥)

وأكثُر الشعراء المصيّبين من القدماء والمحديثين قد غزوا هذا
المغزى^(٦) ، ورموا هذا المرمى وإنما يحسن إذا اتفق له
في البيت موضع يليق به ، فإنه ليس في كل موضع يحسن
ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا توافر واتصل

(١) المensus : القصير الدميم . والراعي شاعر أموي مشهور، توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) المعصم : موضع المسوار من اليد أو اليد . جعد معاقصها : أي قصيرة .

(٣) هوان الحياة : ذلها .

(٤) مرهوب السنان : ماضي السيف : بين اللسان ، فصيحه ، ومجذام السرى : قاطع السرى - والبيت في رثاء توبة الخفاجي (٦٧ هـ) - وقد عاشت ليلى حتى توفيت عام ٨٠ هـ - وهي اعلام الشعراء الامويين .

(٥) صخوب الصدى : شديدة

(٦) أي قصدوا هذا المنحى .

في الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمد وأبان عن تكليف . على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ، ووالى بين أبيات كثيرة منه . منهم أبو صخر المذلي فإنه أتى من ذلك بما يكاد لخوده أن يقال فيه إنه غير متكلف ، وهو قوله :

وذلك هيكلة خود مبتلة
عذب مقبلها جذل مخلخها
سود ذوائبها بيض ترائبها
عبد مقيدها حال مقلدها
سمح خلائقها درم مرافقها
كان معتقة في الدن مغلقة
شيبت بمرهبة من رأس مرقبة
خالط طعم ثيابها وريقتها

صفراء رعلة في منصب سم (١)
كالدعص أسفلها مخضودة القدم (٢)
محض ضرائبها صيفت على الكرم (٣)
بضن مجردها لقاء في عجم (٤)
يرُوي معايقها من بارد الشيم (٥)
صهباء مصفقة من رابي ردم
جرداء سليبة في حالت شسم
إذا يكون توالي النجم كالنظم (٦)

ومنهم أبو المثلث أنه قال :

لو كان للدهر مالٌ كان مثليه
لكان للدهر مالٌ صخر مالٌ فتیان (٧)

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة . والبترة من النساء الحسنة الخلق فلا تكون حسنة العين سمة الانف ولا بالعكس . رعلة ذات خلقان . منصب حسب . سم : عال .

(٢) عذب مقبلها أي محل تقبيلها وهو الفم . مخلخها: موضع الخلخال من الساق بوضع فيه الخلخال: الدعص: الرمل: مخضودة القدم: مزينة .

(٣) الذوائب : الشعر في أعلى الجبهة الترائب : الصدور . أو ما تحت العنق . محض ضرائبها : خالصة الأخلاق .

(٤) عبد : ضخم . المقيد : موضع الخلخال من الرأة . البض : الجسد الرقيق الجلد المعتلى . مجردها عند تجردها .

(٥) درم مرافقها : مستوية مرافقها : بارد الشيم : البارد يقال ماء شيم أي بارد .

(٦) الثنایا : الرقيق . إذا يكون توالي الخ أي في هذا الوقت . شيبت : مزجت . المرهبة : الماء البارد . المرقبة : المكان العالى .

(٧) المثلد : المال القديم .

آبى الهضيمة ناء بالعظيمة
 حامي الحقيقة بسال الوديعة معتاق
 رباء مرقبة منساع مغلبة
 هباط أودية حمال الولية
 يعطيكَ ما لا تكادُ النفس تُرسّلَهَ

مُتلاَفُ الْكَرِيمَةِ جَلْدُ غَيْرِ ثَنْيَانَ^(١)
 الْوَسِيقَةُ لَا نَكْسٌ وَلَا وَانِي
 وَهَابُ سَلْهَبَةُ قَطْعَانُ أَقْرَانَ^(٢)
 شَهَادُ أَنْدِيَةُ سَرْحَانُ فَتَيَانَ^(٣)
 مِنَ التَّلَادِ وَهُوبُ غَيْرِ مَنَانَ^(٤)

ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثيراً، وإنما يذهبون في هذا
 الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً، فإنه
 لا كلام أحسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وقد كان يتونح في مثل ذلك ، فمنه ما روى عنه عليه
 السلام من أنه عوذ بالحسن والحسين عليهما السلام فقال «أعوذ بهما
 من السامة والهامة وكل عين لامة» ، وإنما أراد ملامة
 فلإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال لامة ، وكذلك ما جاء
 عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : خير المال سكة مأبورة ،
 ومهرة مأمورة ؟ فقال مأمورة من أجل مأبورة ، والقياس
 مؤمرة وجاء في الحديث : «يرجعن مأزورات غير مأجورات»
 وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنشور فاستعماله في
 الشعر الموزون أقمن وأحسن .

-
- (١) آبى الهضيمة : ياباها : ناء بالعظيمة : حامل لها ، الكريمة: النقيس
 من المال . جلد غير ثنيان : قوى متين .
- (٢) الرباء : الرقيب الذي يتقىم القوم لثلا يدهم العدو . المرقبة :
 الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب : السلحبة : الخيل . قطاع أقران : غالب
 لقارنه وانداته .
- (٣) هباط : صيغة مبالغة أودية أي كثير الهبرط فيها . الولية : جمع
 لواء وهي الرأبة التي تكون في مقدمة الجيش ، والمعنى أنك تجده في كل
 مكان يدل على الشجاعة والكرم وعلو الهمة . والسرخان : الذئب .
- (٤) التلاد : المال القديم يورث . منان : صاحب من على الناس .

٣ - نعت القوافي

أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج . وأن تقصد لتصير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيةها ^(١) . فإن النحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتroxون ذلك . ولا يكادون يعدلون عنه ، وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره . وأكثر من كان يستعمل ذلك أمرؤ القيس لحمله من الشعر فمنه قوله :

فَعَلَّبَكَ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدُّخُولِ وَحُوْمَلٍ ^(٢)

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال :

أَفَاطِسِمْ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي ^(٣)

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال :

أَلَا أَيْهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجِلِي بَصِيرٌ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ ^(٤)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

أَلَا انْعِمْ صَبَاحًا أَيْهَا الظَّلَلُ الْبَالِي وَهُلْ يَنْعَمُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ^(٥)

(١) ويسمى هذا تصريحا ، وهو الحق العروض بالضرب وزنا وتقفيه سواء بزيادة أو بنقصان .

(٢) قفا : خطاب للاثنين أي لصديقته لمعاونته في بكاء الاطلال والوقوف عليها . اللوي : ما المنوى من الرمل . وسقط اللوي : منتهاء وهو مثلث

السين . والدخول وحومل : مكانان يقع بينهما سقط اللوي ، وفيه منزل الحبيب .

(٣) أزمع الامر وأزمع عليه اذا ثبت عزمه على امضائه . الصرم :

الهجر والقطيعة الاجمال : الرفق .

(٤) أمثل : أفضل ، يذكر أن همومه وأحزانه موصولة فليس الصبح خيرا من الليل .

(٥) ألا انعم صباحا : تحية الصباح في الجاهلية ، وكانوا يقولون في المساء : ألا انعم مساء ، وبالليل ظلاما ، ثم جاء الاسلام فأبطل هذا مما ابطله من الالفاظ الجاهلية ، وأبدل بدلها كلمة « السلام عليكم » .

وقال بعد بيتهن :

دِيَارٌ لِّيَسْمِي عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ الْأَحْسَمْ هَطَّالٌ^(١)

ثم قال بعد أبيات أخرى :

أَلَا إِنَّنِي بِالِّي عَلَى جَمْلٍ بِالِّي يَقُودُ بَنَا بَالِي وَيَتَبَعُنَا بَالِي^(٢)

وقال في قصيدة أخرى أواها :

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ فَعَارَمَةُ فَبِرْقَةِ الْعِيرَاتِ^(٣)

ثم قال بعد بيتهن :

أَعْنَى عَلَى ذِي الْهَمِّ مُعْتَكِرَاتٍ^(٤)

وقال في قصيدة أخرى أواها :

عِينَكَ دَعْهُمَا سِجَالٌ كَانَ شَانِيهِمَا أَوْشَالٌ^(٥)

وقال بعد أبيات :

فَلُؤُوبٌ خِيزَانٌ ذِي أَوْرَالٍ قُوتَا كَمَا تُرْزَقُ الْعِيَالُ^(٦)

(١) عَافِيَاتٌ : دَارِسَاتٌ . وَذُو خَالٍ : مَوْضِعٌ ، يَذَكُرُ أَنَّ دِيَارَهَا بِلَيْت لَا سِتْمَارٌ سَقْوَطُ الْمَطَرِ عَلَيْهَا . الْأَحْسَمُ : الْأَسْوَدُ ، وَالْمَرَادُ بِهِ السَّحَابُ الْكَثُورُ الْمَاءُ . الْهَطَّالُ : الْمَطَرُ الدَّائِمُ فِي لَيْنٍ يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الدَّارُ تَفِيرَتْ وَدَرَسَتْ بِدَوَامِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا .

(٢) بِالِّي أَيْ أَنَّهُ مُضْنِي بِلَاهِ الْحَبِّ .

(٣) غَشِيتُ : جَئَتْ . الْبَكَرَاتِ : أَعْلَامٌ بِطَرِيقِ مَكَانٍ . عَارَمَةُ : مَكَانٌ . بِرْقَةُ : الْبَقْعَةُ الَّتِي يَخَالِطُ حِجَارَتَهَا السُّودُ رَمْلٌ . الْعِيرَاتِ : الْحَمْرُ الْوَحْشِيَّةُ .

(٤) التَّهَمَّامُ : تَفَعَّلُ مِنَ الْهَمِّ . وَالْذَّكَرَاتُ : جَمْعُ ذِكْرَةٍ مِّنَ التَّذَكِيرِ . مُعْتَكِرَاتٍ : مُنْصَرِفَاتٍ . ذُو الْهَمِّ : أَيْ صَاحِبُ الْحَرْنِ الْمُطَوِّلِ .

(٥) سِجَالٌ جَمْعٌ سِجْلٌ وَهُوَ الدَّلْوُ الْعَظِيمُ مَمْلُوءٌ مَاءً . شَانِيهِمَا : جَانِبَهُمَا أَوْ مَجَارِيِ الدَّمْوَعِ مِنْهُمَا . أَوْشَالٌ جَمْعٌ وَشْلٌ وَهُوَ الْمَاءُ يَنْحَدِرُ مِنْ أَعْلَى الْجَيَالِ بِكْثَرَةً .

(٦) الْخِزَانُ : ذَكْرُ الْأَرَابِ جَمْعٌ خَزْنٌ . أَوْرَالٌ : صَاحِبُ وَرْلٍ وَالْوَرْلِ . دَاهِيَةٌ كَالْضَّبْ .

وقد سلك هذا السبيل غير امرئ القيس شعراء كثيرون
فمنهم أوس [بن حجر] قال في قصيدة أولها :

ودع لميس وداع الصارم اللاجي قد نشمت في فادي بعد إصلاح^(١)

ثم قال :

أني أرقت ولم تأرق معي صاحبي المستكين بعيد النوم لواح^(٢)

ومنهم مرقش قال في قصيدة أولها :

أمن رسم دار ماء عينك يسفع غداً من مقام أهله وتروحوا^(٣)

ثم قال :

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألم ورحي ساقط متزحزح^(٤)

وقال حسان بن ثابت قصيدة أولها :

ألم تسأل الربع الجديد التكلما بدفع أشداخ فبرقة أظلما^(٥)

وقال في البيت التالي لهذا :

أبي رسم دار الحبي أن يتكلما أينطق بالمعروف من كان أبكم^(٦)

(١) لميس : المرأة اللينة الملمس .

(٢) المعنى لم تشاركتني في أرقني يا صاحبي .

(٣) رسم الدار : انارها : يسفع : من سفح الدمع ارسله سفحا وسفروا ، والدمع سافع : منصب .

(٤) بنت عجلان محبوبته . الخيال : مبتدا مؤخر . المطرح ، بروى بليله : الريح . الشديد : التبرير .

(٥) أشداخ : واد . والدفع : مجرى سیوله . وببرقة اظلما : موضع .

(٦) رسم الدار : انارها .

وقال الشماخ قصيدة أولها :

ألا نادياً أظعنان ليلي تعرج فقد هيجن شوقاً ليته لم يهيج (١)

ثم قال بعد أبيات :

ألا أدلجلت ليلاك من غير مدلع هوئ نفسها إذا ادخلت لم تُعرج (٢)

وقال عبيد بن الأبرص قصيدة أولها :

أفتر من أهله ملحوظ فالقطبيات فالذنوب (٣)

ثم قال بعد أبيات :

أرض توارثها شعوب فكل من حلتها محروب (٤)

ثم قال بعد أبيات :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وقال الراعي قصيدة أولها :

أبأت آيات حبي أن تبيّنا لنا خبراً فأبكيين الحزينا (٥)

وربما أغفل بعض الشعراء التصرير في البيت الأول فأتنى به

(١) نادياً : خطاب لرفيقه . الأظعنان : جمع ظعينة وأكثر ما تطلق على المرأة في هودجها ثم أطلق على الهدوج ثم المرأة بلا هودج . تعرج : تعبس مطايهاها وهو جواب لناديا . هيجن شوقاً : حركته . والشماخ شاعر مخضرم مجيد - توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) أدلجلت من الأدلاج وهو السير آخر الليل . والشماخ شاعر أموي مشهور . هوئ نفسها : مفعول له . لم تعرج : لم تعطف .

(٣) ملحوظ : اسم موضع . القطبيات : ماء بعينه وجمعه بما حوله . الذنوب : اسم موضع بعينه .

(٤) الشعوب : المنية . المحروب : المسلوب المال . وعبيد : شاعر جاهلي مشهور .

(٥) آيات : جمع مفردها آية وهي العلامة وزنها فعلة في قول الخليل . وعند غيره أصلها بفتح الفاء والعين . والراعي : شاعر أموي مجيد .

في بعض من القصيدة فيما بعد . قال عمرو بن أحمر الباهلي
قصيدة أولاً :

فَلَدْ بَكْرَتْ عَادْلَتِيْ بَكْرَةَ تَزَعَّمْ أَنِي بِالصَّبَّا مُشْتَهِرْ

فَلَمْ يَصْرُعْ أَوْلَى الْفَصْحِيَّةِ وَأَنْتَ بَيْتَيْنِ بَعْدَ الْأَوْلِ ثُمَّ قَالَ :
كُلَّ وَدْعَيْنِ طَفْلَ أَنَّى بَكَرَ فَقَدْ دَنَا الصُّبُحُ فَمَا انتَظَرَ

وقال أيضاً من قصيدة أوها :

عمرکَهْ را خلقتُ إِلَّا لَمَا تَرَى وَرَاءِ رِجَالٍ أَسْلَمُونِي لَمَا بَيْأَا ^(١)

لأنه في الأولى غير مصروع ثم قال بعد أبيات :

نامسي جناب الشّوّل أغبر كابيا وأمسي جناب الحي أبلجع واريما (٢)

وقال أمية بن حرثان بن الأسرع الكنافي قصيدة أولها :

صبيحت هزءاً لراعي الضان أتعجبه ماذا يرُّ بيك مني راعي الضان (٢)

فلم يصرع أول بيت وأتى بعده ببيت واحد قال فيه :
يا بني أمّي إنّي عنكمأ غاني وما الغني غيرَ أّنّي مُشرّعٌ فاني

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيل والتقويم ، فكلما كان الشعر أكثر استعمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب الشعر .

١) خلقت : تأخرت عن الرجال في الطريق .

(٢) الجناب : الناحية . الشول : الناقة التي جف لينها وارتفع ضرعها
واريا : متقداً . كبابيا : من كبا لونه كمد ، وكبا تغير ، ورجل كابي اللون
عليه غيرة ، والاسم من ذلك الكبوا . أبلج : محبينا ظاهراً .

(٣) هزءاً : سخرية وأضحوكة : والمعنى : مابي من الكبر والهرم جعلني أصبح سخرية لكل شخص حتى لراعي الضأن .

جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهـاً للغرض المقصود . غير عادل عن الأمر المطلوب ، ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعددـه ، ولم يمكن أن يؤتى على تعديـد جميع ذلك ، ولا أن يبلغ آخره رأيت أن أكرمنـه صدرـاً ينبيـه عن نفسه . ويكون مثلاًـ لغيره ، وعبرة لـما لم أذكـره ، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراضـ الشعراء وما هـم عليه أكثرـ حومـاً ، وعليـه أشدـ رومـاً ، وهو : المديـح والهجـاء ، والتنـسـيب ، والمرـاثـي ، والوصـف ، والتشـبـيه .

وأقدمـ أمـامـ كلامـيـ فيـ هـذـهـ الأـقـسـامـ قولـاًـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـقـدـيمـهـ ، وـهـوـ أـيـ رـأـيـتـ النـاسـ مـخـتـلـفـينـ فيـ مـذـهـبـيـنـ مـنـ مـذـاهـبـ الشـعـرـ وـهـمـاـ: الغـلـوـ فيـ المعـنـىـ إـذـاـ شـرـعـ فـيـهـ ، وـالـإـقـتـصـارـ عـلـىـ الـحـدـ الـأـوـسـطـ فيـ مـاـ يـقـالـ مـنـهـ .

وـأـكـثـرـ الفـرـيقـيـنـ لـاـ يـعـرـفـ مـنـ أـصـلـهـ مـاـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ ، وـيـتـمـسـكـ بـهـ ، وـلـاـ مـنـ اـعـتـقـادـ خـصـمـهـ مـاـ يـدـفـعـهـ وـيـكـوـنـ أـبـدـاـ مـضـادـاـ لـهـ ، لـكـنـهـمـ يـنـبـطـونـ فـيـ ظـلـمـاءـ ، فـمـرـةـ يـعـدـ أـحـدـ الفـرـيقـيـنـ إـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـ جـنـسـ قـوـلـ خـصـمـهـ فـيـعـمـدـهـ ، وـمـرـةـ يـقـصـدـ مـاـ جـانـسـ قـوـلـهـ فـيـ نـفـسـهـ فـيـدـفـعـهـ ، وـيـعـتـقـدـ نـفـضـهـ ..

وـقـدـ شـهـدـتـ أـنـاـ مـنـ هـذـهـ ، وـلـهـ سـبـ ، قـوـمـاـ يـقـولـونـ إـنـ قـوـلـ مـهـلـلـ بـنـ رـبـيعـةـ :

فـلـوـلـاـ الـرـبـحـ أـسـمـعـ مـنـ بـحـرـ صـلـلـ الـبـيـضـ نـقـرـ بالـذـكـورـ^(١)

(١) صـلـلـ الـبـيـضـ : صـوتـ طـنـنـ السـيـوـفـ وـمـهـلـلـ مـنـ قـدـامـ الشـعـراءـ الـجـاهـلـيـنـ وـهـوـ خـالـ اـمـرـيـءـ الـقـيـسـ : الـذـكـورـ: السـيـوـفـ ذـاتـ الـحـدـيدـ الـبـيـاسـ . حـرـ : مـوـضـعـ وـهـوـ مـكـانـ الـرـيـاضـ الـحـالـيـةـ .

خطأ ، من أجل أنه كان بين موضع الرقة التي ذكرها وبين مسافة بعيدة جداً .

و كذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

أبقي الحوادث والأيام من عمر أشلاء سيف قديم إثره بادي
تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد النراعين والساقيين والهادى (١)

و كذلك في قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلت (٢)
ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يرون
من طعن النابغة (٣) على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله :
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرون من نجدة دما (٤)

و ذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان في قوله « الغر »
و كان ممكناً أن يقول البيض ، لأن الغرة بياض قليل في لون
آخر غيره ، وقالوا : فلو قال « البيض » لكان أكثر من
الغرة ، وفي قوله : « يلمعن بالضحى » ولو قال
« بالدجى » لكان أحسن ، وفي قوله « وأسيافنا يقطرون من
نجدة دما » قالوا : ولو قال « يجررين » لكان أحسن ، إذ كان
الجري أكثر من القطر .

فلو أنهم يحصلون مذاهبيهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن
على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الإنكار

(١) الهادى : العنق لتقديمه والجمع هواد والنمر شاعر جاهلى مجيد .

(٢) أخفت أهل الشرك : أفزعتهم وروعنهم . النطفة : ماء الرجل
جمعه نطف .

(٣) النابغة الذبيانى شاعر جاهلى كبير وكان حكم الشعراء فى
سوق عكاظ .

(٤) الجفنات : جمع وهي القصعة تجمع أيضاً على جفان . الغر :
البيض . يلمعن : يشرقن . النجدة : الشجاعة .

على مهلهل والتمر وأبي نواس ، لأن المذهب الأول إنما هو
لمن أنكر الغلو ، والثاني لمن استجاده ، فإن النابغة على ما حكى
عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ، بتصير مكان
كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه ، وعلى أن من أنعم
النظر علم أن هذا الرد على حسان ، من النابغة كان أو من
غيره ، خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق
في يده ، وكان الرد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره .

فمن ذلك أن حساناً لم يرد بقوله « الغر » أن يجعل الخفاف
بيضاً ، فإذا قصر عن تصير جميعها بيضاً نقص ما أراده لكنه
أراد بقوله « الغر » المشهورات . كما يقال « يوم أغر » .
« ويد غراء » وليس يراد البياض في شيء من ذلك . بل يراد
الشهرة والباهة .

وأما قول النابغة في « يلمعن بالضحي » وأنه لو قال
« بالدجي » لكان أحسن من قوله « بالضحي » إذ كل شيء
يلمع بالضحي ، فهذا خلاف الحق . وعكس الواجب . لأنـه
ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع . النور الشديد
الضيء فاما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص
يلمع فيه . فمن ذلك الكواكب . وهي بارزة لنا . مقابلة
لأبصارنا . دائمًا تلمع بالليل . ويقل لمعانها بالنهار حتى
تختفي . وكذلك السرج والمصابيح . ينقص نورها كلامـا
أضحي النهار وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها
وكل ذلك البراع حتى تخال ناراً .

فاما قول النابغة أو من قال إن قوله ^(١) في السيفوف
« يجرين » خير من قوله « يقطرن » لأن الجري أكثر من

(١) أي قول حسان بن ثابت .

القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دمًا ولم يسمع سيفه يجري دمًا . ولعله لو قال بجرين دمًا يعدل عن المأثور المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجز عادة العرب بوصفه .. فلنرجع إلى ما بدأنا به ذكره من الغلو والإقصار على الحد الأوسط فأقول : إن الغلو عندي أجواد المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ، ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي ذواس قوله المتقدم ذكره فهو مخطيء لأنهم وغيرهم من ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المدوم ، فإنما يريده به المثل وبأوغ النهاية في النعت ، وهذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول التابعة في معنى قول النمر [بن تولب] على مذهب الإقصار ولزوم الحد الأوسط :

وقد أبقيت صروف الدَّهْر مُنْتَى كَمَا أبقيت من السيف اليماني^(١)

دون قول النمر [وأتأي] دليلاً قوياً على أن ما يقني منه أكثر مما يقني من التابعة . وكذلك قول كعب بن مالك الأنصاري^(٢) في معنى قول مهلهل^(٣) ووصفه صوت الضرب^(٤)

من سرَّهُ ضربٌ يُرْعِبُ بَعْضَهُ بَعْضاً كَعْمَعَةِ الْإِنَاءِ الْمُحْرَقِ^(٥)

(١) صروف الدهر: حداثاته ونواتيه . السيف اليماني: المنسوب إلى بلدة باليمين اشتهرت بصناعة السيف .

(٢) من شعراء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وكان هو وحسان وعبد الله بن رواحة من أشهر الشعراء المخضرمين .

(٣) مهلهل: أقدم الشعراء الجاهليين وهو الذي طول القصيدة وبدأها بالغزل .

(٤) في بيت الماهيل المشهور :

فَلَوْلَا الرِّيحَ أَسْمَعَ مِنْ بَحْرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تَقْرَعُ بِالْذَّكْرِ

(٥) يرعب: في اللسان قال الجوهري من رعبات اللحم قطعه .

دون قول مهلهل لأن في قول مهلهل ما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد وأبلغ .

و كذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس^(١) :

يُغضى حياء ويُغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم^(٢)

دون قول أبي نواس لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فإن في قول أبي نواس دليلاً على عموم المهابة ، ورسوخها في قلب الشاهد ، والغائب ، وفي قوله « حتى إنك لتهابك » قوة لتكاد تهابك ، وكذا كل غال مفرط في الغلو إذا أتي بما يخرج عن الموجود فإنهما يذهب فيه إلى تصويره مثلاً وقد أحسن أبو نواس ، حيث أتي بما ينبع عن عظيم الشيء الذي وصفه .

وإذ قدمت ما أردت تقديمها فلنرجع إلى ذكر واحد واحد من المعاني الستة التي قلت : إنها الأعلام من أغراض الشعراء في المعاني . فأبدأ أولاً بذكر المديح ...

(أ) نعت المديح

ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب في وصف زهير^(٣) حيث قال : إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة ، وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيره^(٤) إلا بما يكون له وفيه وبما يليق به أو لا ينافره .

(١) أبي السابق وهو قوله : وأخفت أهل الشرك حتى أنه - البيت .

(٢) يغضى حياء : الضمير في يغضى عائد إلى زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما والاغضاء : اثناء الجفون بعضها الى بعض - والبيت منسوب للحزين الكناني .

(٣) من اعلام الشعراء الجاهليين .

(٤) أي غير الرجل .

ومنفعة أخرى ثانية ، وهي توكيده ما قلنا في أول كلامنا في المعاني ، من أن الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه .

ولما كان المدح إسداً مشتركاً لمدح الرجال وغيرهم ، عمه بالقول في مدح الرجال ، إذ كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم إلا ما يستعملون من أوصاف النساء فإن ذلك له قسم آخر سئلني به في ما بعد إن شاء الله تعالى ^(١) ، وعلمنا أن أخذنا في التعريف بجودة مدح للرجال كيف يكون ، فقد يتعلم من حواشى قولنا في هذا كيف يسلك السبيل إلى مدح غيرهم ، فنقول :

إنه لما كانت فضائل الناس ، من حيث إنهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألياب ، من الاتفاق في ذلك ، إنما هي : العقل والشجاعة — والعدل — والوفة ؛ كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبة ، والمادح بغيرها خطئاً . وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه . دون البعض ، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيفرق فيه ، ويتغنى في معانيه ، أو بالمجدة فقط ، فيعمل فيها مثل ذلك ، أو بهما ، أو يقتصر عليهما دون غيرهما ، فلا يسمى خطئاً . إلا صابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكن يسمى مقصراً عن استعمال جميع المدح ، فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيبة من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال ، لا بغيرها . وبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ، ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة :

(١) وهو النسib .

أَخْي ثِقَةٌ لَا تَهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكُنْهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَاقِلُهُ^(١)

فوصفه في هذا البيت بالعفة ، لقلة إمعانه في اللذات ،
وإنه لا ينفرد ماله فيها ، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال
وأنحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جَعَثَتْهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ مَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٢)

فراد في وصف السخاء بأن جعله يهش له ، ولا يلحظه
مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حَصْنٍ فِي الْحَرُوبِ وَمِثْلِهِ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِخَصْمٍ يُجَاهِرُ لَهُ^(٣)

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة ، والعقل
فاستوعب زهير في أبياته هذه المدح بالأربع الحصال ، التي
هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد في ذلك ما هو
- وإن كان داخلاً في هذه الأربع - فكثير من الناس لا
يعلم وجسه دنحوه فيها ، حيث قال « أخني ثقة » صفة له
بالوفاء . والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها .

وقد تفنن الشعراء في المدح ، بأن يصفوا حسن خلقة الإنسان
ويعددوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها ، وأقسامها
وأصناف تركيب بعضها مع بعض ، وما أفل من يشعر بأن
ذلك داخل في الأربع الحال على الإنفراد أو بالتركيب

(١) أخني ثقة : يروى بما عنده من الخير لاشتهره بالجود والكرم
النائل : العطاء . يريد أن ماله لا يتلف بشرب الخمر إنما يتلف بالعطاء
والبيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان . وزهير من أعلام الشعراء
الجاهليين .

(٢) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر . المعنى : أن المدح يسر بمن
يقصده للعطاء فكانه بهذا السرور أخذ العطاء لا معطيه للمسائل .

(٣) الضيم : الذل .

لَا أهل الفهم ، مثل أن يذكروا من أقسام العقل ثقافة المعرفة والحياة ، والبيان ، والسياسة ، والكافية ، والصدع بالحقيقة ، والعلم والخلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى .

ومن أقسام العفة القناعة . وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ومن أقسام الشجاعة الحمامة ، والدفاع ، والأخذ بالثار ، والنكبة في العدو والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه الموحشة ، وما أشبه ذلك .

ومن أقسام العدل السماحة ، ويرادف السماحة التغابن ، وهو من أنواعها ، والإنظام ، والتبرع بالذائل ، وإجابة السائل وقرى الأضياف ، وما جانس ذلك .

فاما تركيب بعضها مع البعض فيحدث منه ستة أقسام :

اما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على المحن ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإياعاد .

وعن تركيب العقل مع السخاء فإنجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة ، والإقصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف ، والإخلاف ، وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم .

وعن السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيشار على النفس ، وما شاكل ذلك .

وجميع هذه الترقيبات قد ذكرها الشعراء في أشعارهم ،
وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صدراً إن شاء الله تعالى ،
إلا أنني أبدأ قبل ذلك فأقول :

إن كل واحدة من الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط
بين طرفين مذمومين ، وقد وصف شعراء مصيرون متقدمون
قوماً بالأفراط في هذه الفضائل ، حتى زال الوصف إلى
الطرف المذموم . وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه .
في باب « الغلو في الشعر » من أن الذي يراد به إنما هو
المبالغة والتمثيل ، لا حقيقة الشيء ..

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها ، وشرح الحال فيها ،
ليكون ذلك مثلاً يبني الأمر عليه . ويعلم به ما يأتي من مثله
أن « كثيراً » أنسد عبد الملوك بن مروان :

على ابن أبي العاصي دلاصٌ حضينة أجادَ المرءَ نسجها وأذلهَا^(١)
يَوْدُ ضعيفُ القوم حمل قتيرها ويستظللُ القرمُ الأشمُ احتمالها

فقال له عبد الملوك : قول الأعشى لقيس بن معدني كرب أحسن
من قولك حيث يقول له :

وإذا تَجَيَّءَ كَتَبَيَّةً مَلَمَوْمَةً^(٢)
كَنْتَ الْمَدَمَّ غَيْرَ لَابِسٍ جُنَاحَةً^(٣)
شهباء يخشى الراهدون منهاها

(١) الدلاص : الدرع المنساء اللينة . أجاد المرء : صانعها الماهر .
والقتير : رؤوس مسامير الضلوع . القرم الأشم : الرجل العظيم ذو المكانة
العالية . كثير شاعر أموي عذري مشهور توفي عام ١٠٥ هـ .

(٢) الكتبية : الجيش . أو جماعة الخيول اذا أغارت من المائة الى
الالف . شهباء : عظيمة كثيرة .

(٣) الجنة : بالضم كل ما وقاك .

فقال : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الأعشى
صاحبه بالخرق .

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير ،
إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتقد خلافه ، لأنه قد
تقدمنا قوله في أن المبالغة أحسن من الإقصار على الأمر
الوسط بما فيه كفاية ، والأعشى باللغ في وصف الشجاعة ،
حيث جعل الشجاع شديد الإقدام ، بغير جنة على أنه وإن كان
لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى
دليل قوي على شدة شجاعته صاحبه لأن الصواب له ، ولا لغيره .
إلا لبس الجنة ، وقول كثير تقصير في الوصف .

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ، ثم نأتي بعد
ذلك بصدر ، يشتمل على افتتاحهم في المدح ليكون مثلاً لما
تقدمنا الإنجصار عنه ، وعبرة في اختيارات المدح .. فمن ذلك
قول زهير بن أبي سلمى :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنَ قَدَّمَا حَسَنَا
نَالَاَ الْمُلُوكَ وَبَذَّا هَذِهِ السُّوقَا
هُوَ الْجَوَادُ إِنْ يَلْحِقُ بِشَأْوَهِمَا
عَلَى تَكْلِيفِهِ فَمَيْلَهُ لِتَحْفِقَا
فَمَيْلُهُ مَا قَدَّمَا مِنْ مَهْلِ
أَوْ يَسْبِقَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقاً^(١)

ومن هذه القصيدة :

(١) الشأو : الطلق من الجري والشأو أيضاً الغاية . والمراد بالمرأين
أباء وجده أي يعارضهما بفعله ويسعى سعيهما في المكارم . نالا أي بفعالهما
أفعال الملك . بذ : غالب أي أنه سبق أباء أو ساط الناس وساواها الملك فهو
يطلب سعيهما . هو الجواد : أي المدح بمنزلة الجواد من الخيال في
مسابقة أبييه في الكرم والجود . المهل : التقدم .

يَتَّكِنُ السَّمَّاْحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خَلْقًا^(١)
 مَا كَذَّبَ الْأَيْثُ عنْ أَفْرَانَه صَدَقَ
 ضَارِبُ حَىٰ إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَقَا
 يُعْطِي بِذَلِكَ مَنْوَنَا وَلَا نَزَقا
 وَسْطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطَقَ نَطْقًا^(٢)
 أَفْقَ السَّمَاءَ لَنَالَتْ كَفَهُ الْأَفْقَا

مِنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرَمَا
 لِيَثٌ بَعْثَرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا
 يَسْطَعْنُهُمْ مَا رَتَمْوَاهُ إِذَا اطَّعَنُوا
 فَصَلُّ الْجَوَادَ عَلَى الْخَلِيلِ الْبَطَاءَ فَلَا
 هَذَا وَلَيْسَ كَمْ يَعْيَا بِخَطْبَتِهِ
 لَوْ نَالَ حَىٰ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ

وَمِنْ أَخْرَى لَهُ :

وَإِنْ يُأْلُو اِعْطَوْا وَإِنْ يَبْسِرُو وَإِنْ يَعْلُو^(٣)
 وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ^(٤)
 مَجَالِسٌ قَدْ يَشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
 وَعِنْدَ الْمُكْلِمِينَ السَّمَّاْحَةُ وَالْبَدْلُ^(٥)
 فَلَمْ يُدْرِكُوا لَمْ يَلْيِمُوا وَلَمْ يَأْلُوا^(٦)

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبِلُوا الْمَالَ يُسْخِلُوا
 وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَجُوهُهُمْ
 إِنَّ جِئْتُهُمْ أَفْقَيْتَ حَوْلَ بَيْوُهُمْ
 عَلَى مُكْثُرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ
 سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِّيَكِي يُدْرِكُوهُمْ

(١) على علاته : على قلة ماله والمعنى أنك ان تلقه على قلة ماله تجده سهلا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال . عثر : اسم موضع . أفرانه : القرن : الصاحب في القتال . والمعنى هو في الجرأة والاقدام على الاقران كالليلث .

(٢) الندى : مجلس القروم . يصف ممدوحه بأنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال العرب .

(٣) الاستخبار : أن يستغير الرجل أبدا فيشرب أبيانها وينتفع باوباراتها . يبسروا : يغلوا أي اذ قامروا بالبسير أخذوا ثمان الجزر فيقامرون عليها لا ينحررون الا غاليه .

(٤) المقامات : المجالس والمراد بها أهلها . الاندية : جمع ندى وهو المجلس . ينتابها القول الخ : يبيث فيها الجميل من القول .

(٥) على مكثريهم : ميسيرهم وأذريائهم . المقل : القليل المال . البدل : العطاء . أي يبذل الفقراء على قدر جهدهم وطاقتهم .

(٦) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء .

فما كانَ من خيرٍ أتوهْ فإنما توارثَهُ أباءُ آبائِهم . قبلَ (١) وهل يُبْنِيُ النَّعْلَى إِلَّا وشِيجَهُ وَتَغْرِسُ إِلَّا فِي مَنَابِهَا النَّخْلُ (٢)

ولزهير يمدح بنى الصيداء :

لأنّي سرّحْتُ بالملطّي قَصائدي
مَدحَا لَهُمْ يَتَوَارَثُونَ ثَنَاءَهَا
رَهْنَ لآخرِهِمْ بِطُولِ بقاءِهَا
حَلْمَاءُ فِي النَّادِي إِذَا مَا جَشَّهُمْ
جَهْلَاءُ يَوْمَ عِجَاجَةٍ وَلِقاءَهَا
أَوْ حَاربُوا أُلُوِّيَّ مَعَ الْعَنْقاءِ
مِنْ سَالِمُوا نَالَ الْكَرَامَةَ كَاهِلًا

41

انَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حِيثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عَلَّاتِهِ هَرَمٌ^(٥) هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يَعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيَظَالِمُ أَحْيَانًا فَيَنْظَالِمُ

ومن ذلك قول الخطية في بنى بعض :

ولأنَّ التي نكتبُها عن معاشرِ
آتت آل شماسَ بن لأي وإنما
على غَضَابِ أَنْ صَدَّدَتْ كَمَا صَدَّوَا
أَنَّاهُمْ بِهَا الْأَحَلَامُ وَالْحَبْ الْعَدُّ^(١)

٤) توارثه آباء ابائهم : آی مجددم قدیم ورثوه کابرها عن کابر .

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة بالبحرين يرتفع اليها سفن الرماح . الوشیج : القنا الملتقي في منتهي واحده وشیجع : أي لا تنت بـ القناة الا القناة . وتغرس النخلة الا حيث تنبت ، كذلك لا يولد الكرام الا في منبت كريم .

٣) ورقاء : اسم رجل .

٤) عجالة : غبار وهول وشدة .

(٥) علاتة : ما ينويه من قلة ذات يده . هرم : اسم المدح . عفوا : سهلا بلا مطل ولا تعب . يظلم أحيانا : يطلب منه في غير موضع الطلب وفي غير وقت .

(٦) اراد المدحه التي عدل بها عن آل الزيرقان الى بغيض وقومه ، العد القديم ، والخطيبة . - شاعر محضرم مجید توفى عام ٢٠ هـ .

ومنها :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها
أقلوا عليهم لا أباً لأبيكـمـ
أولئكـ قومـ إن بنـوا أحسنـاـ الـبـنـيـ
وإنـ كانتـ النـعـمـاءـ فيـئـمـ جـزـواـ بـهـاـ
وـتـعـدـ لـتـيـ أـبـنـاءـ سـعـدـ عـلـيـهـمـ
وـمـاـ قـلـتـ إـلـاـ بـالـذـيـ عـلـيـمـ سـعـدـ
(١)

ومن ذلك قول الأخطل :

صم عن الجهل عن قبل الخنا خرسـ
شمسـ العـدـاؤـةـ حـتـىـ يـتـفـادـ لـهـ
وـإـنـ أـمـتـ بـهـمـ مـكـرـوـهـ صـبـرـواـ
وـأـوـسـعـ النـاسـ أـحـلـامـ إـذـاـ قـدـرـواـ
(٢)

ومن ذلك ما أنسدنا أـحـمـدـ بـنـ يـحـويـ (٣) :

مسـكـامـينـ يـرـضـونـ السـيـاسـةـ إـنـ كـفـواـ
إـذـاـ صـرـفـواـ لـلـحـقـ يـوـمـ تـصـرـفـواـ
وـإـنـ كـانـ فـيـهـمـ مـوـسـرـ بـثـ فـضـلـهـ
ويـكـفـونـ إـنـ سـلـمـواـ بـغـيرـ تـكـلـفـ
إـذـاـ الـجـاهـلـ الـخـيـرـاتـ لـمـ يـتـصـرـفـ
وـإـنـ كـانـ كـانـ فـيـهـمـ مـعـرـ لـمـ يـطـوـفـ

وـأـنـسـدـنـاـ أـيـضاـ :

وـفـيـانـ صـادـقـ بـائـسـيـنـ صـحـبـتـهـمـ
فـإـنـ يـلـكـ خـيـرـاـ أـحـسـنـاـ أـسـلـابـهـاـ
يـزـيدـهـمـ هـوـلـ الـجـنـابـ تـآـسـيـاـ
وـإـنـ كـانـ شـرـ يـشـرـكـوـهـ تـحـاسـيـاـ
(٤)

(١) ويروى أن كانت النعمى عليهم - أي انهم ان انعموا لم يمتنوا ولم يقدروا نعمتهم بالمن ولم يقدروا المنعم عليه بالثواب .

(٢) الخنا : الفحش . رجل شموس عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده جمעה شمس .

(٣) هو ثعلب امام الكوفيين في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٤) السلب : ما يسلب والجمع أسلاب .

وأنشدنا :

و حامَتْ عن الأَحَابِ بِكَرْبَلَةِ
حَيَاءَ عَفَافٍ عَنْ دَنَيِّ الْمَكَلِ

إِذَا المَحْلُ أَنْسَى الْعَفَافَ النَّاسُ ذَبَتْ
بِهِمْ بِغَضْبٍ بَعْضُ النَّاسِ لَكِنْ بِرَدْمَهْ

وأنشدنا :

عَلَى دِنْ مِنْ بَطْنِ بِيشَةِ مَائِلٍ^(١)
بِخَيْرٍ وَلَا مُهُدٍ مَلَامًا لِبَاطِلٍ
بِأَظْهَارِهَا فِي الْمَجْلِسِ الْمُتَقَابِلِ^(٢)
طَوْيِ الْبَطْنِ مَخْمَاصِ الْضَّحْيَ وَالْأَصَائِلِ^(٣)

يَذَكِّرَنِي بِشَرَاءَ بَكَاءَ حَمَامَةِ
فَتَىً مُثْلِ صَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاغْلِ
وَلَا نَاطِقًا أَحَدْوَثَةَ السَّبَقِ مَعْجِبًا
تَرَى أَهْلَهُ فِي نَعْمَةٍ وَهُوَ شَاحِبٌ

وأنشدنا محمد بن زياد الحارثي :

وَخَرْسًا مِنَ الْفَحْشَاءِ عَنْدَ التَّهَاجِرِ^(٤)
وَعِنْدَ الْحَفَاظِ كَالْلَيْوَثِ الْخَوَادِرِ^(٥)
وَمِنْ عَزْهُمْ ذَلِكَ رَقَابُ الْعَشَائِرِ
وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا اتِّقَاءُ الْمَعَابِرِ^(٦)

تَخَالُّهُمْ لِلْحَلْمِ صَمَّا عَنِ الْخَنَا
وَمَرْضِى إِذَا لَوْقَوا حَيَاءَ وَعَفَّةَ
لَمْ ذَلِكْ إِنْصَافٌ وَأَنْسٌ تَوَاضَعٌ
أَنَّهُمْ وَصَمَّا يَخَافُونَ عَسَارَهُ

ثُمَّ مِنَ الشُّعُرَاءِ الْآنَ مِنْ يَحْمِلُ الْمَدِيعَ . فَيَكُونُ ذَلِكَ بَابًا مِنْ

(١) الفتن : الغصن أو ما تشعب منه جمعه أفنان . بيشة : موضع .

(٢) الاحدوثة : ما يتحدث به الناس . السبق : ما يتسابق فيه الناس من المكارم .

(٣) الشاحب : المتغير من هزال وجوع . طوي البطن : لم يأكل شيئاً . المخماص : الجائع . الضحي والأصائل : وقتان يجوع فيهما المدوح في حين أنهما وقتان يشبع فيهما غيره .

(٤) الخنا : الفحش . التهاجر : التقاطع .

(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم . الخوادر جمع مفرده خادر والخادر اجنة الأسد ومنه أسد خادر .

(٦) المعابر : المعابد .

أبوابه حسناً أيضاً . لبلوغه الإرادة مع خلوه عن الإطالة وبعده عن الإكثار ودخوله في باب الإختصار

فمن ذلك قول الخطية :

نَزَورُ امْرَأً يَعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ
يَرِي الْبُخْلَ لَا يَقْنِي عَلَى الْمَرْءِ مَا لَهُ
كَسُوبٌ وَمِتَلَافٌ إِذَا مَا سَأَلَهُ
مَنِي تَأْهَهُ تَعْشُو إِلَى ضَبْوَءِ نَسَارَهُ
وَمَنْ يَعْطِي أَمْانَ الْمَكَارِمِ يَحْمَدُ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
تَهَلَّلَ وَاهْتَرَّ اهْتَزَازُ الْمَهَنَدِ^(١)
تَجْدَ خَيْرُ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوْقَدِ^(٢)

فقد تصرف في الأبيات الأولى في أصناف المدح المتقدّم ذكرها وأتى بجمع الأوصاف وجملة المدح على سبيل الإختصار في البيت الأخير ومن ذلك قول الشماخ :

رَأَيْتَ عِرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَبَرَاتِ مِنْقُطَعَ الْقَرَبَيْنِ^(٣)
إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفْعَةَ الْمَجَدِ تَلَقَّاهَا عِرَابَةُ الْبَلَمِينَ

وقد أوراً السبط بن مروان أبي حفصة في مدحه شرجيل بن معن بن زائدة إيماء موجزاً ظريفاً . أتى على كثير من المدح باختصار . وإشارة بدعة . فقال :

(١) كسب : كثير الكسب للمال . متلاف : كثير التلف للمال . تهلهل : تلالا وجهه . اهتزاز المهد : اهتزاز السيف المشحوذ .

(٢) تعشو : تقصد في الظلام . وعشنا يعشوا : اذا سار في ظلمة تسمى عشوة . وقال ابن يعيش : عشوه أي قصصته في الظلام . ثم اتسع فقيل لكل قاصد عاش .

(٣) عِرَابَةُ الْأَوْسِيِّ : هو مدوح الشماخ . الْأَوْسِيُّ : نسبة الى اوس . يسمى بارتفاعه . مقطوع القربيين : عادم النظير .

رأيت ابنَ معنَ أفقَنَ الناسَ جودَهُ
فكلَفَ قولَ الشِّعرَ منْ كانَ مفْحَمَا^(١)
وأَرْخَصَ بالعدلِ السلاحَ بارْضَنَا فَمَا يَبْلُغُ السِّيفُ الْمُهْنَدُ درَهَما

ومن الشعراء أيضاً من يفرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين ، فيأتي على آخر ما في كل واحدة منها أو أكثر ، وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل . ومقصراً عن المدح العام لها ، لكنه يوجد المدح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة ، وأنى يجمع خواصها أو أكثرها ، وذلك مثل في الحرارة والإقدام ، كما قال الفرزدق لسالم الغداني ، حين قتل قاتل أخيه ، العائد بجوار عبد الملك :

إذاً كنتَ في دارِ تجافٍ بها الرَّدَى
سخا طلباً للوترِ نفساً بعوته
نقى ثيابَ الدُّرْ كرِ منْ دنسِ الخنا
إذا همْ أقرى ما بهم ماضيا
ولما رأى السلطانَ لا ينفعونَه
فصَمِّسَ كتصميمِ الغداني سالم^(٢)
فماتَ كريعاً عائفاً للملائيم^(٣)
يُساجِي ضميراً مستدفِ العزائم^(٤)
على الهول طلائعاً ثانياً العظامِ
قضى بينَ أيديِهم بآيِضِ صارم

وقد يتبين أن يعلم أن مداهِن الرجال ، وهي التي صمدنا للكلام في هذا الباب ، تنقسم أقساماً بحسب المهدوين من أصناف الناس ، في الارتفاع والإرتفاع ، وضروب الصناعات ، والتبدي

(١) المفحى : من لا يقدر أن يقول شعراً . والمعنى أن ممدوحه قد بلغ من كثرة جوده وكرمه على مادحيه أن كلف بقول الشعر من هو عاجز عن قوله . وبلغ من عدله أن رخص شمن السلاح لعدم الاحتياج إليه .

(٢) رجل من بني غدانة بن يربوع قتل أخوه وكان لقاتلته ناحية في السلطان فشد عليه قتله .

(٣) سخى : كرم وينزل المال . والعائف . الكاره .

(٤) استدفاف الامر : تهيئة .

والتحضر : وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الأقسام :

فأما إصابة الوجه في مدح الملوك فمثل قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يقذب (١)
فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طاعت لم يبدُ منها كوكب

ومثل ذلك قول نصيبي في سليمان بن عبد الملك :

أقول لركبٍ قافلين لقيتهم قفا ذات أوشالٍ وملوك قارب (٢)

القفا : الشنية وهي العقبة . والعرب تقول لقيت فلاناً قفا الشنية
أي خلف الشنية :

لعرفه من أهل ودان طالبٌ
فأثروا خبروني عن سليمان إنتي
ولو سكتوا أثنت عليكَ الحقائبُ
فما عاجوا فأثروا بالذى أنتَ أهله
وهل يشبه البدارَ المثير الكواكبُ
هو البدار والناس الكواكب حوله

ومثل قول الحزين الكنائى في عبد الله بن عبد الملك بن مروان
وقد وفده عليه وهو عامل مصر :

لما وقفت عليه في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم (٣)
حياته بسلام وهو مرتقٌ وضجة القوم عند الباب تردد

(١) السورة : الفوة والسلطان . والملك يسكنون اللام الملك بتحريركها .

(٢) قفا يفتح القاف : وراء . الاوشا : جمع وشل وهو الماء القليل . ذات اوشال : موضع . قارب : طالب الماء ليلاً ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً . وفي التهذيب : القارب : الذي يطلب الماء ولم يعین وقتاً . ويريد بالملوى نفسه . والخطاب لل الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك . ونصيبي : شاعر اموي مشهور .

(٣) نسبت هذه القصيدة للفرزدق يدح علي بن زين العابدين بن الحسين حين سأله عنه هشام بن عبد الملك .

في كفه خيزدان ريحها عبق^(١)
يغصي حياءً ويغصي من مهابته
فما يكلّم إلا حين يتسم
كتلاً يديه ربّع غير ذي خلف^(٢)
هذا خروج وهذا عارض همم

ومثل قول أبي العتاهية في الهايدي^(٣) :
يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موئي القضيب أو فكرأ

فاما مدح ذوي الصناعات : كأن يمدح الوزير والكتاب بما
يليق بالفكرة والرواية وحسن التنفيذ والسياسة . فإن انصاف إلى
ذلك الوصف السرعة في إصابة الحزم ، والإستثناء بخضور
الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل لل مدح
كما قال أشجع^(٤) :

بديهته مثل تفكيره متى رمته فهو مستجمع

و كما قال منصور النحري^(٥) :

وليس لأباء الأمور إذا اعتبرت بمحترث لكن هن صبور
يرى ساكن الأوصال باسط وجهه يريث الهوبنا والأمور تطير^(٦)

(١) الخيزدان : العود اللدن ، يسريد أن العصا التي يمسكها طيبة
الرائحة لأنها تستمد طيبها من طيب كفه . الأروع : من يعجبك بحسنه
وتجاعيته . عرنينه : أنفه . شمم : ارتفاع وحسن وهو من علامات السيد
الشريف .

(٢) ربّع ، وبروى : غياث : أي نجدة : ومعونة . غير ذي خلف :
بروى أيضاً عم تفعهما .

(٣) أبو العتاهية شاعر عباسي مشهور اشتهر بزهدياته توفي عام ٢١١هـ .
والهايدي خليفة عباسي ملك عاماً واحداً (١٦٩ - ١٧٠ هـ) .

(٤) أشجع السلمي شاعر عباسي مشهور من شعراء عصر الرشيد .

(٥) من شعراء عصر الرشيد والمؤمنون .

(٦) الأوصال : المفاسيل أو مجتمع الاعظام جمع وصل بكسر الواو
وضمها .

وأما مدح القائد في ما يجده من البأس والشدة ويدخل في باب شدة البطش والبسالة فإن أضيف إلى ذلك المدح الجود والسماحة والتعزق في البذل والعطية كان المدح حسناً والمعت تماماً . إذا كان السخاء أخا الشجاعة . وكما في أكثر الأمور موجودين في بعده المدح . وأهل الإقدام والصولة . وذلك كما قال بعض الشعراء في جمع البأس والجود :

ففي دهره شطران فيما ينوبه ففي باسه شطرين وفي جوده شطرين (١)
فلا من بغاء الخير في عينه قدّي ولا من زئير الحرب في أذنه وقر (٢)

وكمما قال منصور التمري في إفراده ذكر البأس وحده :

ترى الخيل يوم الحرب يضمان تحنه وتروى القنا في كفه والمناصل (٣)
حرامٌ عليها متنها والكواهل (٤) حلال لاطراد الأسئلة نحرها

وكمما قال بشّار بن برد :

الآية الحاسد المبغضي
نجوم السماء بسعى أئم (٥)
سمعت بعكرمة ابن العلاء
فأنشأت تطلبها لست ثم (٦)
إذا عرض اللهور في صاره (٧)
لها بالعطاء وضرب البهم

(١) **الباس** : الشدة في الحرب - والبيت لا يبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

(٢) **بغاء الخير** : البغاء جمع مفرد باغي وهو الطالب . الزئير : الصوت . الورق : ثقل في الأذن يسبب عدم السمع ومنه قوله تعالى (كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرأ) ، أي ثقل .

(٣) **القنا** : الرمح . والمناصل السيف .

(٤) **متنها المتن** . **الظهر** . **الكواهل** : جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثالث الأعلى فيه .

(٥) **الام** محركة : **القرب** .

(٦) **ثم** : اسم يشار به بمعنى هناك للمكان بعيد ظرف لا يتصرف ، والمعنى أنك بعيد عنها ولست أهلاً لها .

(٧) **البهم** : الرجل الشجاع .

يلذ العطاء وسفك الدماء . ويغدو على نعم أو نقم
فقل للخليفة إن جئته نصوحًا ولا خير في متهم
إذا أيقظتك حروب العدوى فتبه لها عمراً ثم
ففي لا ينام على ثأره ولا يشرب الماء إلا بدم (١)

وأما مدح السوق من البدو والحاضرة فينقسم قسمين : بحسب
أنقسام السوق : إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاتب
وإلى الصعاليك والحراب والملتصصة ومن جرى مجراهم :
فمدح القسم الأول يكون بما يضاهي الفضائل النفسانية التي
قدمنا ذكرها خالياً من مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من
الوزراء والقواد . وذلك مثل قول الشاعر :

يتراحمون ، ذوو يسارهم يتعاطفون على ذوي الفقر
وذوو يسارهم كائهم من صدق عفتهم ذوو وعر (٢)
متحملين لطيب خيمهم لا يهلون نبوة الدهر (٣)

ومدح القسم (٤) الثاني يكون بما يضاهي المذهب الذي يسلكه
أهلة من الإقدام والفتاك والتشمير والجحد والتيقظ والصبر
مع التحرق والسماعة وقلة الإكتراث للخطوب الملمحة كما
قال تأبطة شرأ يمدح صخر بن مالك (٥) :

ولأني لهد من ثانئي فقادس (٦) به لابن عم الصدق صخر بن مالك (٦)

(١) كنایة عن كثرة حروبها وشدة بأسه .

(٢) ذوو وعر : مالهم قليل ، ويقال الرجل وقع في وعر أي قل ماله .

(٣) الخيم الشيمية والخلق والسببية ، وقيل الخيم الاصل : نبوة الدهر : جفوته .

(٤) وهم الصعاليك ومن في حكمهم .

(٥) تأبطة شرأ : من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

(٦) مهد : من أهديت لابن عم الصدق : متعلق بمهد . والمهدى مهدوف لعلم السامع به أي ثناء أو قصيدة .

كما هزَّ عطفه بالهجان الأوارك^(١)
 سواءً وبين الذئب قسم المشارك^(٢)
 بعيدُ الخطى شئ الهوى والمسالك^(٣)
 جحيشاً ويعروري ظهور المعارك^(٤)
 ينخرق من شده المدارك^(٥)
 له كاليٌ من قلب شيحان فاتيك^(٦)
 إلى سلة من صارم الغرب باتيك^(٧)
 نواجهه أفواه المنيا الضواحك^(٨)

أهُزَّ به في ندوة الحي عطفه
 لطيفُ الحروايا يقسمُ الرَّاد بينه
 كأنَّ به في البرد أثناء حياة
 يظلُّ بموساة ويسى بغيرها
 ويسبق وفده الريح من حيث تنتهي
 إذا خاطَ عينيه كرى النوم لم يزل
 وإن طلعت أولى العدَّة ففرة
 إذا هزَّه في وجه قرن تهافت

وقال أبو كبير المزلي :

ولقد سرتُ على الظلام بعشم^(٩)
 جلدي من الفتىان غير مُثقل^(٩)

(١) الندوة : النادي . عطفه : عطف كل شيءٍ جانبه ، وقيل العنق كما في قوله تعالى « ثانٍ عطفه » أي عنقه ، وقيل خصره . الهجان الأوارك : التي ترعى الأراك وهو نوع من الشجر .

(٢) الحروايا : أي الامعاء .

(٣) شئ : المتفرق وتشتت الشيء تفرقه والاشتات جمع شت . المسالك : الطرق ويعروري البيت برواية أخرى هي :

قليل التشكي للمهم يصيبيه كثير الهوى شئ التوى والمسالك

(٤) المرومة : المغارة التي لا ماء فيها وجمعها مروام . جحيشاً :

وحيداً . أي منفرداً . ويعروري ظهور المعارك : أي يركبها ويعروري ظهور .

(٥) وقد الريح : أولها . المنخرق : السريع . المدارك : الملاحق .

(٦) الكري : النوم الخفيف واضافة الكري إلى النوم كما يضاف البعض

إلى الجنس . شيحان : حازم . الفاتك : هو الذي يفاجئه غيره بمكره .

(٧) العدَّة : الرجال يعدون أمام الخيال : الباتك القاطع .

(٨) في وجه قرن ويعروري في عظم قرن أي لا يتعرض له إلا من يقارنه

بأساً وشدة . تهافت نواجهه ، مجاز ، والهلل : الضحك شبه بتهلل البرق

ولعله .

(٩) على الظلام أي وقت الظلام . المفشم : من الفشم وهو الظلمة .

الجلد : الصلب القوي . غير مثقل : حسن القبول .

مَنْ حَمَلَ بِهِ وَهُنَّ عَاوَدُ
 حُبُكَ النَّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مُهْبَلٍ^(١)
 كُرُهَا وَعَدَدُ نَطَاقَهَا لَمْ يَحْلِ^(٢)
 سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لِلَّيلُ الْهَوْجَلُ^(٣)
 وَفَسَادٌ مُرْضَعَةٌ وَدَاءٌ مَغْيَلٌ^(٤)
 مِنْهُ وَحْرَفُ السَّاقِ طَيْءُ الْمَحْمَلِ^(٥)
 كَرْسُوبٌ كَعْبُ السَّاقِ لَيْسَ بِزَمْلِ^(٦)
 يَنْزُو لَوْقَتَهَا نَزْوَ الْأَخْيَلِ^(٧)
 يَنْضُو مَخَارِمَهَا هَوَى الْأَجْدَلِ^(٨)
 بَرْقَتْ كَبْرَقُ الْعَارِضِ الْمَتَهَلِ^(٩)

حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةِ مَزَوْدَةَ
 فَأَنْتَ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مَبَطِنًا
 وَمِنْهَا مِنْ كُلِّ غَيْرِ حِيْضَةٍ
 مَا أَنْ يَمْسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ
 وَإِذَا اتَّبَعْتَ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ
 فَإِذَا طَرَحْتَ لَهُ الْحَصَّةَ رَأَيْتَهُ
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةِ وَجْهِهِ

(١) مَنْ حَمَلَنِ : الضَّمِيرُ لِلنِّسَاءِ . حُبُكَ النَّطَاقَ . الْمَرَادُ
 بِهِ حُبُكَ النَّثَابَ لَأَنَّ النَّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبُكَ . وَالْحُبُكُ وَاحِدُهَا حُبُكَ . وَالْمَعْنَى
 أَنَّهُ مِنَ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ حَمَلُتْ أَمْهَاتُهُمْ بِهِمْ وَهُنَّ غَيْرُ مُسْتَعْدَاتٍ لِلْفَرَاشِ .

(٢) مَزَوْدَةَ . مِنَ الرَّؤْدِ : الْذَّعْرُ . كَرْهَا : كَارِهَةٌ . النَّطَاقُ مَا تَنْتَطِقُ بِهِ
 الْمَرْأَةُ تَشَدُّ بِهِ وَسَطْهَا لِلْعَمَلِ وَذَاتُ النَّطَاقِينِ أَسْمَاءُ بَنْتِ أَبِي بَكْرٍ . وَالْمَعْنَى
 أَنَّهَا أَكْرَهَتْ وَلَمْ يَحُلْ نَطَاقَهَا .

(٣) حَوْشَ الْفَوَادِ : وَحْشِيَّهُ لَحْدَتِهِ وَتَوْقِدِهِ ، وَرَجُلُ حَوْشِيِّ لَا يَخَالِطُ
 النَّاسَ وَلِلَّيلِ حَوْشِيِّ مَظْلَمٌ هَائِلٌ : مَبَطِنٌ : خَمِيصُ الْبَطْنِ الْهَوْجَلُ : الْثَّقِيلُ
 الْكَسْلَانُ وَقِيلُ الْأَحْمَقُ .

(٤) غَيْرُ الْحِيْضَةِ : بِقَيْاَهُ وَبِرَوْيِيْ مِنْهَا بِالْنَّصْبِ وَمِنْهَا بِالْجَرِ فَالْنَّصْبُ
 عَطَفَ عَلَى غَيْرِ مُهْبَلٍ وَالْجَرِ عَطَفَ عَلَى قُولَهُ جَلَدَ مِنَ الْفَتَيَانِ . وَفَسَادُ مَرْضَعَةِ
 أَضَافَ الْفَسَادَ إِلَى الْمَرْضَعَةِ لَأَنَّهُ أَرَادَ الْفَسَادَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ جَهَتِهِ مَغْيَلٌ :
 الْمَغْيَلُ مِنَ الْغَيْلِ وَهُوَ أَنَّهُ نَفْشِيَ الْمَرْأَةُ وَهُوَ تَرْضَعُ بِذَلِكِ الْبَنِ الْغَيْلُ : وَبِرَوْيِيْ
 وَدَاءُ مَعْضِلٍ وَهُوَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ كَانَهُ أَعْضَلُ الْأَطْبَاءِ .

(٥) الْمَحْمَلُ : حَمَالَةُ السَّيْفِ .

(٦) وَإِذَا اتَّبَعْتَ مِنَ الْمَنَامِ ، يَرْوَى : وَإِذَا يَهِبُّ مِنَ الْمَنَامِ ، وَالْمَعْنَى :
 إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نُومِهِ اتَّصَابَ كَعْبُ السَّاقِ .

(٧) طَرَحَتْ . نَبَذَتْ . رَأَيْتَهُ : جَوَابٌ إِذَا رَأَيْتَهُ . نَزْوَ الْأَخْيَلِ وَبِرَوْيِيْ
 طَمُورُ الْأَخْيَلِ ، وَالْطَّمُورُ : الرَّوْثُوبُ .

(٨) الْفَجَاجُ : الْطَّرِيقُ الْوَاسِعُ فِي الْجَبَلِ وَنَحْوُهُ وَالْجَمْعُ فَجَاجٌ . الْمَخَارِمُ :
 جَمْعُ مَخْرَمٍ وَهُوَ مَنْقُطَعُ أَنْفُ الْجَبَلِ . وَالْخَرْمُ : أَنْفُ الْجَبَلِ الْأَجْدَلُ : الصَّقْرُ .

(٩) الْأَسْرَةُ : جَمْعُ صَرَارٍ وَهُوَ الْخِيُوطُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ الْعَارِضِ : مِنْ
 السَّحَابِ الَّذِي يَعْرُضُ فِي جَانِبِ السَّمَاءِ . وَالْمَعْنَى يَصْفُهُ بِحَسْنِ الْطَّلْعَةِ وَطَلَاقَةِ
 الْوَجْهِ .

غمي الصحاب إذا تكون كربلة^(١) وإذا هم أزموا فماوى العيل^(١)
 ثم نعقب الكلام في المديع بالكلام في الهجاء .

٢ - نعت الهجاء

إنه قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقه ما
 قدم في قوله في باب المديع وأسبابه ، إذ كان الهجاء ضد
 المديع فكلما كثرت أضداد المديع في الشعر كان أهجي له ثم
 تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهagi فيها وكثرتها ، فمن الهجاء
 المقدع الموجع ما أنشدناه أحمد بن يحيى :

كاثر بسعد إن سعداً كثيرة^(٢) ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصرا^(٢)
 ولا تدع سعداً للقراء وخلتها^(٣) إذا أمنت من روعها البلد القفر^(٣)
 يروعك من سعد بن عمرو جسومها^(٤) وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

فمن إصابة المعنى في هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم هؤلاء
 القوم أمررين يظن أحهما فضيلتان ، وليسوا بحسب ما وصفناه
 من الفضائل فضيلتين ، وهما : كثرة العدد وعظم الخلق ، وغزا
 بذلك مجازي دلت على حذقه في الشعر :

فمنها : أن أدخل لهم هجاء في باب الأقوال الصادقة لإعطائه
 لياهم شيئاً ومنعه لهم شيئاً آخر وقصده بذلك أن يظن أن قوله
 فيهم إنما هو على سبيل الصدق وذكره لياهم بما فيهم من جيد
 ورديء .

(١) العيل جمع عائل : وهو الفقير .

(٢) الكاثر : الكثير وعدد كاثر كثير ، يقول الاعتنى :

ولست بالأكثر منهم حسى وإنما العزة للكاثر

(٣) القراء : القتال . خبراً : اختباراً . خبره بالضم وخبرة بالكسر:
 بلاء .

ومنها : ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحةها من باطلها فلم الباطلة ومنع الصالحة .

ومنها : أنه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد ، فإن الكرام أبداً فيهم قلة ، كما قال السموأل :
تعيرني أنا قليلٌ عديداً فقلت لها إن الكرام قليلٌ^(١)

ومن خبيث الهجاء ما أنسدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إن يغدروا أو يفجروا أو يخلوا لا يغسلوا
يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر به تعمد أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لأن الغدر ضد الوفاء والتجور ضد الصدق والبخل ضد الجود ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال : وغدو عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا ، لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التي هي من عمى القوة المشيرة كما قال جالينوس في كتابه في أخلاق النفس .

ولزياد الأعجم في غياث بن حصين بن المنذر :

وسميتَ غياثاً ولستَ بِغَائِظٍ
عدُوكَ مسروراً وذو الردَّ للذِي
يرى بكَ من غيظ عليكَ كظاظٍ
وأنتَ لتعذَّرِ الذُّنُوبِ حفيظٍ^(٢)

(١) تعيرنا : يقال تعيرته كذا وهو المختار . وقد جاء تعيرته بعدها . إن الكرام قليل : نعم إن الكرام قليل وللهذا نجد أن الموت يعتامهم وولوع الدهر بهم وتضحيتهم في الدفاع عن أحبابهم واهانة كرامهم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم .

(٢) كظاظٍ : المفتقظ أشد الغيظ .

تلنٌ لأهلِ الغيلِ والغورِ منهمُ وأنتَ على أهلِ الصُّفَاءِ فظاظٌ^(١)

ومن المهجاء أيضًا ما تحمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندي في مهاجاته جريراً ، ومعارضته إياه ، في قوله :

إذا غضبت عليكِ بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كُلَّهُمْ غضاباً
لو اطلعَ الغرابُ على تميمٍ وما فيها منَ السوءاتِ شاباً^(٢)

ومثل قول مرة بن عداء الفقعي :

ولَا تُرثِكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةً فَلَمَا يُسْوِكَكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ
وَقُولُ الْآخِرِ :

وَيَقْضِي الْأُمُرُ حِينَ تَغْيِيبِ تَمِيمٍ وَلَا يَسْأَذُونَ وَهُمْ شَهُودٌ

والمحكم الخضري :

أَلَمْ ترَ أَنَّهُمْ رَقِيمُوا بِلَسْوَمٍ كَمَا رَقِيمَتْ بِأَذْرُعِهَا الْحَمِيرُ^(٣)

ومثل قول أعشى باهلة :

بَنُو تميمٍ قَرَارَةٌ كُلُّ لَوْمٍ لِكُلِّ مَصْبَبِ سَائِلَةٍ قَرَارٌ^(٤)

وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الأعشى في هذا المعنى فقال :

(١) الغير : الكريم الواسع الخلق . فظاظ : سيء الخلق . الغل : الحقد .

(٢) السراة : الفاحشة والخلة القبيحة .

(٣) رقِيمُوا بِلَوْمٍ : أي عرقووا وتميزوا به كما تخلطت الحمير بالكفي بالنار وبذلك تعرف بهذا الكفي .

(٤) القرارة : ما يقر فيه .

أصحوا بمسنن ميل اللؤم وارتفعت **أموالهم في هضاب المطل والعلل**^(١)

ومثل قول الآخر :

لو كان يخفى على الرحمن خافية **من خلقه خفيت عنه بنو أسد**

ومثل قول الآخر :

فَرَبِّ إِذَا مَا جَنِي بَجَانِيهِمْ أَمْنَوْا
من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قردا^(٢)

ومثل قول زياد الأعجم :

إِنِّي لِأَكْرَمُ نَفْسِي أَنْ أَكْلُفُهَا
هِجَاءُ جَرْمٍ وَلَا يَهْجُمُ أَحَدٌ^(٣)
مَاذَا يَقُولُ لَهُمْ مِنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ

ومثل قول أوس بن معازة :

فَلَسْتُ بِعَافٍ عَنْ شَتِيمَةِ عَامِرٍ
وَلَا حَابِسِي عَمَا أَقُولُ وَعِيدُهَا^(٤)
تَرِي اللَّؤْمَ مَا عَاشُوا جَدِيداً عَلَيْهِمْ
لِعُمرَكَ مَا تَبَلَّى سَرَابِيلُ عَامِرٍ

هذه الأبيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي ، فيقال إن النابغة كان يقول إني وأوساً نبتدر بيتاً فمن قاله غالب على صاحبه فلما قال أوس البيت الأخير قال هذا هو البيت الذي كنا نبتدره فغلب أوس عليه .

ومثل قول عباس بن مرداس السلمي في سفيان بن عبد يغوث النصرى :

وَأَوْعَدْ وَقْلَ مَا شَتَتْ إِنْكَ جَاهِلٌ على أما أنت أمرؤٌ منبني نصر

(١) المعنى أن أموالهم متخصصة بحديث لا يراها المسائلون .

(٢) القود : القصاص .

(٣) جرم : بطن من بطون طيء أو هي بطن من بطون قضاعة . جهدوا : بلغوا نهاية طاقتهم ووسعهم في الهجاء . زياد : شاعر أموي مشهور توفي عام ١٢٠ هـ .

(٤) عامر : هي قبيلة النابغة الجعدي .

وَمَا أَجُودُ مَا قَالَ الْفَرَزْدِقُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرِ الْلَّيْلِيِّ حِبْتُ
هَرْبَ مِنْ أَبِي فَدِيلَكَ الْخَارْجِيِّ وَكَانَ يَتَمَنِي لِقَاءَ الْخَوَارِجِ .

تَسْتَبَّتْهُمْ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهُمْ تَرَكْتُهُمْ عَنْدَ الْجَلَادِ السَّرَادِقَ^(١)
وَأَعْطَيْتُ مَا تَعْطِي الْخَلِيلَةَ بِعْلَهَا وَكُنْتُ حَبَارِي إِذْ رَأَيْتُ الْبَوَارِقَ^(٢)

وَفِي قَوْلِهِ « مَا تَعْطِي الْخَلِيلَةَ بِعْلَهَا » مَعْ لِيْجَازَهُ عَجَائِبُ ،
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ « حَبَارِي » .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْرَطُ فِي ذِكْرِ نَقِيَّةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَغْلُو عَنْدَ الْمَدْحِ
فِي فَضِيلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ لِلْحَطَبِيَّةِ يَغْرِقُ فِي ذِكْرِ الْبَخْلِ وَحْدَهُ :

كَدَدْتُ بِأَظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مَعْوِلِي فَصَادَفْتُ جَلْمُودَأَمِنِ الْصَّبَرِ أَمْلَسَا^(٣)
تَشَاغَلَ لِمَا جَشَّتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلَّتْ قَدَمَاتُ أَوْ عَسَى
وَأَجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتَهُ يَفْوَقُ فُوَاقَ الْمَوْتِ حَتَّى تَفَسَا^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ لَسْتُ بِعَادِي فَأَفَرَخَ تَلَوْهُ السَّمَادِيرِ مَلْبِسَا^(٥)

وَبِلْحَرِيرِ فِي ذِكْرِ الْعَجَزِ وَحْدَهُ :

وَلَا يَتَقَوَّنُ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا مِنَ النَّذْرِ^(٦)

ثُمَّ يَنْتَظِرُ أَقْسَامُ الْمَدِيعِ وَأَسْبَابِهِ فَيَجْرِي أَمْرُ الْهَجَاءِ بِحَسْبِهَا فِي
الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجَاتِ وَالْأَقْسَامِ ، وَيَلْزَمُ ضَدُّ الْمَعْنَى الَّذِي يَدْلِلُ عَلَيْهِ
إِذْ كَانَ الْمَدِيعُ ضَدُّ الْهَجَاءِ وَلِتَنْتَبِعَ الْقَوْلُ فِي الْهَجَاءِ بِالْقَوْلِ فِي
الْمَرَاثِيِّ .

(١) الْجَلَادُ : الْقَتَالُ . السَّرَادِقُ : الَّذِي يَمْدُدُ فَوقَ صَحْنِ الْبَيْتِ .

(٢) الْحَبَارِيُّ : طَائِرٌ لِلذَّكْرِ وَالْأَنْثَى . الْبَوَارِقُ : السَّيْفُ .

(٣) كَدَدَتْ : اجْتَهَدَتْ . مَعْوِلِيُّ : فَأْسَيْ .

(٤) يَفْرُقُ فُرْقَا : يَحْرِجُ صَوْتَهُ .

(٥) فَأَفَرَخَ : هَدَا وَسَكَنَ رُوَعَهُ . السَّمَادِيرُ : ضَعْفُ الْبَصَرِ .

(٦) النَّذْرُ : النَّحْبُ وَالْأَرْشُ جَمِيعُهُ مَذْوَرٌ وَالنَّذْرُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْحَرَاجِ
صَفَارَهَا وَكَبَارَهَا .

٤ - ثُغت المراشى

ليس بين المرثية والمدح فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه
هالث ، مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك ^(١) . وهذا
ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأبين الميت إنما هو بمثيل ما كان
كان يمدح في حياته ، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن
لفظ المدح بغير كان وما جرى مجرىها ، وهو أن يكون الحى مثلا
يوصف بالجود ، فلا يقال كان جواداً ولكن يقال ذهب الجود أو فمن
الجود بعده أو ليس الجود مستعماً مذ تولى ، وما أشبه هذه الأشياء ،
كما قالت ليل الأخيالية ^(٢) ترثي توبة ^(٣) بن الحمير بالتجدة على هذه
السبيل :

فليس رجالُ الحرب يأتون بعدها بعاري ولا غادي بركب مسافر

ومن الشعر من يرثي بذكر بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها ،
وغير ذلك ، ومثله يحتاج إلى تعلم صحة هذا المعنى ، في مثل ما تكلم
به في مثل هذه الأشياء ، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كل
شيء تركه الميت بأنه يبكي عليه ، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى
عليه لكان سبباً وعيباً لاحقين له .

فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت : بكت الجبل إذ لم تجد لها
فارساً مثلك كان مخططاً ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته
بكده لياه أن يذكر اغتيابه بموته ^(٤) وما كان في حياته يوصف
بإحسان إليه أن يذكر اغتمامه بوفاته ، ومن ذلك إحسان الخسأ في

(١) هذا خطأ من قدامة فالتجربة الشعرية في الرثاء غيرها في المدح .

(٢) شاعرة أموية مشهورة توفيت عام ٨٠ هـ .

(٣) توبه الخفاجي شاعر أموي توفي عام ٦٧ هـ .

(٤) ليس ذلك ضرباً لازباً في كل حال .

مرثيتها صخراً وإصابتها المعنى ، حيث ثالت تذكر اغبطة حذفة فرس
بموته :

فقد فقدت حذفة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها^(١)

ولو قال : فقدت حذفة فبكت ، لأن خطأ ، وبكاء من يجب
أن يبكي على الميت إنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياته
بإغاثته والإحسان إليه كما قال كعب بن سعد الغنوبي في مرثية أخيه :

لبيك شيخ لم يجد من يعينه وطاوي الحشا نائي المزار غريب^(٢)

وكم قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأستي :

لبيك الشرب والمدامنة والفتان طراً وطامع طمعا^(٣)
وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جنعا^(٤)
والحي إذ حاذروا الصباح وإذا خافوا مغيرا وسائلأ تلعا^(٥)

فيجب أن يتقدّم مثل هذا في إصابة الغرض والإغراق عنه .

وإذا قد تبيّن بما قلنا آنفأ أنه لا فضل بين المدح والتأني إلا في
اللقط دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يحرّي

(١) حذفة : اسم فرس صخر : والمعنى ليتك ترى الآن ما صارت اليه
فرسك من الراحة والقوّة والسمن لأنها استراحت من غزو صخر عليها .

(٢) الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وغيره . والمعنى:
طاوي الحشا من شدة الجوع . نائي المزار : بعيده .

(٣) الشراب : بالفتح جماعة الشاربين . المدامنة : الخمر . طراً : جميما .

(٤) ذات هدم : أي خلق باليه . عار نواشرها : أذرعنها عارية . التلub:
ولد الجحش الصغير . جدعا : سيء الفداء .

(٥) حاذروا الصباح : خافوا من مجيئه لاته وقت اغارة وحرب وهم
قد فقدوا شجاعهم والمدافع عنهم . تلعا : طويل الظهر أو العنق .

الأمر فيه على سبيل المديح ^(١) . فمن المرأى الذي تشبه في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها ، والأبيات عليها مثل قول كعب ابن سعد الغنوبي يرثي أخاه :

لعمري لئن كانت أصابت مُصيبة
أخي والمنايا للرجال شعُوب
 علينا وأمّا جهلهُ فغريب
 أخي ما أخني لا فاحش " عندَ بيته ^(٢)
 ولا ورعَ عندَ اللقاء هيب

فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي به في المرأى ، إذ أصاب بها المعنى ، وجرت على الواجب ، أما في البيت الأول فذكر ما يدل على أن الشعر مرثية هالك لا مديح لباق ، وأما في الأبيات الأخرى [فقد بكى فيه الصفات] الأربع التي هي العقل والشجاعة والغة والحلم ثم افتن كعب في هذه المرثية بعد ذلك وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استقامة ، وهو قوله :

حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت
كمالية الرمح الرُّدِيني لم يكن
فاني لباكه وإن لصادق
ليكث شيخ لم يجد من يعينه
جتمع خلال الخير من كل جانب
فني لا يبالي أن يكون لجسمه
حليم إذا ما الحلم زين لأهله ^(٣)
حي الشيب للنفس اللجوح غلوب ^(٤)
إذ ابتدر القوم العلاء يخيب ^(٥)
عليه وبعض الفائلين كذوب
وطاوي الحشا ناثي المزاري غريب
إذا جاء جياءً بمن ذهوب ^(٦)
إذا نال خلات الكرام شحوب ^(٧)
مع الحلم في عين العدو مهيب

(١) هذا خطأ من أساسه ، فالفرق كبير جداً بين المدح والمرثاء .

(٢) هيب : محاذير كثير الخوف والاحجام .

(٣) سورة الجهل : شدته . اللجوح : المترددة المت丐دة في ما هي عليه .

(٤) عالية الرمح : أعلاه .

(٥) جموع خلال الخير : مسرع اليه . جياء : كثير المجيء .

إذا ما تراءاهُ الرجالُ تخففُوا فلم ينطفوا العوراءُ وهو قريبٌ^(١)

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي يجميغ الفضائل التي ذكرناها إلا العفة وحدها ، فإنه ترك ذكرها ، إلا أنه في بعض القصيدة وصفه بالكمال ، وفي الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها .

أمسوا منَ الخطب في نارٍ وبلبالٍ^(٢)
لدى الملوكِ ذوي أيدٍ وإفصالٍ
من حفَّهم لبسوا حقاً بابطالٍ^(٣)
بينَ القسوط وبينَ الدينِ زلزالٍ^(٤)
حتى استقرَّت نواهم بعدِ تزوالٍ^(٥)

أبا دُلَيْجَةَ من يكفي العشيرةَ إذ
أم من يكون خطيبَ القومِ إذ حفلوا
أم من لأهلِ لواءِ في مُسْكَعَةٍ
أم من لحيٍ أضاعوا بعدَ أمرِهم
فرَّجَتْ غمَّتهمْ وَكَنْتَ مُعِينَهمْ

فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس العقل والرأي والسان ونحو ذلك ، وقال :

أبا دُلَيْجَةَ من يوصي بأرملةٍ
وما خليجٌ منَ المرازِ ذو حدبٍ
يوماً بأجودِ منه حين تَسَأَلَهُ^(٦)

(١) التحفظ : فلة الغفلة في الامور والتقيظ من القطة كأنه لم يذر .
(٢) البلبال : شدة الهم والوسوس .
(٣) المسكعة : المضلة من الأرضين لا يهتدى فيها لوجه الامر لبسوا خلطوا .

(٤) القسوط : الجور والعدول عن الحق .

(٥) نواهم : أقامتهم .

(٦) الطمر : بالكسر الشوب الخلق أو الكساد البالي من غير الصوف
جمعه اطمار . الطملا : العاري من الثياب والفقير السيء الحال القبيح
البهيمة .

(٧) الايك : الشجر الملتف الكثير . الضال : نوع من الشجر أو
الدر البري .

(٨) المغب : الاسد . البرح : الشدة والشر . الاشبال : جمع مفرده
شبل وهو ولد الاسد اذا ادرك المصيد .

لِيْثٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِيِّ هِبْرِيَّةٌ
كَالْمَرْزِبَانِيِّ عِيَّارٌ بِأَوْصَالٍ^(١)
يُومًا بِأَجْرٍ مِنْهُ جَدَّ بَادْرَةٍ
عَلَى كُمِي بِمَهْدِ الْحَدِّ فَصَالٌ

وقد رأه في هذه الأبيات بما جانس البذل والجحود والسمامة
والشجاعة ولم يذكر العفة ، إلا أنه قال في أول القصيدة :

أَمْ حَصَانٌ فَلَمْ تَضْرِبْ بِكَاتِهَا
قَدْ طَفَتْ فِي كُلِّ هَذَا النَّاسِ أَحْوَالِيِّ
أَيْ أَمْرَىءٌ سُوقَةٌ مَنْ سَمِعَتْ بِهِ
أَنْدِي وَأَكْمَلَ مِنْهُ أَيْ إِكَالٌ

وقال أوس [بن حجر] يرثي فضالة :

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَاعًا
إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَامِةَ
الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظَانُ بِكَ^(٢)
الظَّنُّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

فقد جمع في هذه المرثية جميع الفضائل ووضع الشيء من ذلك
مواضعه .

ومن المرثي التي تشبه في المدح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ
ما قاله أوس بن قصيده يرثي فضالة التي أورها :

أَلَمْ تَكْفِ الشَّمْسُ شَمْسَ النَّهَارِ مَعَ النَّجْمِ وَالقَمَرِ الْوَاجِبِ
هَلْكَ فَضَالَّةٌ لَا تَسْتُوِي الْفَقْوَدُ وَلَا خَلَّةُ الْدَّاهِبِ
وَأَفْضَلَتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا يَقْارِبُ سَعِيْكَ مِنْ طَالِبٍ

(١) الهبرية ما ينتشر من البردي فيبقى في شعره متلبدا . عيار : هو
الذي يذهب بأوصال الرجال إلى أجمته .

(٢) الألمعي : قال صاحب اللسان هو الدهاهية الذي يتظنن الأمور فلا
يخطئه . وقيل : هو الذي المتقد الحديد اللسان والقلب ، وقال الأزهري :
الألمعي : الخفف الظريف .

نجيئ ملبعُ أخو مأقط ثقاب يحدثُ بالغائبِ^(١)
ويكفي المقالة أهل الرجال غيرَ معيب ولا عائبِ

وليس ينبغي للناظر أن يظن خطأ في وضع ملبع موضع المدح بالفضائل النفسية ، لأن ملبعاً في هذا الموضوع ليس هو من قوله « قريش ملبع الناس » أي يستشفى بهم ، والذي يشهد بصحته قوله ثقاب يحدث بالغائب لأن هذا من جنس الرأي والحدث .

وقال الشماخ في عمر بن الخطاب :

فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدِمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقَ^(٢)

وقول الخطيب^(٣) يرثي علقة بن علاء :

فَمَا كَانَ بَيْنِ لَوْ لَقِيْتُكَ سَالِمًا وَبَيْنِ الْغَنِيِّ إِلَّا لِيَالْ قَلَائِلِ
وَلَوْ عَشْتَ لَمْ أَمْلِلْ حَيَاتِي فَانْتَمَتْ فَمَا فِي حَيَاةِ بَعْدِ مَوْتِكَ طَائِلٌ^(٤)

ومنهم أيضاً من يفرق في وصف فضيلة واحدة على حسب ما تقدم ، وتكون جميع الأحوال في المرائي جارية على حسب أحوال المدح وفي ما تقدم في باب المدح في وصف ذلك ما ألغى عن إعادةه في هذا الموضوع ، وللليل كلامنا في المرائي الكلام في التشبيه .

(١) ثقاب : ذكي . رجل نجيع : منجح الحاجات ، ورأى نجيع صواب ، المأقط : الشدة .

(٢) فمن يسع أو يركب الخ : من يكلف لحاكه كان سبوقاً وضرر بـ المثل بجناحي النعامة لـ أنه يضرـ بـ به المثل في خفة العـ دـ .

(٣) شاعر مخضـ رـ تـ وـ فـ يـ عـ اـ مـ ٢٠ هـ .

(٤) الطائل : الفضل والقدرة والسرعة .

٤ - نعت التشبيه

يجب أن نذكر أولاً معنى التشبيه ثم نشرع في وصفه فنقول :

إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابهَا من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة أبداً ، فصار الإثنان واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئاً بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ، ويوصافان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتها وإذا كان الأمر كذلك فأشد التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من افتراقهما فيها ، حتى يدنى بهما إلى حال الإتحاد . وما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمي يذكر صوت جرع رجل قرى اللبن :

فنب دجالاً جرعة متواتر كوقع السحاب بالطراف المدد^(١)

فهذا التشبيه إنما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الجباء الذي من أدم ومن جودته أنه لما كانت الأصوات مختلف ، وكان اختلافها إنما هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطاكها ، وليس يدفع أن اللبن وعصب المري اللذين حدث عن اصطاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم المؤتن والماء الذين حدث عن اصطاكهما صوت المطر ، وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجاد قول جباء الأشجعى ، فتشبيه صوت حلب عز بصوت الكبير إذا نفع :

(١) دخالاً : سريعاً . غب : شرب شربة بعد شربة . الطراف : الخيمة أي الجباء إذا كان من أدم . المدد : المبسوط .

كأنَّ أجيحَ الْكَبِيرِ أُرْزَامُ شَخْبَهَا إِذَا امْتَاحَهَا فِي مَحْلِبِ الْحَيِّ مَائِحَ^(١)

وَقَالَ أُوسَ بْنَ حَمْرَوْنَ يَشْهُدُ ارْتِفَاعَ أَصْوَاتِهِمْ فِي الْحَرْبِ تَارَةً
وَهُمْ مُوْدُهَا وَانْقِطَاعُهَا تَارَةً بِصَوْتِ الَّتِي تَجَاهَدُ أَمْرَ الْوَلَادَةِ :

لَمَّا صَرَخَهُ ثُمَّ إِسْكَانَهُ كَمَا طَرَّقَتْ بِنَفَاسِ بَكَرِ^(٢)

وَلَمْ يَرِدْ الْمُشَبِّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَفْسُ الصَّوْتِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ حَالَهُ
فِي أَزْمَانِ مَقَاطِعِ الْصَّرَخَاتِ ، وَإِذَا نَظَرَ فِي ذَلِكَ وَجْدَ الَّذِي وَقَفَ بَيْنَ
الصَّوْتَيْنِ وَاحِدًا وَهُوَ مُجَاهِدُ الْمُشْقَةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الْأَلَمِ بِالْتَّبَدِيدِ فِي
الصَّرَخَةِ .

وَمِنْ جَيْدِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ الشَّمَاخِ يَذَكُّرُ لِوَادِ الْتَّعْلُبِ مِنَ الْعَقَابِ :
تَلُوذُ ثَعَالِبُ الْشَّرْفَيْنِ مِنْهَا كَمَا لَاذَ الْغَرِيمُ مِنَ التَّبَيْعِ^(٣)

وَقَدْ يَخْتَلِفُ الْلَّوَادَانُ بِحَسْبِ اخْتِلَافِ الْلَّاثَيْنِ ، فَأَمَّا التَّبَيْعُ فَهُوَ
مَلْحٌ فِي طَلَبِ الْغَرِيمِ لِفَائِدَةِ يَرَوْمَهَا مِنْهُ ، وَالْغَرِيمُ بِحَسْبِ ذَلِكَ يَجْتَهِدُ فِي
الرُّوْغَانِ فِي الْلَّوَادِ خَوْفًا مِنْ مَكْرُوهِهِ يَلْحِقُهُ ، وَكَذَلِكَ الْتَّعْلُبُ وَالْعَقَابُ
سَوَاءً ، لِأَنَّ الْعَقَابَ تَرْجُو شَعْبَهَا وَالْتَّعْلُبَ يَخْافُ مَوْتَهَا ، وَقَالَ الشَّمَاخُ :
كَانَ عَلَى أُورَاكَهَا سَنَلُّعَابِهِ وَخِيفَةُ خَطْمِي بَمَاءِ مُرْجَرِجِ^(٤)
فَشَبَهَ لَعَابَ الْفَحْلِ إِذَا ظَهَرَ عَلَى أُورَكِهِ لَاتَّ^(٥) عَنْدَ كَدْمَهِ إِيَاهَا

(١) أَجيحُ الْكَبِيرُ : صَوْتُهُ . الشَّخْبُ : مَا خَرَجَ مِنَ الْخَرْعَنِ مِنَ الْلَّبَنِ .
امْتَاحَهَا اسْتَدَرَ لِبَنَهَا . الْمَائِحَ : الْمُسْتَدَرُ الْلَّبَنُ يَقَالُ : امْتَاحَتِ الشَّمْسُ زَفْرَى
الْبَعِيرُ اسْتَدَرَتْ عَرْقَهُ .

(٢) طَرَّقَتْ : مِنَ التَّطْرِيقِ وَهُوَ خَرْجُ بَعْضِ الْوَلَدِ عَنِ الْوَضْعِ .

(٣) تَلُوذُ : تَفَرَّ . ثَعَالِبُ : جَمْعُ مَفْرِدِهِ ثَعَلْبٌ . الْشَّرْفَيْنِ : ثَنْثِيَّةٍ
شَرْفٌ وَهُوَ مَا شَرَفَ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ اسْمٌ مَوْضِعٌ . الْغَرِيمُ : الشَّخْصُ الْمُدِينُ .
الْتَّبَيْعُ : صَاحِبُ الدِّينِ .

(٤) الْخَطْمِيُّ : بِكْسَرِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا نَبَاتٌ مَحْلَلٌ مَنْضَجٌ مَلِينٌ نَافِعٌ
لِعَسْرِ الْبَوْلِ وَالْحَصَاءِ .

(٥) جَمْعُ أَنَانَ .

بالخطمي وهو شبيه به في قوام الشخص وفي الرغوة وفي اللون أيضاً ، وذلك أن الحمار إنما يكثر كدمه ^(١) الآتن في الربيع عند خضرة الرطب ، وشره في ذلك الوقت .

وقد أحسن الشماخ في قوله حين شبه أضلاع الناقة حين براها ^{السير بالقسي المورثة :}

فقربت مبرأة كان ضلوعها من الماسخيات القسي المورث ^(٢)

مبرأة من البرة التي تجعل في الأنف من الناقة . وال MASXIAT :
قسي تنسن إلى قوم ؛ وقد أحسن الشماخ في هذا التشبيه ، من قبل اجتماع الأضلاع والقسي المورثة في الشكل والتور والأعصاب ، والأوتار ، ولم يرد إلا الشكل فقط ، وقد أني على ما فيه .

ولابن أحمر الباهلي يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة :

حتى ضحية طاوياً ذا شرة وفؤاده زجل كعرف المهدد ^(٣)

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قرب الشبه من تواتر حركة عرف المهدد

وللمرأة :

لها قلاص نعام برتفين بها كأنهن سبي لابسو الهدم ^(٤)

(١) الكدم : الجماع والواقعة .

(٢) المورث : الذي شدت بالاوتار فقد شبه ضلوع الناقة في الانحناء بالقوس وهذا تشبيه حسن بديع .

(٣) ضحية : اسم فرس الشاعر . شرة : قوة ونشاط . زجل : كثير الاضطراب والخفقان .

(٤) القلاص : فواضل ريش النعام .

فما أحسن ما شبه فواضل ريش النعام بانسدال الأطمار الرثة على
اللابس ولا سيما السببي ، فإن في مشيمهم أحجممية تشبه مشي النعام ،
وفي ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ، ففي الشيدين
اشتراك في معانٍ كثيرة .

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن :

فمنها : أن تجمع تشبيهات كبيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما
قال أمرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقاً نعامةٍ وإرخاء سرحانٍ ونقريبٍ تتفل^(١)

فأئى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله له أبطلاً
ظبي إنما هو على أنه له أبطلان كأبطلي الظبي وكذا ساقان كساقي
نعامة وإرخاء كإرخاء السرحان ونقريب كنقريب التفل .

ومنها : أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير وذلك كما
قال أمرؤ القيس :

وتعطوا برخصٍ غير شئٍ كأنه أساريعٌ ظبي أو مساويكٌ إسحل^(٢)

ومنها : أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تسلك
الأحوال كما قال أمرؤ القيس يصف الدرع في حال طبها :

ومشوددة السك موضونةٍ تضاءل في الطي كالمبرد^(٣)

(١) أبطلاً ظبي : خا صرنا ظبي وإنما خص الظبي لانه ضامر وكذلك
النعامة لأنها طويلة الساقين . الارخاء : الجري الذي فيه سهولة مأخوذ من
الرخاء وهو الريح السهلة . السرحان : الذئب . تتفل : ولد الثعلب .

(٢) تعطوا : تتناولوا . برخص : ياصابع رخصة لينة . شئ : خشنة .
أساريع : صغار . ظبي : اسم رملة . الاسحل : شجر يستراك به .

(٣) مشوددة : متداخل بعضها في بعض . السك : الدرع . تضاءل في
الطي : يعني اذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالبرد .

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال :

تفيس على المرء أرداها كفيس يأتي على الجدد (١)
وكما قال يزيد بن الطبرية يشبه رأسه في حال كون الجمة عليه
وبعد حلتها :

فأصبح رأسي كالصخيرة أشرف عليها عقاب ثم طارت عقابها (٢)

وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الخلق بالصخرة ، وذلك أنه
قريب منها في القساخمة واللامسة واللون المائل إلى خضراء . وقد قال
بعضهم في مثل ذلك :

حنا كل إملاء الأكف كأنها رؤوس رجال حلقت في الماء
وقال الحسين بن مطير يشبه أفعال رجل مات وكان جواداً :

فني عيش في معروفة بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعرا قد لزموا طريقة
واحدة من تشبيه شيء بشيء فلأن الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي
أخذ فيها عامة الشعرا ، فمن أمثال ذلك أن أكثر الشعرا يشبهون
الحوذ بالبيض كما قال سلامة بن جندل :

كأن نعاماً باض فوق رؤوسهم بني القذاف أو بني حتفت
وقال :

كأن نعام الدو باض عليهم وأعينهم تحت الحبيك الجواحر (٣)

(١) أرداها : أطرافها . يأتي : السيل . الجدد : الأرض ذات الحصا .

(٢) أشرف علىها الخ : أي علت عليها ووقفت والمراد شعر العقاب
الذى في مقدم رأسه قاتنه قد شبه رأسه قبل حلتها بالصخرة الصفيرة قد
أشرف عليها عقاب وبعد حلتها بالصخرة التي طار عنها العقاب .

(٣) الدو : الفلاة الواسعة . الحبيك : جمع حبيكة وهي البيضة .
الجواحر : البيض .

وأكثُرُ الشُّعُراء يلتَزِمُونَ هَذَا التَّشْبِيهَ فَقَالَ أَبُو شَجَاعَ الْأَزْدِي :

فَلِمْ أَرَ إِلَّا الْحَبْلَ تَدْعُ كَانِمَا سَنَوْرُهَا فَوْقَ الرُّؤُسِ الْكَوَاكِبِ (١)

وَرِبِّما كَانَ الشُّعُراء يَأْخُذُونَ فِي تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ وَالشَّبَهُ بَيْنَ هَذِينَ الشَّيْئَيْنِ مِنْ جَهَةِ مَا ، فَيَأْتِي شَاعِرٌ آخَرُ فِي تَشْبِيهِهِ مِنْ جَهَةِ أُخْرَى فَيُكَوِّنُ ذَلِكَ تَصْرِيفاً أَيْضًا مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ جَلَ الشُّعُراء يَشَبِّهُونَ الدَّرَوْعَ بِالْغَدَيرِ الَّذِي تَصْفِفُهُ الرِّبَاحُ كَمَا قَالَ أَوْسُ بْنُ حَسْرَ :

وَأَمْلَسَ صَوْلِي كَنِيْهِي قَرَرَةً أَحَسَّ بِقَاعَ نَفْخَ رَبِيعٍ فَأَجْفَلَهَا (٢)

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَعَلَيْهِ سَابِعَةُ الدَّبِيُولِ كَانِهَا سُوقُ الْجَنُوبِ جَنَابُهُ مُفْرَطٌ (٣)

وَكَثِيرٌ مِنَ الشُّعُراء يَنْحُونَ فِي تَشْبِيهِ الدَّرَوْعِ هَذَا الْمَنْحِيٌّ وَإِنَّمَا يَذَهِبُونَ إِلَى الشَّكْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ تَفْعَلُ بِالْمَاءِ فِي تَرْكِيْبِهَا لِيَاهُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ مَا يَشَبِّهُهُ فِي حَالِ التَّشْكِيلِ فَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدُلَ عَادِلًا عَنْ تَشْبِيهِ الشَّكْلِ إِلَى تَشْبِيهِ الْأَلْيَنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَلْيَنَ مِنْ دَلَائِلِ جُودَةِ الدَّرَعِ لِصَفَرِ قَنْبِرِهَا وَحَلْقَهَا :

فَأَلْقَوَا لَنَا أَرْسَانَ كُلَّ نَجِيْسَةٍ وَسَابِعَةَ كَانِهَا مَتْنُ خَرْنَقَ (٤)

وَقَالَ يَذَكِّرُ بِرِيقَهَا وَهُوَ وَجْهُ غَيْرِ الْوَجَهَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ :

(١) سَنَوْرُهَا : لِبُوسٌ مِنْ قَدِ يَلْبِسُ فِي الْحَرَبِ .

(٢) النَّهَيِّ : بِفَتْحِ النَّوْنِ وَكَسْرِهَا الْغَدَيرُ أَوْ شَبَهُهُ . الْقَاعُ : أَرْضٌ سَهْلَةٌ مَطْمَئِنَّةٌ قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجَيْبَالُ وَالْأَكَامُ .

(٣) سَابِعَةُ الدَّبِيُولِ : دَرَعٌ تَامَّةٌ طَوِيلَةٌ وَاسِعَةٌ . الْجَنُوبُ : رَبِيعٌ تَخَالَفُ الشَّمَالَ مَهِيَّبًا مِنْ مَطْلَعِ سَهْلِيْنِ إِلَى مَطْلَعِ الْثَّرِيَا . نَهَيِّ مُفْرَطٌ : غَدَيرٌ غَزِيرٌ .

(٤) أَرْسَانٌ جَمْعُ رَسْنٍ وَهُوَ الْحَبْلُ وَمَا كَانَ مِنْ زَمَامٍ عَلَى أَنْفٍ . نَجِيْسَةٌ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ . الْمَتْنُ : الْظَّهَرُ . خَرْنَقُ : أَرْبَبُ وَالْمَعْنَى دَرَعٌ لَيْنٌ كَانَهُ ظَهَرٌ أَرْبَبٌ .

مدخلةٌ من نسج داودَ سكها كنكب ضاح من عماية مُشرق

ومن التشبيه الجيد للحكم الخضري بصف غليان القدر بما فيها من قطع اللحم :

كأنَّ جدُولَ النَّابِ فيها إذا غلتْ دعَامِصُ تخشى صائداً فَعُومٌ^(١)

ولقيس بن زهير :

كأنَّ خذاريفَ السواعِدِ بَيْنَنا مَغَالِي غَوَّافٍ يَلْعَبُونَ بِهَا لِعَبا^(٢)

وللرقان أحد بن عراقة بن سعد بن زيد :

وقد سقوهن سجالاً فاستقو من أَجْنَنْ كَانِنَ الزَّبْنَ^(٣)

ثم أتبع القول في التشبيه القول في الوصف .

٥ - نعت الوصف

أقول : الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئة . ولما كان أكثر وصف الشعراة إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أنى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بمنتهى .

فمن ذلك : قول الشماخ يصف أرضًا تسير المبالغة فيها :

(١) الجذل : أصل الشيء . الناب : السن خلف الرباعية . الدعامص : جمع دعمص وهي دوبية صفيرة تكون في مستنقع الماء .

(٢) خذاريف : جمع مفردته وهو شيء يدوره الصبي بيده فيسمع له دوي .

(٣) السجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة الملوء ماء .

تفقعن في الآباء منها وفاضها خلت غير آثار الأرجيل ترمي^(١)

فقد أتى في هذا البيت بذكر الرجال ، وبين أفعالها بقوله
ترتمي ، ومن الحال في مقدار سيرها بوصفه تتحقق الوفاض ، إذ
كان في ذلك دليل على الهرولة أو نحوها من ضروب السير ودل
أيضاً على الموضع الذي حملت فيه هذه الرجال الوفاض وهي
أوعية الشمام ، حيث قال في الآباء ، فاستوعب أكثر هيئات
النبلاء ، وأتى من صفاتها بأولاها وأظهرها عليها ، وحكاها
حتى كان سامع قوله يراها .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهمذاني ، يصف حال السبيل عند انقلاب السحاب وسكون المطر :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج^(٢)

ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاء:

كعماجم الشيران ببنها ضرب تغمض دونه الحدق

ومثله قوله معاوية بن خليل النصري ، من نصر بن قعین ، يذكر
نباهة حية ، وأنه أشهر من جدل حي آخر :

فَنَحْنُ الْثَّرِيَّا وَعِبُوقُهُمَا وَنَحْنُ السَّمَا كَانَ وَالْمَرْزَمُ^(٢)

(١) الآباء : جمع أبٍ وهو باطن المثلث . الوفا : جمع وفاة وهي جمعية السهام من الأدم . والشمام شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) المسيل : موضع سيل الماء كالوادي . عجيج : صوت . تقطيع اقران السحاب . كتامة عن نزول المطر .

(٣) العيوق : كوكب أحمر مضيء بحیال الثريا في ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لأنّه يعيق الدبران عن لقاء الثريا . الرزم والرزم نجمان وهما مع الشعررين فالذراع القبوسة هي احدى الرزمتين ونظم الجوزاء أحد الرزمتين .

وأنت كواكبٌ مجھولةٌ تُرى في السماء ولا تعلم

وليزيyd بن الصمد يصف آثار خيل وأبل طردها فنجا بها :

الا ربُّ غزو ما رَكَبنا جواده وما قد عقرنا من صفيٍّ ومن قرمٍ
وأصبحن قد جاوزنَ أَسفل ذي حسا وأثارها فوقَ المصيخ كالرقم

ولعبد الرحمن بن عبد الله ألقس يصف إصغاء السامعين إلى الفتاء
الحسن المطرب وهو في سلامة :

إذا ما عج مزهراً إلَيْهَا واعجت نحوهُ أذنَ كِرَامٍ
فأصغوا نحوها الأسماعَ حتى كائِنُهُمْ وما ناموا نِيَامٌ

وللمرار بن المقد من بلعدونية يصف الفرس الكريم :

ذو مِرَاحٍ فِلَاداً وَقَرْتَهُ فَذَكُولٌ حَسْنُ الْخَلْقِ يَسِرٌ

وليزيyd بن مالك الغامدي ، يصف فعل سنابك الخيل
في الأرض :

يُثْرُنَ بِسَهْلِ الْأَرْضِ مَمَّا يَدْسُنُهُ عَجَاجًا وَبِالْحَرَانِ نَارَ الْجَاحِبِ

ولعدي بن الرقان العاملي ، يصف فعل سنابك حمارين
إذا عدوا :

يَتَعَاوَرُانِ مِنَ الْغَبَارِ مَلَاءَةً غَبَرَاءَ مُحْكَمَةَ عَمَّا نَسْجَاهَا

(١) الصفي : من الغنية ما اختاره الرئيس لنفسه ويجمع صفاتي
قال الشاعر :

كُلُّ الْمَرْيَاحِ مِنْهَا وَالصَّفَافِيَا وَحْكَمُكَ وَالنَّشِيْطَةُ وَالْفَضُولُ
القرم : الفحل *

(٢) عج : صاح مزهرا : المزهر كمنبر العود يضرب به عاجت
نحوه أذن : أي مالت وعطفت كرام : جمع كريمة والكريمة كل جارحة
شريفة كالاذن واليد *

(٣) وقرته : حملته حملًا ثقيلا *

(٤) نار الجباب : دويبة صغيرة تضيء بالليل ، والمعنى أن ما اقتدح
من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة كالجباب في حالة طيرانها
ليلاً مضيئة *

(٥) يَتَعَاوَرُانِ مِنَ الْغَبَارِ مَلَاءَةً : أي كل منهما يغير الآخر ملأة من الغبار
الذي يثيره *

تعلوي إذا علوا مكاناً نلشزاً وإذا النابك أسهلت نشراماً^(١)

ولذى الرمة :

ترى الخود يكرهن الرياح إذا جرت
وهي بها لولا التحرج تفرح
إذا ضربتها الريح في المرط أشرفت
روادها والنضم منها الموشع^(٢)

ولتتبع القول في الوصف ، بالقول في النسيب .

(١) ناشزا : مرتفعاً . أسهلت : أي سارت في أرض سهلة مستوية ذات غبار . نشراماً : الضمير للملامة أي إذا سازا في مكان عال ذهبت عنهم الملاة ، وإذا سارا في مكان سهل نشراماً فوقهم . وعدى شاعر أموي مجید .

(٢) الخود : الناعمة الحسنة الخلق جمعها خودات وخود . مسي : معشوقة ذي الرمة التحرج : الضيق والملل . المرط : بالكسر كماء من صوف أو خز جمعه مروط . الرواد : الاعجاز وذو الرمة شاعر أموي مجید في وصف الطبيعة البدوية . توفي عام ١١٧^٠

٦ - ثُغْتُ التَّصْبِيبُ

أقول إن كثيراً من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولاً : ما النسب ؟ ونحن نحمده فنقول :

إن النسب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الموى به معهن ، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسب والغزل ، والفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكان النسب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه .

والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودادات النساء ويقال في الإنسان أنه غزل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس مواقفهن ، لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلهن إليه هو الشمائل الحلوة ، والمعاطف الظرفية والحركات اللطيفة والكلام المستعبد والمزاح المستغرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء متشاج ، وإنما هو متفاعل من الشجги ، أي متشبه بمن قد شجاه الحب .

وإذ قد بان أن الذي قلناه على ما قلنا ، فيجب أن يكون النسب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصباية ، وتناظرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون من الحش واحلادة ، ومن الحشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز ، وان يكون جماع الأمر فيه ما ضد التحافظ والعزيمة ، ووافق الإنحصار والرخاوة ، فإذا كان النسب كذلك فهو المصائب به الغرض .

وقد يدخل في النسب التشوّق والتذكرة لمعاهد الأحياء بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة والحمائم الهائفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الدائرة ، وجميع ذلك إذا

ذكر احتجج ان تكون فيه أدلة على عظيم الحسنة ومن مضى
الأسف والمنازعة .

ولست اذكر مني سمعت في التشوق بآثار المديار او بجز
ولا اجمع ، ولا ادل على لاعيج الشوق ومكمد الوجد من قول
محمد بن عبيد الأزدي :

فلم تدع الأرواحُ والماء والبلائِي من الدار إلا ما يشوقُ ويشفف^(١)

ولعمرى إن عمرو بن أحمر الباهلى قد أوجز وأبان عن تشوق
وعظم تحسُّر بقوله :

معارفُ تلوى بالفؤاد وإن تقلَّ لها بيّنَ لي حاجةَ لم تكلم^(٢)

واما قوله « لم تكلم » فهو تجاهل اهائم ، وتدلل الواهله ، فإنه
قد يحتاج إلى ان يكون في شعر الواهم دليل على انه للتحزن .

ومن شاقته المنازل صخر الحضري وقد مر على ربع فقال :

بَلَيْتَ كَمَا يَبْلِي الرِّدَاءُ وَلَا أَرَى جَنَابًا وَلَا أَكَنَافَ وَزَرَّةً تَخْلَقُ
أُلُوَى حِيَازِي بَهْنَ صَبَابَةً كَمَا تَنْطُوي الْحَيَّةُ الْمُشَرَّقَ^(٣)

ومن شاقة البرق فأحس ما مر به من الشوق حبيش بن مطر
العامري ، حيث يقول ويدرك خففان قلبه :

أَجْدَكَ لَا يَبْدُو لَكَ الْبَرْقُ مَرَّةً منَ الدَّهَرِ إِلَّا ماءَ عَيْنِكَ يَنْرُفُ^(٤)

(١) الأرواح : جمع مفردته ربيع . إلا ما يشوق ويشفف : أي إلا رسوما
واثارا تسبب الشوق والشفف على ما مضى من أيام الانس والتعيم .

(٢) معارف تلوى : المعارض الآثار ، تلوى : تذهب به .

(٣) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن .

(٤) أجدهك : منصب على المصدرية ولا يقال إلا مضافا ومعنىه القسم
واليمين .

وَقَلْبَكَ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقٍ كَانَهُ بَدَأَ لَامٌ أَوْ طَائِرٌ يَنْطَرِفُ

وَلِرَجُلٍ مِنْ عَبْسٍ :

مِنَ الْأَرْضِ سُقِيًّا رَحْمَةً فَسَاقَاهَا^(١)
بِهَذِي قَطَابَ الْمُتَرَلَانَ كَلَاهَا
بَدَأَ عَنْ يَدِهِ حَتَّى وَفِي مَنْكِبَاهَا^(٢)

إِذَا اللَّهُ أَسْقَى دَمَنَتِينَ بِسِلْدَةَ
نَزَلَنَا بِهَذِي مَتَزَلَّاً ثُمَّ مَتَزَلَّاً
فَبَتُّ أَشِيمُ الْبَرَقَ مَرْتَفِقًا لَهُ

وَقَالَ الشَّمَاعَخُ :

رَأَيْتُ سَنَا بِرْقَ بَعِيدًا بَعْلُو مَا رَأَيْتُ سَحِيقَ^(٣)
فَبَاتَ مَهْمَأً لِي يَذَكِّرُ فِي الْهَوَى
وَبَاتَ فَوَادِي مَسْتَخْفَأً كَانَهُ
خَوَافِي عَقَابٍ بِالْجَنَاحِ خَفْوَقَ^(٤)

فَأَمَّا النَّسِيبُ نَفْسَهُ فَقَدْ تَقْدَمَتْ أَوْ صَافَنَا لَهُ

وَمَا اخْتَمْ بِهِ الْقَوْلُ أَنَّ الْمُحْسِنَ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِيهِ هُوَ الَّذِي يَصْفِ
مِنْ أَحْوَالِ مَا يَجْدُهُ مَا يَعْلَمُ بِهِ كُلُّ ذِي وَجْدٍ حَاضِرٌ أَوْ دَائِرٌ أَنَّهُ يَجْدُ
أَوْ قَدْ وَجَدْ مُثْلَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الشَّاعِرُ فَضِيلَةُ الشِّعْرِ .

(١) الدَّمَنَةُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) أَشِيمُ الْبَرَقَ : يَقَالُ شَامُ الْبَرَقِ نَظَرُ الْيَهِ أَيْنَ يَقْصُدُ ، وَأَيْنَ يَعْطُرُ .
مَرْتَفِقًا لَهُ : أَيْ وَاقْفًا ثَابَتَا دَائِمًا الثَّبُوتُ لَا تَنْظَرُ إِلَيْهِ .

(٣) سَنَا بِرْقَ : ضَوْءُهُ . بَعْلُو : اسْمُ مَوْضِعٍ وَفِي رَوَايَةِ يَفْلَجْ وَهِيَ
مَوْضِعٌ كَذَلِكَ بَيْنَ الْبَصَرَةِ وَهَمْنَى . مَا رَأَيْتُ : مَا بِمَعْنَى الَّذِي . سَحِيقَ : بَعِيدٌ ،
وَهُوَ تَوْكِيدٌ مَعْنَوِيٌّ لِبَعِيدٍ . وَالْمَعْنَى : الَّذِي يَلْمِعُ بَعِيدًا .

(٤) مَهْمَأً لِي : مَحْزُونًا لِي . وَحَجَازُ : الْأَرْضُ الْمُعْرُوفَةُ لَأَنَّهَا سُمِّيَتْ
بِهَذَا الْاسْمِ حَجَزَتْ بَيْنَ تَهَامَةَ وَنَجْدَ .

(٥) مَسْتَخْفَأً : اسْمُ مَفْعُولٍ اسْتَخْفَهُ الشَّيْءُ فَهُوَ مَسْتَخْفَأٌ أَيْ حَمَلَهُ الْجَهَلُ
وَالْخَفَةُ . الْخَوَافِيُّ : جَمِيعُ خَافِيَّةٍ وَهُنَّ رِيشَاتٌ أَذَا ضَمَّ الطَّائِرَ جَنَاحِهِ خَفَيْتُ .
هَذَا وَالشَّمَاعَخُ شَاعِرٌ مُخْضُرٌ مَوْتَفِيٌّ عَامَ ٢٢٢ هـ .

فمن ذلك قول أبي صخر المذلي يصف ما ارى ان كل متعلق
بعوده يجد مثله قوله :

أماتَ وأحياَ والذِي أَمْرَهُ الْأَمْرَ^(١)
بِتَاتَ لِأَنْحَرِي الدَّهَرَ مَا طَلَعَ الْفَجْرَ
فَأَبْهَتُ لَا عَرَفَ لَدِيَّ وَلَا نَكْرَ
كَمَا قَدْ تُسْنِي لَبَّ شَارِبَهَا الْمَعْرَ

أَمَا وَالذِي أَبْكَى وَأَضْحَلَكَ وَالذِي
لَقَدْ كَنْتُ آتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرَهَا
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَهَا
وَأَنْسَى الَّذِي قَدْ كَنْتُ فِيهِ هَجْرَتَهَا

وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ إِيْضًا مَوْبِعُ آخِرٍ ، دَالٌ عَلَى إِفْرَاطِ الْمَحْبَةِ
مَبْيَنٌ عَنْ سَجِيَّةِ فِي أَهْلِ الْهَوَى عَامَةً وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِذَا ظَلَمْتَ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ لِي عَذْرٌ
لِي الْهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبْرٌ
عَلَى هَجْرِهَا مَا يَفْعَلُّ بِي الْهَجْرُ
وَيَعْنِي مِنْ بَعْدِ إِنْكَارِ ظَلَمَهَا
مَحَافَةُ أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ لَأَنْ بَدَا
وَإِنِّي لَا أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

يُوَدُّ بِأَنْ يَمْسِي سَقِيمًا لِعَلَيْهَا
إِذَا سَمِعْتَ عَنْهُ بُشْكُوِي تُرَاسِلَهُ^(٢)
لِتَحْمِدَ يَوْمًا عَدَ لِي شَمَائِلَهُ
وَيَهْتَرُّ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلْبِ الْعُلُوِّ

فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْقَوْلَاتِ فِي الْغَزْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الشَّاعِرُ قَدْ أَبَانَ
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَنْ أَعْظَمِ وَجْدٍ وَجَدَهُ مَحْبٌ ، حِيثُ جَعَلَ السَّقِيمَ
أَيْسَرَ مَا يَجِدُ مِنَ الشَّوْقِ ، فَإِنَّهُ اخْتَارَهُ لِيَكُونَ سَبِيلًا إِلَى أَنْ يَشْفَى
بِالْمَرَاسِلَةِ فَهُوَ أَيْسَرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْوَامِقُ وَأَدْنَى فَوَائِدِ الْعَاشِقِ ، وَأَبَانَ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَنِ إِعْظَامِهِ شَدِيدَهُ مِنْهُ الْمَرْأَةِ حِيثُ لَمْ يَرْضِ لِنَفْسِهِ

(١) كَرَرَ الَّذِي لِلتَّفْخِيمِ . وجوابِ الْقُسْمِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَنْتَيْ « لَقَدْ
كَنْتُ آتِيهَا » .

(٢) سَقِيمًا : مَرِيَضًا . شَمَائِلَهُ : طَبَائِعَهُ مَفْرَدَ شَمَالٍ .

كُوُّتها على سجيتها الأولى ، حتى احتاج إلى أن يتتكلف سجايها مكتسبة يتزين بها عندها ، وهذه غاية المحبة ، ووصف الشاعر بذلك هو الذي يستجاد لاعتقاده إذا كان الشعر إنما هو قول ، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد ، لأنه قد يجوز أن يكون معتقد لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد ، بحيث لم ينكروه وإنما اعتقدواه فقط ، ولم يدخلوا في باب من يوصف بالشعر والقول والنسيب قول طريح التففي :

بسانَ الخلِيطِ وفرقَ الشَّمَلِ
وعلَى التَّفَرُّقِ ما بَدَا الْوَصْلِ
أَبْكَاهُ مِنْهُمْ مَا فَرَحَتْ بِهِ
ولكُلِّ مُولَدٍ فَرْحَةٌ ثُكَلِ

ومن هذه الأبيات :

مُسْوَدَةٌ خَلَقْتَ فَعَلَيْتُهَا
خُوطٌ وَمَعْقَدٌ مَرَطَتِهَا عَبْلُ^(١)
فَمِنْ أَلْفَ كَأْنَهِ رَمَلُ^(٢)
يُسْجِي إِذَا مَا قَلَتْ أَخْفَضَهُ^(٣)
وَقِيَامَهَا حَسْمٌ وَضَحْكَتِهَا^(٤)
وَعَلَّا بِهَا عَظَمٌ فَالْحَقَّهَا^(٥)
بَسَانُهَا وَلَدَانُهَا بَسْلٌ

ولأبي صخر المخنلي في التصابي والخلاء :

أَرَادَ الشَّيْبَ مِنْشَيْ خَلَلَ نَفْسِي
لَأَنْسَيَ ذَكْرَ رَبَّاتِ الْحِيجَالِ^(٦)

(١) بان : تفرق وابتعد . الخليل : الشريك .

(٢) ممسودة : مجولة الخلق . خوط : ناعم رفيع كالغضن . ومعقد مرطها عبل : أي عنقها ضخم .

(٣) البريم : خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشد المراة على وسطها وعضدها . الفعم : التي استوى خلقها وغلوظ ساقها فهي فعمة .

(٤) يسجي : يقطن . منكشطا : مرتفعا .

(٥) رتل : حسن .

(٦) خلل نفسي : خداعها .

إذا اختصم الصبي والشيبُ عندي فألجت الشبابَ فلا أبالي^(١)

فقد أتيانا من ذكر نعوت الأغراض التي تحتتها الشعراء من المعاني ، وهي : المديع — والهجاء وغيرها مما عدناه وشرحنا أحواله ، على ما فيه كفاية لمن له فهم ، وعنه نظر وفحص .

وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء فإنما هي أجزاء من جملة ، وما تكلمنا به فيها مع ما بيناه فيه من الحال فيه مثلاً لغيره واعتباراً في ما لم نذكره .

فأما ما يعم جميع المعاني الشعرية فإننا نبتدئ بذكره وتعديله ، فمن ذلك :

١ - صحة التقسيم

وهي أن يبتدئ الشاعر فيوضع أقساماً، فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها ، مثال ذلك قول نصيبي يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخاري :

فقالَ فريقُ القومَ لا وفريقيهمْ نعم وفريقيْ قالَ ويلك لا أدرني
فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سُئل عنه غير هذه
الأقسام

ومثل ذلك أيضاً قول الشماخ بصف صلابة سنابك الحمار
وشدة وطئه على الأرض :

مني وقعت أرساغهُ مُطمئنةً على حجرٍ برفضٍ أو يتدرج^(٢)

(١) أفلجت الشباب : نصرت الشباب وجعلته ظافراً . وأبو صخر شاعر أموي مجيد .

(٢) أرساغه : جمع رسغ ، والرسغ بالضم وبضمتين الموضع المستدق بين الحافز وموصل الوظيف من اليد والرجل ويجمع أيضاً على أرسغ . مطمئنة : ساكنة . يرفض : يتفرق ويدهباً . يتدرج : يقتابع .

فليس في أمر الوطن الشديد إلا أن يوجد الذي يوطأ عليه
رخواً فيرض أو صلباً فيدفع .

ومثال ذلك أيضاً قول الأسرع بن حمدان الجعفي يصف
فرساً على هيئة جميع جهاته :

أما إذا استقبلته فكأنّه
باز يُكْنِكِنْ أَن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوّقه
ساق فموص الواقع عارية النساء^(١)
أما إذا استعرضته متمطّراً
فتقول هذا مثل سرحان الغضا^(٢)

فلم يدع هذا الشاعر قسماً من اقسام النسبة التي يرى الفرس
عليها إلا أتى به . وقد يجوز أن يظن ظان في قولنا أن هذا
الشاعر قد أتى بجميع الأقسام : وكل جسم فله ست جهات
فإذا ذكرت حال أربع منها بقيت جهتان لم تذكرا : وحل هذا
الشك إن وقع من أحد هو أن هذا الشاعر إنما وصف فرساً لا جسماً
مطلاً وللفرس أحوال تختلف بها من أن تتصبّ على كل نسبة ،
ومن ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان
من الفرس ، إذا كان على بسيط الأرض وكان الرجل قائماً
او قاعداً . إذ كانت هذه الحال التي يرى الناس عليها الخيل
في أكثر الأمر ، فاما مثل أن يكون الإنسان في علية فيرى من
الفرس اعلاه فمما يبعد ما يقع ذلك ، ولم يقصده الشاعر ، ولا
له وجه في أن يريده ، إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد
من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره ، وهو أن تستقبل او تستدبر او
تستعرض من أحد الجانبين .

ومثال هذا الباب أيضاً قول (ابي) زيد الطائي :

(١) عارية النساء : النساء عرق من الورك إلى الكعب .

(٢) سرحان : الذئب . الغضا : نوع من الشجر .

يا اسم صبراً على ما كان من حديث إن الحوادث ملقي ومتغيرة^(١)
 فليس في الحوادث إلا أن تكون قد لقيت أو يتضرر لقيها .
 ومن أنواع المعاني واجناسها أيضاً :

٢ - صحة المقابلة

وهو أن يصنع الشاعر معانٍ يريد التوفيق بين بعضها وبعض
 والمخالفة ، فيأتي في الموفق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على
 الصحة ، أو يشرط شرطًا ويعدد الحالات في أحد المعينين ، فيجب
 أن يأتي في ما يوافقه بمثيل الذي شرطه وعده ، وفي ما يخالف
 بقصد ذلك ، كما قال بعضهم :

تقاولن واحلوين لي ثم إنـه أنت بعد أيام طوال أمرـتـ
 فقابل القصر والحلوة بالطول والمرارة ، ومثله قول الآخر :
 وإذا حديث ساعـني لم أكتـب وإذا حديث سـرـني لم أـشـير^(٢)
 فقد جعل بيازاء سـرـني ساعـني ، وبيازاء الاكتـابـ الأـشـرـ
 وهذه المعانـي غـاـيـةـ فيـ التـقـاـبـلـ .

ولعـيلـ بنـ حـجاجـ :

تشـقـ فيـ حـيـثـ لمـ تـبـعـدـ مـصـعـدـةـ وـلـمـ تـصـوبـ إـلـىـ أـدـنـىـ مـهـاـوـيـهاـ
 فـجـعـلـ بـيـازـاءـ قـوـلـهـ «ـتـبـعـدـ مـصـعـدـةـ»ـ أـدـنـىـ مـهـاـوـيـهاـ وـلـوـ جـعـلـ
 بـيـازـاءـ الـيـاءـ الـبـعـادـ فـيـ الصـعـودـ الـهـوـيـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـقـولـ أـدـنـىـ الـهـاـوـيـيـ
 لـكـانـتـ الـمـقـاـبـلـةـ نـاقـصـةـ .ـ كـمـاـ قـالـ تـبـعـدـ قـالـ أـدـنـىـ ،ـ وـلـوـ قـالـ «ـلـمـ تـبـعـدـ»ـ
 لـقـنـعـ مـنـهـ بـأـنـ يـقـولـ تـحـوـيـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـأـتـيـ بـالـدـنـوـ .ـ

(١) يا اسم : منادي ترخيم أسماء . الحدث : ما يحدث للإنسان من
 أحوال الدهر وأحداثه وأبو زيد شاعر مخضرم توفي عام ٤١ هـ وكان مجيداً
 في وصف الأسد .

(٢) لم أكتـبـ : لم أـحـزـنـ .ـ الـأـشـرـ :ـ الـمـرـحـ .

وللطراطمح بن حكيم :

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دَمَاهُمْ التَّرَابًا
فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ وَلَا أَدَّوْا لِحُسْنٍ يَدِيْ ثَوَابًا (٤١)
فَجَعَلَ يَلِزَاءَ إِنْ سَقَوْا دَمَاهُمْ التَّرَابَ وَقَاتَلُوهُمْ إِنْ يَصْبِرُوا،
وَيَلِزَاءَ إِنْ نَعْمَمُوا عَلَيْهِمْ إِنْ يَشْبِيُوا .

ولائحة

جزَى اللهُ عَنْهُ ذَاتَ بَعْلِ تَصْدِيقَتْ عَلَى عَزِيزٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلٌ^(١)
فَإِنَّا سَنَجْزِيْهَا كَمَا فَعَلَتْ بِنَا إِذَا مَا تَزَوَّجَنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلٌ^(٢)

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع م مقابل ان تكون المرأة ذات
بعل (انه عزب) ، و مقابل حاجته وهو عزب ب حاجتها وهي عزبة ،
من غير أن يغادر شرطاً ولا أن يزيد شيئاً .

٣ - ومن أنواع المعانى صحة التفسير

وهو أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحواهـا في شعره الذي يصنـعه فإذا ذكرـها أتـي بها من غير أن يخالفـ معنى ما أتـي بها منها ولا يزيدـ أو ينقصـ مثل قولـ الفرزدقـ (٤) رحـمه اللهـ :

لقد جئتُ قوماً لو بحاتُ إليهم طريدَ دم أو حامِلاً ثقلَ مغزم
فلمَّا كانَ هذَا الْبَيْتُ مُحْتَاجاً إِلَى نَفْسِيْمَ قَالَ :

(١) يد : اليد النعمة مجاز مرسل علاقته السببية . والطرماح شاعر أموي من زعماء الخوارج توفي عام ١٢٥ هـ وقد حقق ديوانه عزة حسن وهو مطبوع بدمشق عام ١٩٦٨ .

٤) البعل : الزوج . عزب : العزب محركة من لا أهل له .

٣) سنجزیها : سنگافئها و یروی سنچدیها .

^{٤)} الفرزدق شاعر العصر الاموي توفي عام ١١٠ هـ .

لأنهيتُ فيهم مُعطياً أو مُطاعناً . . . ورائد شرراً بالوشيجِ المقوم
 ففسر قوله حاملاً ثقل مغم بقوله إن يلقيَ ، فيهم من يطاعن
 دونه ويحميه .

ومثله قول الحسين بن مطير الأسدية^(١) :
 قوله بلا حزنٍ ولا بسراً ضحكٌ يُراوح بينهُ وبكاءٍ
 ففسر بلا حزن بكاء ولا بسراً بضحك .

وقال صالح بن جناب اللخمي :
 لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم لانني إلى الجهل في بعض الأحيان أخرج^(٢)

وفسر ذلك بأن قال :
 ولِيَ فرسٌ لِلْحَلْمِ بِالْحَلْمِ مُلْجَمٌ ولِيَ فَرْسٌ الْمَجْهُلُ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ^(٣)
 فلم يزد المعنى ولا نقص منه ، ثم فسر البيت الثاني أيضاً فقال :
 فمن رام تقويمِ فلاني مُقْوَمٌ وَسِنْ رَامْ تَعْوِيْمِي فلاني مُعْوَجٌ

وقال سهل بن مروان :
 فواحسرتني حتى متنى القلبُ مُسْوَجٌ بقصدِ حبيبٍ أو تذر لِفَضَالِ

(١) شاعر من مخضري الدولةين توفي عام ١٦٩ م .

(٢) المراد بالجهل هنا الغضب .

(٣) ملجم: أي أن الحلم لا جمعه ومانعه من الواقع في المكروه . ومسرج: أي أن الجهل لتمكنه فيه كانه مسرج فيه . وينسب هذا البيت وما بعده للأمام علي .

وَفَسَرَ ذَلِكَ فَقَالَ :

فَرَاقٌ خَلِيلٌ مِثْلِهِ يُورِثُ الْأَسْى
وَخَلْلٌ حَرٌّ لَا يَقُومُ بِهَا مَالِي

٤ - وَمِنْ أَنْوَاعِ نَعْوَتِ الْمَعْنَى التَّقْتِيمِ

وَهُوَ أَنْ يَذَكُرُ الشَّاعِرُ الْمَعْنَى فَلَا يَدْعُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَتَمَّ
بِهَا صَحَّتِهِ وَتَكَمَّلَ مَعَهَا جُودَتِهِ شَيْئاً إِلَّا اتَّى بِهِ ، مِثْلُ قَوْلِ نَافِعِ بْنِ
خَلِيفَةِ الْعَنْوَى :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبِلُ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَرُهُ عَادُوا بِالسَّيْفِ الْقَوَاطِعِ^(١)
فَمَا تَمَّتْ جُودَةُ الْمَعْنَى إِلَّا بِقَوْلِهِ : يُعْطَوْهُ وَإِلَّا كَانَ الْمَعْنَى
مِنْقَوْصِ الصَّحَّةِ .

وَمِثْلُ قَوْلِ عَمِيرِ بْنِ الْأَيْمَمِ التَّغْلِبِيِّ :

بِهَا نَلَّا الْقَرَائِبُ مِنْ سُوَانَّا وَأَحْرَزَنَا الْقَرَائِبُ أَنْ تَنَالَ
وَالَّذِي أَكْمَلَ جُودَةَ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ « وَأَحْرَزَنَا الْقَرَائِبُ
أَنْ تَنَالَ » مَعَ أَنْهُمْ نَالُوا الْقَرَائِبَ مِنْ سُوَانِهِمْ .
وَمِثْلُهِ قَوْلُ طَرْفَةِ :

فَسَقِيَ دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(٢)
فَقَوْلُهُ « غَيْرَ مُفْسِدِهَا » أَنَّمَا يَحْمُدُ مَجْوِدَةَ مَا قَالَهُ لَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقُلْ
غَيْرَ مُفْسِدِهَا لَعِيبٌ كَمَا عِيبُ ذُو الرَّمَةِ^(٣) فِي قَوْلِهِ :
أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَمِيَّ عَلَى الْبَسِيلِ لَوْلَا مُسْهِلًا بِعِرْعَائِكَ الْقَعْدُ

(١) عَادُوا : التَّجْنِيَّا .

(٢) صَوْبُ الرَّبِيعِ : اِنْصِبَابِهِ . الدِّيمَةُ : الْمَطْرُ الدَّائِمُ . تَهْمِي : تَسْبِيلُ
غَيْرِ مُفْسِدِهَا : تَقْتِيمُ وَاحْتِرَاسُ الْمُدِيَارِ مِنَ الْهَدَمِ . وَطَرْفَةُ مِنَ الشَّعْرَاءِ
الْجَاهِلِيِّينَ أَصْحَابُ الْمَعْلُوقَاتِ وَأَشْهَرُهُمْ وَاحِدَةُ مَاتَتْ عَنْ سِتَّةِ وَعِشْرِينَ رَبِيعَهَا
(٥٤٠ - ٥٦٦ م) .

(٣) شَاعِرٌ بَدْوِيٌّ وَصَافٌ لِلْطَّبِيعَةِ وَبَيْتَهُ الْبَادِيَّةُ . تَوَفَّى عَامَ ١١٧ هـ .

فإن الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه
إفساداً للدار التي دعا لها ، وهو أن تعرف بكثرة المطر . ومثل قول
مضرس بن رباعي :

والمانعونَ إذا كانت مانعةٌ والعائدونَ بمحاسنهم إذا قيلوا

ومثل قول عبيد الراعي :

لا خيراً في طول الإقامة للقى إلا إذا ما لم يجد متحولاً^(١)

ومثل قول كعب بن سعد الغنوبي :

حليمٌ إذا ما الحلم زينَ أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

ومثل قول الأسود بن يعفر :

ألاَ منْ لآمِنِي إِلَّا صَدِيقٌ فلائقٌ صاحِبٌ كَأَيِّ زَيَادٍ

ومثل قول حسان بن ثابت^(٢) :

لم تفتها شمسُ النهار بشيءٍ غير أنَّ الشَّابَ لِيْسَ يَدُومُ

ومثل قول أعشى باهله :

لا يصعب الأمر إِلَّا رِبَثٌ يَرْكِبُه وكل أمرٍ سُوِّيَ الفحشاء يَأْتِمُ^(٣)

ومثل قول النمر بن تولب :

لقد أصْبَحَ الْبَيْضُ الْغَوَانِيَ كَأَنَّمَا يَرِينَ إِذَا مَا كَنْتَ فِيهِنَّ أَجْرِبُا^(٤)

(١) يحبب الشاعر في السفر والتنقل . والراغب شاعر أموي مجيد . توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) شاعر رسول الله توفي عام ٦٠ هـ ويروى أن وفاته عام ٥٤ هـ .

(٣) الريث : الابطاء .

(٤) الْبَيْضُ الْغَوَانِي : النساء الحسان .

وَكُنْتُ إِذَا لَاقَتِهِنَّ بِيَلْدَةَ يَقْلُنَّ عَلَى النَّكْرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا
فَقُولُهُ «عَلَى النَّكْرَاءِ» أَتَمْ جُودَةَ الْمَعْنَى وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ مَعْرِفَةٌ
لَمْ يَنْكُرْ أَنْ يَقْلُنَ لَهُ : أَهْلًا وَمَرْحَبًا .

٥ - ومن أنواع نعوت المعاني المبالغة

وَهِيَ أَنْ يَذْكُرُ الشَّاعِرُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ فِي شِعْرٍ لَوْ وَقَفَ عَلَيْهَا
لِأَجْزَأُهُ ذَلِكَ فِي الْغَرْضِ الَّذِي قَصَدَهُ ، فَلَا يَقْفَ حَتَّى يَزِيدَ فِي مَعْنَى مَا
ذَكَرَهُ مِنْ تَلْكَ الْحَالِ مَا يَكُونُ أَبْعَاجُ فِي مَا قَصَدَ ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ
عَمِيرَ بْنِ الْأَبْيَمِ التَّغْلِبِيِّ :

وَنَكْرَمُ جَارَتَا مَا دَامَ فِينَا وَنَبْعَثُ الْكَرَامَةَ حِيثُ سَارَا

فَإِكْرَامُهُمْ لِلْجَارِ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الْمَوْصُوفَةِ ،
وَاتِّبَاعُهُمُ الْكَرَامَةِ حِيثُ كَانَ مِنَ الْمَبَالَعَةِ فِي الْجَمِيلِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَكْمَ الْخَضْرَى :

وَأَقْبَحَ مِنْ قَرْدٍ وَأَبْخَلٌ بِالْقَرَىِ مِنَ الْكَلْبِ وَهُوَ غَرَثَانٌ أَعْجَفُ^(١)

فَقَدْ كَانَ يَجْزِي فِي الدَّمِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَهْجُو أَبْخَلُ مِنَ الْكَلْبِ ،
وَمِنَ الْمَبَالَعَةِ فِي هَجَائِهِ قَوْلُهُ «وَهُوَ غَرَثَانٌ أَعْجَفُ» .

وَمِنْ هَذَا الْجَنْسِ لِدَرِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ :

مَنِي مَا تَدْعُ قَوْمَكَ ادْعُ قَوْمِيِّ فَيَأْتِي مِنْ بَنِي جَسْمٍ فَثَيَامُ^(٢)
فَوَارَسٌ بِبَهْمَةٍ حُشْدٌ إِذَا مَا بَدَأَ حَضْرُ الْحَيَاةِ وَالْحَذَامُ^(٣)

(١) القرى : الطعام . الغرثان : الجائع . الاعجف : النحيف الذي ذهب سنه .

(٢) الفثام : الجماعة من الناس ودرید بن الصمة شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم ، وقتل في حنين عام ٨ هـ .

(٣) البهمة : الجيش .

والبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قوله الحية :

ومنه للحكم الخضرى أيضاً :

فكن يا جارهم في خير دار فلا ظلم عليك ولا جفاء

فقوله « فلا ظلم عليك ولا جفاء » توكيده وبالغة .

ومنه قول رواش بن تميم ، أحد الغطارييف ، الأزدي :

ولما لعنطى النصف منا وإنما لتأخذه من كل أبلغ ظالم ^(١)

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

ومنه قول مضر من ^(٢) :

بهم تمرى الحرب العوان ^١ وفيهم تؤدى القروض حلوها ومريرها

فقوله « ومريرها » ببالغة .

وكذلك قول أوس بن غافع الحجيبي :

هم تركوك أسلع من حبارى رأت صررا وأشرد من نعام ^(٣)

٦ - ومن نعوت المعانى التكافؤ ^(٤)

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلّم فيه . أي معنى كان . ف يأتي بمعنىين متكافئين .

والذى أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من

(١) النصف : الحق كاملاً . الأبلغ : المكبر .

(٢) مضرس شاعر حسن التشبّه والوصف ، وهو مضرس (٢٩٠)

معجم الشعراء ، ٢٩٢/٢ (الخزانة) . تمرى الحرب : يشتقد وطيسها .

(٣) الحبارى : طائر .

(٤) هو الطيّاق

جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول أبي الشعب العبسي :

حُلُو الشَّمَائِلُ وَهُوَ مَرْ بَاسِلٌ يُحْمِي الدَّمَارَ صَبِيْحَةَ الْأَرْهَانَ^(١)

فقوله « مر وحلو » تكافؤ .

ومثل قول أم الصحاح المغاربية :

وَكَيْفَ يَسَاوِي خَالِدًا أَوْ بَنَالَهُ خَمِيصًا مِنَ السَّقْوَى بِطَبِينٍ مِنَ الْخَمْرِ^(٢)

فقوله « خميس وبطين » تكافؤ .

ومثل قول طرفة :

بَطِيءٌ إِلَى الْجَلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَاءِ ذَلِولٌ بِإِجْمَاعِ الرِّجَالِ مَلَهَّهُ مَدِ^(٣)

فقوله « سريع وبطيء » تكافؤ .

ومثل قول زهير^(٤) :

حَلَمَاءُ فِي النَّادِي إِذَا مَا جِشَّهُمْ جَهَلَاءُ يَوْمَ عَجَاجَةِ وَلِقَاءِ

فقوله « حلماء وجهلاء » تكافؤ .

ومثل قول حميد بن ثور :

فَلَمْ أَرَ مَخْزُونًا لَهُ مِثْلُ صُوتِهِ وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا

فقوله « عربي وأعجم » تكافؤ .

(١) الشمائل : جمع الشمائل : الطبع . الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) الخميسن : الضامر البطن . بطين من الخمر : أي كثير الشرب لها .

(٣) الجلي : الشيء العظيم . الخناء : الفحش . ملهه : مدفع يدفعه الناس .

(٤) زهير حكيم الشعراء في الجاهلية ومن القادة من يضعه على رأس الشعراء الجاهليين ، وكان من أسرة شاعرة ، وهو من أصحاب المعلقات . توفي نحو عام ١٢ ق هـ .

ومثل قول الآخر :

بطاء عن الفحشاء لا يحضر ونها سراغ إلى داعي الصباح المثوب^(١)

ومثل قول عباس بن مرداس :

مطهِّماً خلقه شمَّا ستابكُهُ صعلاً على أنَّ في الجنبَين أَجفاراً^(٢)

فجعل « صعلاً » مكافئاً لأَجفار .

ومثل قول الفرزدق :

فَتِي السَّنْ كَهْلُ الْعِلْمِ قَدْ عَرَفْتَ لَهُ قَبَائِلُ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَأَبَادَ^(٣)

قوله « فَتِي » مكافأة لقوله « كَهْلٌ » .

وقال الفرزدق أيضاً :

لَعْمَرِي لَئِنْ قَلَّ الْحَصَى فِي رِجَالِكُمْ بَنِي نَهْشَلَ مَا لَوْمَكُمْ بِقَلْبِي^(٤)

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب .

واستجاد الناس قول دعبل حين روي أنه قال :

لَا تَعْجِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَّكَهُ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى^(٥)
لَأَنَّ ضَحْكَهُ وَبَكَى مَكَافَأَةً .

(١) بطاء عن الفحشاء : قليلو الاسراع اليها . داعي الصباح : المؤذن للفجر . المثوب : الداعي إلى الصلة .

(٢) المطهم : كعظام السمين الفاحش السمن . السنبلة : طرف الحافر . الصعل : الطويل وقيل الدقيق الرأس والعنق . الجفر : ما عظم واستكرش يجمع على أَجفَار . و Abbas شاعر صاحبِي جليل من المخضرمين .

(٣) فتى السن : صغير السن . كهل العلم : قديم فيه . الدنى وأباد : اسماً لموضعين تقطن بينهما تلك القبائل .

(٤) الحصى : العدد .

(٥) ضحك المشيب : أي اشتد بياض شعره . و دعبل شاعر عباسى مشهور توفي عام ٢٤٦ هـ .

وقد أتى المحدثون من التكافؤ بأشياء كبيرة ، وذلك أنه بطبع
أهل التحصيل والروية في الشعر والتطلب لتجنيسه أولى منه بطبع
القائلين على الماجس^(١) بحسب ما يسع من الخاطر مثل الأعراب ومن
جرى مجراهم^(٢) على أن أولئك^(٣) بطبعهم قد أتوا بكثير منه وقد
قدمنا بعضه وما للمحدثين في ذلك [أكثر] مثل قول بشار^(٤) :

إذا أيقظتك حروب العِدَى فنبه لها عمراً ثم نَمَ

فـ « نَبَهْ » « ونَمْ » تكافؤ .

وله أثر في تجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً « فجرد لها عمراً »
لم يكن هذه اللفظة لـ « نَبَهْ » من الموضوع مع نَمَ .

٧ - ومن نعوت المعاني الالتفات

وهو أن يكون الشاعر آنذاً في معنى ، فكانه يعرضه إما شك
فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود
راجعاً إلى ما قدمه فلما أن يذكر سببه ، أو يحمل الشك فيه ، مثال ذلك
قول المغطى في بني رهم من هذيل :

تبين صلاةُ الحرب مَنْتَا وَمِنْهُمْ إِذَا مَا التَّقَيْنَا وَالْمَسَالِمْ بَادِنْ^(٥)

فقوله بادن ، رجوع عن المعنى الذي قدمه ، حين بين أن علامه
صلاة الحرب أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً .

(١) أي على القرىحة فهو عند أصحاب الصنعة أكثر منه عند أصحاب
الطبع .

(٢) من هم من أصحاب الطبيع .

(٣) أي أصحاب الطبيع .

(٤) زعيم المحدثين توفي عام ١٦٧ هـ .

(٥) الباذن : السمين .

وقول الرماح بن ميادة :

فلا صرمه يبدُّ و في اليأس راحة ولا وصاها يبدُّ لَنَا فتُكَارِمُهُ^(١)

فكأنه [وهو] يقول « وفي اليأس راحة » التفت إلى المعنى لتقدير أن معارضًا يقول له ما تصنع بصرمه؟ فقال لأن في اليأس راحة .

ومن هذا الجنس قول عبيدة الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر :

أجمل إذا ما كنت لا بدَّ مانعاً وقد يمنع الشيء الفتى وهو محمل^(٢)

ومنه قول امرىء القيس :

يا هل أتاك وقد يحدث ذو الود القديم متنة الذَّحل^(٣)

فكأنه لما قال « أتاك » وكان المعنى مسرعين مظهراً وهم أن المخاطب يقول له : كيف يبلغني فقال وقد يحدث ذو الود القديم متنة النَّحل .

وقول طرفة :

وتكتَّ عنكَ مَخِيلَةِ الرَّجُلِ العَرِيفِ مَوْضِعَةُ عَنِ الْعَظِيمِ^(٤)

بحَسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالْكَلْمُ الْأَصْبَلُ كَأَرْغَبِ الْكَلْمِ^(٥)

فكأنه لما بلغ بعد « حسام سيفك أو لسانك » قدر أن معارضًا يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف واللسان واحداً فقال : والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها اتساعاً .

(١) صرمه : الصرم القطع .

(٢) أجمل : أحسن وتلطف في المنع . والرماح بن أبىد واسم أمّه ميادة : شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين ، وكان جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٨٥ / ٢ - ١١٦ الأغاني ، ١٤٢ / ١١ - ١٤٨ معجم الأدباء ، ٧٧ / ١ الخزانة) .

(٣) الذَّحل : الشار .

(٤) تكتَّ : ترد وتمعن ويروى تصد . العريف : كسكوت الذي يتعرض للناس بالشر .

(٥) الحسام : السيف القاطع .

ومنه قول جرير بن ربعان :

ففي قوله « والحر يصبر » التفاتا إلى أول كلامه .

★ ★ ★

وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الإستغراب والطرافة بأن يكون المعنى مما لم يسبق إليه ، وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف لأن المعنى المستجاد إذا كان في ذاته جيداً فلما أن يقال له جيد إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله ، فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فإذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف فمثل تشبيههم الدروع بمحاب الماء الذي تسوقه الرياح فإنه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراً إياه قدماً أو حديثاً .

وأما طريف وغريب لم يسبق إليه وهو قبيح بارد فحمله الدنيا مثل
أشعار قوم من المحدثين سبقو إلى التردّي فيها .

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ،
بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر، إذ كانت المعاني مما لا يجعل
القيقع منها حسناً لسبق السابق إلى استخراجها، كما لا يجعل الحسن
قيحاً للغفلة عن الاتباد.

وأحب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف
الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما ، وإذا تأملوا هذا الأمر نعيمًا علموا
أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعانٍ واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى
استخراجـه ، لا الشعر .

(١) معاذيل : جمجم مفرد معزّل وهو من لا رحم له . المقام : الحرم .

ولنتبع بذلك المعانى وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردة
ذكر الأربعة المركبات التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب .
ولنبدأ بأولها وهو :

١ - نعت انتلاف اللفظ مع المعنى

من أنواع انتلاف اللفظ مع المعنى :
المساواة :

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص
عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً ، فقال :
كانت ألفاظه قوالب معانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على
الآخر .

وذلك مثل قول أمير المؤمنين :

فإن تكثروا الداء لا تخفه
وإن تبعثوا الحرب لا تفقد^(١)
وإن تقصدوا الدم لا تتصدى^(٢)

ومثل قول زهير :

ومهما يكن عند أمير المؤمنين من خلية
وإن خالها تخفي على الناس تعلم^(٣)

ومثل قوله :

(١) لا تخفه : لا تظهره ، أي إذا دفنت ما بيتنا من فتن لا تثيرها نحن .
وان تبعثوا إلى الحرب لا تفقد ويرى لا تفقد . والمعنى أنكم اذا أثربتم الحرب
ثرنا بها ولا تفقد .

(٢) وان تقصدوا الخ أي اردتم حقن الدماء لا تخالفكم في ذلك .

(٣) الخلية : الطبيعة . والمعنى أن من كتم خليقته على الناس وظن
انها تخفي عليهم فلا بد أن تظهر .

إذا أنت لم ترْحلَ عن الجهل والخنا
أصبتَ حلينا أو أصحابكَ جاهل^(١)

ومثل قوله :

سعى بعدهم قومٌ لكي يُدْرِكُوهُم
فلم يُدْرِكُوا ما أَدْرِكُوهُ ولم يَأْلُوا^(٢)

ومثل قول طرفة :

لَعْمَ رُكَّ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَنْطَخَ أَفْتَى
لِكَالْطَّوْلِ الْمُرْخِيِّ وَثَنَيَاهُ بِالْيَدِ^(٣)
سَتُبَدِّي لِكَ الْأَيَّامُ مَا كَنَّتْ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوَّدِ^(٤)

ومثل قول خالد بن ذهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي :
فَلَا تَجِزَّ عَنْ مِنْ سَنَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا
فَأَوْلُ رَاضٍ سَنَةٌ مَنْ يَسِيرُ هَا^(٥)

ومثل قول ليل الأخبلية :

فَلَا يُبَعِّدُكُنَّكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّا
لِفَاءَ الْمَنَابِيَا دَارِعًا مِثْلَ حَاسِرٍ^(٦)

ومن أنواع اتلاف اللفظ والمعنى :

الإشارة :

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيّاهـ ،

(١) ترْحل : تبعد . الخنا : الفحش . هذا وزهير من أشهر الشعراء الجاهليين ، ومن أصحاب المعلقات وشهر بالحوليات وبالحكمة . توفي نحو ١٢ ق . هـ (١٢٧٥) الخزانة - الشعر والشعراء - (الاغاني) .

(٢) سعى بعدهم قوم الخـ أي تقدم هؤلاء في المجد والشرف وعلو المنزلة وسعى على آثار قوم آخرون لكي يدركوهـ فلم يمكنهم .

(٣) لعمـك : يفتح العين أقسم بحياتك ان الموت لا يخطـ الفتـ .
الطول : الحبل . ثـنـيـاهـ : طـرقـاهـ .

(٤) سـتـبـدـيـ : سـتـظـهـرـ .

(٥) سـنـةـ : طـرـيـقـةـ وـعـلـمـ .

(٦) تـوـبـ : تـرـحـيمـ (تـوـبـةـ) وـهـوـ تـوـبـةـ الـخـفـاجـيـ المتـوـفـيـ عـامـ ٦٧ـ هـ وـكـانـ
يـهـيمـ حـبـاـ بـلـيـلـيـ وـتـوـفـيـتـ لـيـلـيـ بـعـدـ عـامـ ٨٠ـ هـ .

أو لمحـة تدلـ علىـها كـما قالـ بـعـضـهـمـ وـقـدـ وـصـفـ الـبـلـاغـةـ فـقـالـ :ـ هـيـ لـمحـةـ دـالـةـ .

وـمـثـلـ ذـلـكـ قـوـلـ اـمـرـىـءـ الـقـيـسـ :

فـإـنـ تـهـلـكـ شـنـوـةـ أـوـ تـبـدـلـ فـسـيـرـيـ إـنـ فـيـ غـسـانـ خـالـاـ لـعـزـهـمـ عـزـزـتـ وـإـنـ يـتـذـلـوـاـ فـذـلـهـمـ أـنـالـكـ مـاـ أـنـالـاـ

فـبـيـنـهـ هـذـاـ الشـعـرـ عـلـىـ أـنـ الـفـاظـهـ مـعـ قـصـرـهـ قـدـ أـشـيـرـ بـهـ إـلـىـ مـعـانـ طـوـالـ ،ـ فـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ «ـتـهـلـكـ أـوـ تـبـدـلـ»ـ ،ـ وـمـنـهـ قـوـلـهـ «ـإـنـ فـيـ غـسـانـ خـالـاـ»ـ ،ـ وـمـنـهـ مـاـ تـحـتـهـ مـعـانـ كـثـيرـةـ وـشـرـحـ وـهـوـ قـوـلـهـ «ـأـنـالـكـ مـاـ أـنـالـاـ»ـ .

وـمـثـلـ قـوـلـ طـرـفـةـ :

مـوـضـوـعـهـ زـوـلـ وـمـرـفـوـعـهـ مـرـعـابـ بـلـبـ وـسـطـ الـرـيـعـ
فـقـوـلـهـ «ـزـوـلـ»ـ مـُـشـارـ بـهـ إـلـىـ مـعـانـ كـثـيرـةـ وـهـوـ شـبـيـهـ بـمـاـ يـقـولـ النـاسـ
فـيـ إـجـمـالـ نـعـتـ الشـيـءـ وـاـخـتـصـارـهـ :ـ عـجـبـ .

وـقـالـ آـخـرـ :

هـاجـ ذـاـ القـلـبـ مـنـ تـذـكـرـ جـهـنـمـ مـاـ يـهـيـجـ الـتـيـمـ الـمـحـزـونـاـ
فـقـدـ أـشـارـ هـذـاـ الشـاعـرـ بـقـوـلـهـ «ـمـاـ يـهـيـجـ الـتـيـمـ الـمـحـزـونـاـ»ـ إـلـىـ مـعـانـ
كـثـيرـةـ .

وـمـثـلـ قـوـلـ اـمـرـىـءـ الـقـيـسـ :

عـلـىـ هـيـكـلـ يـعـطـيـكـ قـبـلـ سـؤـالـهـ أـفـانـينـ جـرـيـ غـيرـ كـرـ وـلـاـ وـانـ⁽¹⁾
فـقـدـ جـمـعـ بـقـوـلـهـ «ـأـفـانـينـ»ـ جـرـىـ عـلـىـ مـاـ لـوـ عـدـ لـكـانـ كـثـيـراـ ،ـ وـضـمـ

(1) عـلـىـ هـيـكـلـ :ـ فـرـسـ طـوـيـلـ جـمـيـلـ ذـوـ روـعـةـ .ـ أـفـانـينـ :ـ ضـرـوبـ
غـيرـ كـرـ :ـ لـيـسـ بـالـنـقـبـضـ .ـ وـلـاـ وـانـ :ـ غـيرـ فـاتـرـ .

إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ، وهو قوله « قبل سؤاله » أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حث ، وفي قوله « كفر ولا واني » ينفي عنه أن يكون معه الكرازة من قبل الجماح والمنازعة والونى من قبل الإستخاء والفترة .

ومثله أيضاً قوله يصف ذئباً :

فَنَفَّالٌ كَشْلُ الْخِشْفِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ
وَسَائِرُهُ مِثْلَ التَّرَابِ الْمَدْعَقَقِ^(١)
وَجَاهٌ خَفِيًّا يَسْفَنُ الْأَرْضَ بِطْنَهُ
تَرَى التَّرَبَ مِنْهُ لَازِقًا كُلَّ مَلْزَقِ^(٢)

في هذا الشعر إجمالاً للمعاني كثير ، وأوكد ما فيه من ذلك قوله « كل ملزق » .

ومثل قول زهير :

فَلَنِي لَوْ لَقَبَتِكَ وَاتَّجَهَتِكَ لَكَانَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كَفَاء^(٣)

ومثل قول أوس بن حمر :

فَلَانْ يَهُوَ أَقْوَامٌ رَدَنْيَ فَلَانْيَ يَقْبِنِي إِلَهٌ مَا وَقَى وَرَدَائِنَ

ومثل قول قتادة بن طارق الأزدي :

أَهَاجَكَ رَبِّيْ قدْ تَحْمَلَ حَاضِرَهُ وَأَوْحَشَ بَعْدَ الْحَيِّ مِنْهُ مَنَاظِرَهُ

(١) الخشاف : مثلاً ولد الظبي أول ما يولد . مثل التراب المصوقة بالارض .

(٢) يسفن الأرض : يغمر الأرض ببطنها . لازقاً كل ملزق . ويروى لاصفاً كل ملحق . هذا وامرؤ القيس زعيم الشعراء الجاهليين ومن أصحاب المعلقات وأول من تفتح به صفحة الشعر والشعراء في اللغة العربية .

(٣) منكرة : خبيثة . كفاء : أي شيء يكفيه .

يقول : ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس من كان
يخله ما قد ألوح في هذا الوقت بخلوه منه .

وللعامريه :

كيف الفخارُ وقد صاروا النسوةِكم يوم الفخار ينثُرُ ذبيانَ أرباباً
إذ جزَّ ناصيَّي حصنٍ وأعْتَقَنِي وذاكَ شَيْبَ مِنِي الْيَوْمَ ما شابا

ولامرئ القيس :

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لِلذِّيْدِ بِنِعْمَةِ فَقَلَّ فِي مَقْبَلِ نَحْسِهِ مُتَغَيِّبٌ

ولامرأة من عكل :

يَا ابْنَ الدَّاعِي إِنَّهَا عَكْلٌ فَتَقِيفُ لِتَعْلَمَنَ الْيَوْمَ إِنْ لَمْ تَنْصُرْ فَ
وَالثَّيْمَ يَخْلُفُ أَنَّ الْكَرِيمَ

ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى :

الإرداداف^(٢) :

وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ
الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو زاده وتابع له ،
فإذا دل على التابع أبان عن المتبع بمنزلة قول الشاعر^(٣) :

بعيدةٌ مَهْوَى القرْطِ إِمَا لَنْوَفَلٍ أبوها وإِمَا عبدُ شمسٍ فهاشمٌ

ولإنما أراد الشاعر أن يصف طول الحيد فلم يذكره بلفظه الخاص

(١) العكل : بالكسر والضم اللثيم وجمعه أعكال .

(٢) يريد به الكنية .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى عام ٩٢ هـ . بعيدة مهوى
القرط : طولية العنق .

به ؛ بل أئني بمعنى هو تابع لطول الجيد ؛ وهو بعد مهوى القرط .

ومثله قول امرئ القيس :

وَيُضْحِي فَتَيْتَ الْمَلَكَ فَوْقَ فِرَاشَهَا نَؤُومُ الصَّحْنِ لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضِيلِ^(١)

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفة هذه المرأة وأنها من يكفيها فقال : « نَؤُومُ الصَّحْنِ » وأن فتى الملك يبقى إلى الصحن فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أي هي لا تستطع لخدم ولكنها في بيتها متنضلة ، ومعنى عن هذا البيت معنى بعد كذلك قوله :

وَقَدْ اغْتَدَى وَالْطَّيْرُ فِي وَكَنَّاتِهَا بَمُسْجَدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هِيَكَلِ^(٢)

وإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد فلم يتكلم بالفقط بعيته ولكن بأرداfe ولو احتجه التابعة له ، وكذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهي الوحش كالمقيدة له إذا نحا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللحظة فيقولون هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فهو قال ذلك بلغته لم يكن عند الناس من الإستجادة ما جاء من إثباته بالردد له ، وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداد من أوصاف الشعر ونوعته واقع بالصواب .

(١) الفتى : ما تفتق من المسك عن جلدها . نَؤُومُ الصَّحْنِ : التي تقام في وقت الصحن لأن لها من الخدم والجسم من يكفيها ويقوم بلوازم بيتها . لم تنتطق : لم تجعل في وسطها نطاقة للعمل في البيت .

(٢) اغثى : أسيير غدوة . الوكنات جمع وكناة بضم فسكون وهي عش الطائر . المسجد : الماضي في السير وقيل هو القليل الشعر . الأوابد : الوحش النافرة وقيد الأوابد : مبالغة في سرعة العدو : الهيكل : الخضم من كل شيء ويوصف به الفرس الطويل وامرئ القيس أول من قيد الأوابد وأشعر الشعراء في وصف الفرس .

ومنه قول ليلي الأخيلية^(١) :

وبحرق عنه القميص تخلّه بين البيوت من الحياة سقما

فإنما أرادت وصفه بالجحود والكرم فجاءت بالإرداد والتواضع
لهم أما ما يتبع الجحود فإن « بحر عن القميص » المنور فسر أن العفة
تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه ، وأما ما يتبع الكرم
فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وإزالته عنه
الأشر بحال سقما .

ومنه أيضاً قول الحكم الخضري :

قد كان يُعجب ببعضهن براعي حتى سمعَ تَنْحَنْجِي وسُعالِي
فأراد وصف الكبير لا باللفظ بعينه ولكنه أدى بتوابعه وهي السعال
والتنحنح .

★ ★ ★

ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني
وذلك إذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير
ظاهر أو كانت بينه وبينه أرداف آخر كأنها وسائط وكثرت حتى لا
يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض ؛ ولم يكن داخلاً في جملة
ما يناسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الإنغلاق وتعذر
العلم بمعناه .

ومن نوادر التلاف اللفظ والمعنى :

التحشيل :

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيوضع كلاماً يدل على معنى

(١) شاعرة : عاشت العصر الإسلامي ، وشيب بها قومه الغفاجي
(المتوفى عام ٦٧ هـ) وتوفيت عام ٨٠ هـ .

آخر وذلك المعنى الآخر والكلام يتبادر عما أراد أن يشير إليه .

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة^(١) :

أَلَمْ تَكُنْ فِي يَمْنَى بَدِيكَ جَعْلَتْنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شَمَالِ الْكَا
وَلَوْ أَنِّي أَذْبَتُ مَا كَتَبَ هَالِكَا عَلَى خِصْلَةٍ مِنْ صَالَاتِ مَهَالِكَا

فعدل أن يقول في البيت الأول إنه كان عنده مقدماً فلَا يؤخره ،
أو مقرباً فلَا يبعده ، أو يعني فلَا يجتنبه ، إلى أن قال : إنه كان في
يمني يديه فلَا يجعله في اليسرى ، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة
إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له ، والإبداع في المقالة ؛ وعلى
ذلك قول عمير بن الأبيه :

رَاحَ الْقَطِينُ مِنَ الْأَوْطَانِ أَوْ بَكَرُوا وَصَدَّقُوا مِنْ نَهَارِ الْأَمْسِ مَا ذَكَرُوا^(٢)
قَالُوا لَنَا وَعَرَفْنَا بُعْدَ بَيْنِهِمْ قَوْلًا فَمَا وَرَدَ دُوَاعَنَّهُ وَمَا صَدَرُوا^(٣)

فكان يستغنى عن قوله « فما وردوا عنه وما صدروا » بأن يقول :
فما تعدوه أو يقول : فما تعدوه أو فما تجاوزوه ، ولكن لم يكن له
من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله « فما وردوا عنه ولا صدروا »

ومن هذا قول بعض بنى كلاب :

دَعْ الشَّرَّ وَاحْلُلْ بِالنَّجَاهَ تَعْزِلاً إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِغُكَ فِي الشَّرِّ صَابِعَ^(٤)

(١) أمه أم ولد ببربرية وهو شاعر من شعراء محضرمي الدولتين وكان جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٢ / ٨٠ - ١١٦ الاغانى - ١٤٣ / ١١ - ١٤٨ مجمع الادباء - ١٠٩ - ١٠٥ طبقات الشعراء لابن المعتز) .

(٢) القطين : المقيمون من الأحباب . ما ذكروا : من العزم على الرحيل .

(٣) البين : الفرقة .

(٤) تعزلا : تتعينا على جنب .

ولكن إذا ما الشّرُّ ثارَ دفنهِ عليك فانقضَّ منه ما أنتَ داينَ^(١)

فأكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جاز على سبيل التمثيل ، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه : دع الشر ما لم تشب فيه فإذا نشب فيه فالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتتمثيل الطريف ما لقول الكلابي .

ومن هذا قول الآخر :

تركتُ الركابَ لأربابَهَا وأكرهتُ نفسي على ابن الصّنْعِ
جعلتُ يَدِيَ وشاحَاهَا له فاجزاً ذاكَ عن المعنْصِ
قوله « جعلت يدي وشاحاً » إشارة بعيدة بغير لفظ الإعْتِنَاق وهي دالة عليه .

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي :

فإنْ أسمعوا ضَبَّحا زَأْرَنا فَامْ يَكْنُ شَبِيهًاهَا بِزَأْرِ الأَسْدِ ضَبَّحُ الشَّاعِلِ
فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة لها من الموضع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المثار إليه بلفظ .

ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقة بن عبدة :
أورَدْهُمْ وَصَدُورُ الْعِيسِ مُسْتَنْفَةٌ والصبع بالكوكب الدرّي منحور^(٢)

فقد أشار إلى الفجر إشارة طريفة بغير لفظه .

وكلذلك قول اللعين المنقري يصف ناره :

(١) الدفين : الخفي .

(٢) العيس : بالكسر الأبل البيض يخالط بياضها شقرة . مُسْتَنْفَة : بفتح النون خاص بالبعير يقال أسف البعير قدم عنقه للسير .

رأى أم نيران عواناً نكها بـأعراها هوج الرياح الطرائد^(١)
فقد أومأ بقوله «أم نيران» إلى قدمها و «عواناً» إلى كثرة عادته
لإيقادها لـعـيـاءً غـرـيـباً ظـرـيفـاً وإن كانت العرب تذكر ذلك في النار كثيراً.

وقال بعض الأعراب :

فـى صـدـمـتـهـ الـكـاسـ حـنـىـ كـأـنـاـ بـهـ فـالـجـعـ مـنـ دـائـهاـ فـهـ يـرـعـشـ
فـالـكـأسـ لـاـ تـصـدـمـ ،ـ وـلـكـنـهـ أـشـارـ بـهـذـاـ التـمـثـيلـ إـشـارـةـ حـسـنـةـ إـلـىـ
سـكـرـهـ .ـ

وقال عباس بن مرداس^(٢) :

كـانـواـ أـمـامـ الـمـسـلـمـينـ رـدـيـةـ وـالـبـيـضـ يـوـمـثـدـ عـلـيـهـمـ أـشـمـسـ
يـرـيدـ أـنـ الـبـيـضـ عـلـيـهـمـ قـدـ صـارـتـ شـمـوسـاـ .ـ

★ ★ ★

وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان
في باب ائتلاف اللفظ والمعنى ، ومعناهما أن تكون في الشعر معان
متغيرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجلسة متقدمة ، فاما
المطابق فهو ما يشتركت في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأعجم :
وـنـبـشـهـمـ يـسـتـنـصـرـوـنـ بـكـاهـلـ .ـ وـالـلـؤـمـ فـيـهـاـ كـاهـلـ وـسـنـامـ

وقال الأفوه الأزدي :

وـاقـطـعـ الـهـوـجـلـ مـسـتـأـنـاـ بـهـوـجـلـ عـيـدـاـنـهـ عـشـرـيـسـ^(٣)

(١) الهوجاء : الريح التي تقلع البيوت والجمع هوج وقال ابن الاعرابي
هي الشديدة الهبوب من جميع الرياح .

(٢) شاعر صحابي جليل وهو من المخضرمين .

(٣) العنتريس : الناقة الفلطية الوثيقة .

فلفظة الموجل في هذا الشعر واحدة قد اشتراك في معندين ، لأن
الأول يعني الأرض والثاني الناقة .

و كذلك قول أبي دؤاد الإيادي :

عهدت لها متزلاً دائراً ولا على الماء يحملن إلا
فلا الأولى في المعنى غير الثاني لأن الأول أعمدة الحياة ، و الثاني
من السراب .

وأما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكتها في ألفاظ متتجانسة على جهة الإشتقاق ، مثل قول زهير :

وَجِيرَةٌ مَّا وَهُمْ لَوْلَأْهُمْ أَمْسٌ^(١) وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ كَانَ عَيْنِي

ومثل قول العوام في يوم العظالي :

وَفَاضَ أَسْرِّهَا يَهُ وَكَانَمَا مَفَارِقُ مَفْرُوقٍ تَغْشَيْنَ عِنْدَمَا

ومثل قول حيأن بن ربيعة الطائي :

لقد حلم القبائل أن قومي لهم حد إذا ليس الحديد

و مثل قول الفرزدق :

جَفَافٌ أَجْفَفَ اللَّهُ مِنْ سَحَابَةٍ وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَصَاحِبٍ^(٢)

وَمُثْلٌ لِّقَوْلِ الْكَمِيَّةِ (٢) :

٤) السليل : واد بعينه وما عنا زائدة . الام : القصد والقرب .
وجواب لـ محفوظ .

(٢) سفت الريح التراب تسفيه ذرته ، والفرزدق : شاعر العصر الاموي
وناقص جريرا طول حياته ، وكان يقال : لولا الفرزدق لذهب ثلث العربية -
١١٠ هـ .

(٢) الكهيت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة توفي عام ١٢٦ هـ .

فَلَمْ يَلْمَدْنَاهُمْ قَدْ جَذَمْتُمْ وَسَبَلْتُمْ إِلَيْنَا كَعْتَارَ الرَّدَافِ عَلَى الرَّحْلِ^(١)

ومثل قول مسكين الدارمي :

وَأَقْطَعَ الْحِرْقَ بِالْحَرْقَاءِ لَاهِيَةً إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ سُرُّجَا

وَكَمَا قَالَ النَّعْمَانَ بْنَ يَثْيَرَ لِمَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدِيرِ سَيْفُنَا وَلِيَلَّكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ

وقال ذو الرمة :

كَانَ الْبُرُّيَّ وَالْعَاجَ عِبَجَتْ مُسْتُونَهُ عَلَى عَشْرِ نَسْوَهِ بِهِ السَّبِيلُ أَبْطَعَ^(٢)

وقال رجل من بني عبس :

إِنْ ذَلِكَ جَارُكُمْ بِالْكُرْهَ حَالَفُكُمْ وَإِنْ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَقَ

وقال المرار :

وَاعْطَيْنِي أَنْ أَرَى وَزَائِرًا وَانْخَلَفَ الْحَيُّ قَوْمًا خَلْوَقًا

(١) الرداف . بوزن كتاب : الموضع بركبه الرديف .

(٢) البري:الخلخليل . ذو الرمة شاعر اموي مجيد . توفي عام ١١٧هـ .

نعت التلاف للفظ والوزن

وهو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بازديادة عليها والقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمها ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقوله عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتاجنا إلى إثبات كبير من صناعتي المنطق وال نحو في هذا الكتاب ، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس ، ولكن في ما أجملته في هذا القول وأشارت إليه من التبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى ، وأغنى عند ذوي القرائع السليمة ، ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة .

ومن هذا الباب أيضاً أن لا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه ، حتى إذا حذف لم تقص الدلالة لحذفه أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به ، حتى إن فقده قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه . ولم آت في هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم ، مما ذكرت ، مثال لذلك ، فاما الأشعار التي (لم) تسلم منه فانا أذكرها في باب عيوب الشعر إن شاء الله تعالى .

نعت ائتلاف المعنى والوزن

هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تفتتن عن ذلك وتعديل عنده من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته ، والسبب في تركنا أن نأتي لهذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سذكره من عيوب الشعر .

نعت ائتلاف القافية

هو مع ما يدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه .

فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت :

التشبيح :

وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته .

مثال ذلك قول الراعي (١) :

وأن وزنَ الحصى فوزنتْ قوميَّاً وَجَدْتُ حصى ضريرهم رَزِينَا
فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منها لفظة قافيته ، لأنه
يعلم أن قوله وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعلتين :
أحدهما : أن قافية القصيدة توجبه .

والآخرى : أن نظام المعنى يتضمنه لأن الذي يفخره برجاحة
الحصى يلزم أن يقول في حصاه إنه رزين .

وقول عباس بن مرداس :

هم سودوا هجنا وكل قبيلةٍ يبيّن عن أحدها بآهٍ مَن يتسودها
فمن تأمل هذا البيت وجد أوله يشهد بقافيته .

(١) من شعراء العصر الاموي المجيدين وكان قوله كله يذهب في البديع
كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين - توفي عام ٩٠ هـ .

وقول نصيб (١) :

فقد أبَقْتُ أَنْ سَرَّوْلَ لَيْلَ وَتُحْجِبَ عَنْكَ إِنْ نَفَعَ الْيَقِينَ

وقول مضرس بن رباعي :

تَمَنَّيْتُ أَنْ أَقَى سَلَيْمَا وَمَالِكَا عَلَى سَاعَةٍ نُسْنِي الْحَلِيمُ الْأَمَانِيَا

ومن أنواع اتلاف القافية مع سائر معنى البيت :

الإيقاع .

وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال امرؤ القيس :

كَانَ عَيْنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَيَانَةٍ وَأَرْحَلَنَا الْجُزْعُ الَّذِي لَمْ يُثْقِبْ (٢)

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحوش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله « الذي لم يثقب » فإن عيون الوحوش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

وقال زهير :

كَانَ فَتَاتَ الْعِهْنَ فِي كُلِّ مُتَرَّلٍ نَزَّلَتْ بِهِ حَبَّ الْفَتَاتَ لَمْ يُحَطِّمْ (٣)

(١) نصيبي شاعر اموي مشهور توفي عام ١٥٥ هـ - ونصيبي الاصغر شاعر من مخضري الدارلين توفي عام ١٧٥ هـ .

(٢) الجزع : بكسر الجيم وفتحها الحرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض قد شبهت به العيون .

(٣) الفتات : ما تفتت من الشيء . وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين، وكان حكيم الشعراء في الجاهلية - توفي نحو عام ١٣ هـ (الخزانة ٣٧٥/١ الشعر والشعراء ٨٦/١ - ١٠٣ ، وغيرها) .

فالعنين هو الصوف الأحمر ، والفتنا حب تتبه الأرض أحمر فقد أتى على الوصف قبل القافية لكن حب الفتنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر فاستظاهر في القافية لما أن جاء بها بأن قال « لم يحطم » فكأنه وكد التشبيه بليغالة في المعنى ..

ومثله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ^١ تقول هزيرز الريح مررت بأتاب ^(١) فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لأن يكفي أن يشبه حفييف جري الفرس بالريح ، فلما أتى بالقافية أو غل إيقالاً زاد به في المعنى وذلك أن الأثاب شجر للريح في أغصانه حفييف شديد . وما يدل على أن المعنى قد كانت في نفوس الناس قدعاً أن أبا العباس محمد بن يزيد النحوي ^(٢) قال حدثني الثوري قال قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلطفه كبيراً أو إلى الكبير فيجعله بلطفه خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة حيث يقول :

قف العيس ^٣ في أطلال مية فأسال رسموا كأخلاق الرداء المسلسل ^(٣)

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئاً ثم قال :
أظن الذي يُجدي عليك سؤالها دُموعاً كبديد الجمان المفصل ^(٤)
فتم كلامهم ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً ، قال
قلت : ونحو من ؟ قال : الأعشى حيث قال :

(١) الشاو : الامد والمسافة : هزيرز الريح : صوته ودويه والبيت لامرئ القيس .

(٢) هو المبرد صاحب الكامل توفي عام ٢٨٥ هـ .

(٣) العيس : بالكسر الإبل الأبيض يخالف بياضها شقرة .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

كناطیح صَحْرَاءٍ يَوْمًا لِیَقْلُقُهَا فَلَمْ یَضِرْهَا وَأَوْهَیْ قَرْنَةُ الْوَعْلِ (١)

فَتَمَّ مُثْلَهُ إِلَى قَوْلِهِ « قَرْنَهُ » ثُمَّ احْتَاجَ إِلَى الْفَافِيَةِ فَقَالَ « الْوَعْلُ »
مَفْصَلًا عَلَى كُلِّ مَا يَنْطَحُ ، قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ : لَأَنَّهُ يَنْحُتُ مِنْ قَلَةِ
الْجَبَلِ عَلَى قَرْنَهِ فَلَا يَضُرُّهُ .

(١) لِیَقْلُقُهَا : يَرْوِي لِيَوْهَنْهَا . الْوَعْلُ : تِيسُ الْجَبَلِ وَالْاعْشَى هُوَ أَبُو
بَصِيرٍ مِيمُونٍ بْنَ قَيْسٍ تَوَفَّى عَامَ ٧٩هـ (الْأَغَانِيُّ ٨ / ٧٤ - ٨٢ - المُؤْتَلِفُ
١٢ - الْخَزَانَةُ ١ / ٨٢ الشِّعْرُ وَالشِّعْرَاءُ ١ / ٢١٢ - ٢٢٢ - مَعْجَمُ الشِّعْرَاءِ
٤٠١ وَ ٤٠٢ - رَغْبَةُ الْأَمْلِ ٤ / ٧٠ - مَعَادِدُ الْقَنْصِيَّصِ ١ / ١٩٦) .

الفصل الثالث

وإذ قد أتيت على ما ظلت أنه نعت للشعر وعددت أجناس ذلك وفصلت أنواعه ، فالآن أحب أن ابتدأ بذكر عيوب الشعر وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتب النعوت عليه وتحسب تلك السياقة .

عيوب الفظ

أن يكون ملحوظاً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة ، وقد تقدم من استقصى هذا الباب ، وهم وأضعوا صناعة النحو ، وأن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلّم به إلا شاذًا ، وذلك هو الحوشى الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرًا بمجانبه له وتنكبه إيهاف قال: كان لا يتبع حوشى الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن لكن من شعرائهم من كان أعرابياً قد غابت عليه العجرفة ومست الحاجة إلى الإشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشى لم يكن يأتي به إلا على جهة التطلب والتتكلف ، لما استعمله منه لكن بعادته ، وعلى سجية لفظه ، فاما أصحاب التكلف للذك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع ويتبو عنه السمع مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكلى وكان في زمن المهدى وله في أبي عبد الله قصيدة أولها :

تذكّرْتُ سَلْمَى إِهْلَاسْتَهَا فَلَمْ أَنْسَ وَالشَّوْقُ ذُو مَطْرُوهٍ^(١)

وفيها يقول :

فَحَّى الْوَزِيرَ إِمَامَ الْهُدَىٰ وَهُوَ بِالْأَرْبِ ذُو مَحْجُوَهٍ^(٢)

(١) راجع القصيدة في الموضع للمرزباني ص ٢٥٤ .

(٢) فحى بالارب ، الموضع .

يَسُوسُ الْأَمْرَ فَتَأْتِي لَهُ
وَقِي بِالْأَمَانَةِ صَفَرَ التَّقَى
وَعِنْدَهُ مَعَاوِيَهُ الْمُصْطَفَى
فَقَالَ الْوَزِيرُ الْأَمِينُ انظِمُوا
قَيْدَتُ مَرْتَفِقَا وَجِهَهُ
سَعِيَيْ فِي الْعَوَاقِبِ الْمُبَدِّدَةِ
بُيُونَا عَلَيْهَا وَجْهَهُ
وَمَا فِي عَرَيْتِهِ مَتَهُوَهُ
وَمَا الصَّفُرُ بِالرُّنْقِ الْمُحْمَوَهُ
حِيَا غَيْرُ مَاجِ وَلَا مَطْرُوَهُ
قَرِيَضاً عَوِيَضاً عَلَى الْلَّوْلُوَهُ
بِغَيْرِ اِنْصِبَابٍ إِلَى الْمَشْكُوَهُ
مَعِيَ فِي الْعَوَاقِبِ الْمُبَدِّدَهُ
بِغَيْرِ السَّنَادِ وَلَا الْمَكْفُوَهُ

ومثل شعر أَحْمَدَ بْنَ جَهْدَرَ الْخَرَاسَانِيَّ فِي مَالِكَ بْنَ طَوْقَ ، وَيَقُولُ
إِنَّهَا لِمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَرَبِيِّ الْكُوفِيِّ فِي عَبْسَيِّ الْأَشْعَرِيِّ :

هِيَا مُنْزِلَ الْحَيِّ حِيَّ الْفَضَّا
وَيَأْطِلَّاً آيَةَ مَا ارْتَمَتَ
حَلَّتُ بِهَا أَرْقَاتَ نَحْوَهُ
وَمَا شَرَقْتُ مِنْ تَنُوفَتَهُ
سَلَامُكَ إِنَّ النَّوْيَ تَصِيرُمُ
بِلِلَّاهِ غُرْبَتُهَا الْمِرْجَمُ
(١) هَمَرْجَلَهُ خَلَقْتُهَا شَبَيْظَمُ
(٢) بِهَا مِنْ وَحْيِ الْجِنِّ زِنْزَرَزَمُ
(٣)

فَبَلَغَنِي أَنَّهُ أَنْشَدَ أَبْنَ الْأَعْرَابِيِّ هَذِهِ الْقُصْيَدَهُ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَنَهَا
قَالَ لِهِ أَبْنَ الْأَعْرَابِيِّ إِنَّ كُنْتَ جَادًا فَحُسِبْتَ اللَّهَ .

وَمِنْهَا :

لَامُ لَكُمْ نَجَّاتُ مَالِكًا
وَمِنْ أَيْنَ مَثْلُكَ؟ لَا أَيْنَ هُوَ؟
مِنَ الشَّمْسِ لَوْنَجَلَتْ أَكْرَمُ
إِذَا الْرِيقُ أَقْفَرَ مِنْهُ الْفَسَمُ
(٤)

(١) الْهَمَرْجَلَهُ : السَّرِيعَةُ . الشَّبَيْظَمُ : الطَّوِيلُ الْجَسْمُ .

(٢) بِهَا مِنْ وَحْيِ الْجِنِّ : يَرْوَى فِي الْمَوْشِحِ نَقْلًا عَنْ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ وَحْيِ
الْجِنِّ .

(٣) أَقْفَرَ مِنْهُ : ذَهَبَ مِنْهُ .

ومن الأعرا ب أيضاً مَنْ شَرَعْ فَطْيَعْ التَّوْحِيدْ ، مَثَلْ مَا أَنْشَدَنَاهْ
أَحْمَدْ بْنَ يَحْيَى عَنْ أَبِي الْأَعْرَابِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلْقَمَةِ التَّمِيِّيِّ ، يَقُولُهَا
لِرَجُلِ مِنْ كَلْبٍ ، يَقُولُ لَهُ أَبْنَ الْفَتْشَخْ وَوَرْدُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْقُهْ :

أَفْرَخْ أَذَّا كَلْبٍ وَأَفْرَخْ أَفْرَخْ
أَخْطَأَتْ وَجْهَ الْحَقِّ فِي التَّسْطِخَنْ (١)
أَمَا وَرَبُّ الرَّاقِصَاتِ الزُّمْنَخْ
يَخْرُجُنَّ مَا بَيْنَ الْجِيَالِ الشَّمَنْخَ (٢)
يَزْرُونَ بَيْتَ اللَّهِ عِنْدَ الْمَصْرَخْ
لَتَطْمِنْنَ بِرَمَّا مُمَطَّنْ (٣)
مَاءِ سَوَى مَائِيَّ بَا أَبْنَ الْفَتْشَخْ
أَوْ لَتَسْجِيَنْ بُوشِيِّ بَغْ بَغْ (٤)
مِنْ كَيْسِ ذِي كَيْسٍ وَضَانِ مُنْفَخْ
قَدْ ضَمَّهُ حَوَلَيْنِ لَمْ بُسْنَخْ
صَمَّا مِنْ الصَّمَالِيَخْ صَمَّا الْأَصْلَاخْ

وَمِنْ عِيُوبِ الْفَظْ :

الْمَعَاذِلَةُ :

وَهِيَ الَّتِي وَصَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ زَهِيرًا بِمُجَانِبَتِهِ لَهَا أَيْضًا حِيثُ
قَالَ وَكَانَ لَا يَعَاذِلُ بَيْنَ الْكَلَامِ ، وَسَأَلَتْ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى عَنِ الْمَعَاذِلَةِ
فَقَالَ مَدَاخِلَةُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، يَقُولُ تَعَاذِلُتِ الْجَرَادَاتُ وَعَاذِلُ الرَّجُلُ
الْمَرْأَةُ إِذَا رَكَبَ أَحَدَهُمَا الْآخَرُ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمِنَ الْمُحَالِ
أَنْ تَنْكِرَ مَدَاخِلَةُ بَعْضِ الْكَلَامِ فِي مَا يَشْبَهُهُ مِنْ وَجْهٍ أَوْ فِي مَا كَانَ مِنْ
جَنْسِهِ وَبَقِيَ النَّكِيرُ إِنَّمَا هُوَ فِي أَنْ يَدْخُلَ بَعْضَهُ فِي مَا لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ وَمَا
هُوَ غَيْرُ لَاقِنٍ بِهِ وَمَا أَعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحْشِنِ الْإِسْتِعَارَةِ .

(١) أَفْرَخْ أَذَّا كَلْبٍ . وَأَفْرَخْ : سَكَنْ .

(٢) الزُّمْنَخْ : الْمُكْبِرِينْ . الشَّمَنْخَ : الْعَالِيَةِ .

(٣) الْمَصْرَخْ : الْمَيْتُ وَالْمَعِينُ .

(٤) بَغْ بَغْ : عَظِيمٌ . وَبَغْ تَقَالُ وَحْدَهَا وَتَكَرُّرٌ .

مثل قول أوس :

وَذَاتُ هَدْمٍ عَارِيٌ نَوَّا شَرْهَانٌ تُصْتَبَتْ بِالْمَاءِ تَوْلِيْاً جَدْعَاً (١)

فسمى الصبي تولياً وهو ولد الحمار .

ومثل قول الآخر :

وَمَا رَقَدَ الْوَلِدَانُ حَتَّىٰ رَأَيْتَهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْتَرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ (٢)

فسمى رجل الإنسان حافراً فإن ما جرى هذا المجرى من الإستعارة قبيح لا عذر فيه .

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الإستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجها مخرج التشبيه .

فمن ذلك قول أمرىء القبس :

فَقَلَتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازَأَوْنَاءِ بِكُلْكَلٍ (٣)

فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لا أن له صلباً وهذا مخرج لفظه إذا تأمل (٤) .

ومنه قول زهير :

صَحَّا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمٍ وَأَقْصَرَ بَاطِلَهُ وَعَرَّى أَفْرَاسَ الصَّبَى وَرَوَّاهُ (٥)

(١) راجع شرح هذا البيت في صفحة ١١٩ وأوسق شاعر جاهلي مجيد، وهو أوس بن حجر .

(٢) البكر : الفتى من الأبل .

(٣) تمطى : طال . أو تمدد وقطاول بصلبه الإرداد . ناء : نهض . الكلكل : المصدر : والجمع كلاكل .

(٤) يعيي قدامة البيت ، وهو في عرف جميع النقاد من أروع الصور الشعرية .

(٥) أقصر : كف . باطله : صباح ولهوه . عرى : ترك .

فكان مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد أنه كما أن الأفراس للحرب وإنما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى أفراس تعرى أفراس الصبي إن كانت له أفراس عند تركه والعزوف عنه ^(١) .

و كذلك قول أوس بن حجر :

ولئن امْرُؤٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرَبِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ هَا نَابِأً مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلَ

فإنما أراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها كما يكون ناب البعير أعنص إذا طال عمره واشتد .

و كذلك قول عنترة الغبي :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ بَكْرٍ حَرَقَ فَتَرَكَنَ كُلُّ قَرَارَةٍ كَالدَّرْهَمِ ^(٢)

وقول طفيل الغنوبي :

وَحَمِلَتْ كُورِي خَلَفَ نَاجِيَةٍ يَقْنَاتْ شَحْمَ سَنَامَهَا الرَّحْلُ ^(٣)

وقول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلَغَ النَّعْمَانَ عَنِ رِسَالَةٍ فَمَجْدُكَ حَوْلِي وَأَمْكُ قَارِبٍ ^(٤)

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

(١) يعيّب قدامة البيت وهو من أبلغ وأروع الشعر .

(٢) جادت نزلت بكثرة البكر : من السحاب السابق . الحرة من كل شيء خالصه والمراد هنا البيضاء القراءة: القاع المستدير المنخفض كالدرهم في الاستدارة والبيت من أروع صور التشبيه عند جميع النقاد القدامة .

(٣) ما أروع صورة الاستعارة في هذا البيت الذي عايه قدامة .

(٤) القارح : هو الذي انتهت أسنانه وإنما تنتهي في خمس سنين لاته في السنة الأولى حولي ثم جدع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح .

وإذا **المنية** أثبتت **أظفارها** **القيت كل** **نسمة لا تنفع** ^(١)

وقول أوس بن معز يهجو بني عامر :

يَشَيْبُ عَلَى لَوْمِ الْفِعَالِ كَبِيرُهَا **وَيَغْذَى بِشَدْنِي الْلَّوْمَ مِنْهَا** **وَلَيْدُهَا**

وقال المخبل :

يُعَالِجُ عِزَّاً **قَدْ عَسَّا** **عَظَمَ رَأْسَهُ** **قَرَاسِيَّةً** **كَالْفَحْلِ يَصْرُفُ** **بَازَلَهُ** ^(٢)

فما جرى هذا المجزى مما له مجاز كان أخف وأسهل مما فحش
ولم يعرف له مجاز وكان منافراً للعادة بعيداً مما يستعمل الناس مثله.

★ ★ ★

ولنتبع الكلام في عيوب اللفظ عيوب الوزن .

(١) **المنية** : المرت . **أثبتت** : علقت . **النسمة** : التمويذة ، والبيت من
أجل صور الاستعارة عند الجميع ما عدا قدامة .

(٢) **القراسية** : بالضم وتحقيق الياء الضخم الشديد من الإبل ،
والصريح صوت يحدث من احتكاك الأسنان : **البازل** : السن تطلع في وقت
البنول . **والبزل الشق** .

الكلام في عيوب الوزن

من عيوبه الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة إلا أن من عيوبه التخلع، وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزييفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله إلى الانكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصبح فيه، فإن ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة.

وذلك مثل قول الأسود بن يعفر ^(١) :

إنا ذمّنا على ما خيّلْتْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمْرُو مِنْ نَمِيمٍ
وَضِيَّهُ الْمُشْتَرِيُّ الْعَسَارُ بَنَاهُ وَذَالِكَ عَسْمٌ بَنَاهُ غَيْرُ رَجِيمٍ
لَا يَتَهُونُ الدَّهْرُ عَنْ مَوْلَى لَنَا قُورْكَةُ بَالسَّهْمِ حَافَاتُ الْأَدِيمِ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا رَمَاحٌ وَثَرْوَةٌ مِنْ مَوَالٍ وَصَحْمٍ
لَا نَشْتَكِيُّ الْوَصْمَ فِي الْحَرْبِ وَلَا نَئِنْ كَنَّاتَ السَّلَبِ

ومثل قول عروة بن الورد ^(٢) :

يَا هَنْدُ بَنْتَ أَبِي ذَرَاعٍ أَخْلَفْتَنِي طَنِي وَتَرْتَنِي عَشْقِي
وَنَكْحَتِي رَاعِي ثَلَّةَ يَنْمَرَهَا وَالدَّهْرُ فَائِتُهُ بِمَا يَبْقَيْنِي

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة، وقبع ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلى حد الردىء، فمن ذلك قوله :

(١) راجع الموضح ص ٨٢، حيث ذكر أن هذه الأبيات تنسب لغيره أيضاً.

(٢) من صالحيك العرب والشعراء في الجاهلية.

والماء ما عاشَ في تكذيبٍ طُولُ الحياة له تعذيبٌ

فهذا معنى جيد وللله حسن ، إلا أن وزنه قد شانه وقبع
حسنه ، وأفسد حيته ^(١) ، فما جرى من التزحيف في القصيدة أو
الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا ، من أجل إفراطه في التخلص
مرة ، ومن أجل دوامه وكثرته ثانية ، وإنما يستحب من التزحيف
ما كان غير مفرط ، وكان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير
توازن ولا إتساق ، ولا إفراط يخرجه عن الوزن مثل ما قال متمم
ابن نويرة :

وَقَدْ بَنِي أُمْ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خَلَافَهُمْ لِأَسْتَكِينْ وَأَضْرَعَهُمْ

فَأَمَا الْإِفْرَاطُ وَالْمُدَوَّمُ [فهو] قبيح .

وقال إسحاق يحكي عن يونس ^(٢) أنه قال : أهون عيوب
الشعر الزحاف وهو أن تتفصل الجزء عن سائر الأجزاء . ف منه ما
نقصانه أحلى . ومنه ما هو أشنع وهو جائز في العروض .

قال خالد ابن أخي أبي ذؤيب المذلي ^(٣) :

لَعْلَكَ إِمَّا أُمْ عَمْرُو تَبَدَّلْتَ سَوَالَّ خَلِيلًا شَانِي تَسْتَخِيرُهَا

فهذا مزاحف في سوالك ومن أشد خليللا سوالك كان
أشنع ^(٤) قال : كان الخليل بن أحمد رحمة الله يستحسن في الشعر

(١) القصيدة من مطلع البسيط وليس في وزنها شيء من القبح . وما
حدث فيها من زحاف فهو مقبول .

(٢) من آئمه النحاة توفي عام ١٨٠ هـ .

(٣) صحيح بأنه خالد بن زهير وأبو ذؤيب خالد (ديوان المذليين القسم
الأول ص ١٥٦) .

(٤) لأن القبح في فعلون حسن وفي مفاسيل قبيح .

إذا قل منه البيت والبيتان ، فإذا توالى وكثير في القصيدة سمع .
قال إسحاق : فإن قيل كيف يستحسن وهو عيب ؟ قلنا : قد يكون مثل هذا الحول واللغز في الجارية يشتهى القليل منه فإن كثرة هجن وسمع ، والرُّوح في الخيل يشتهى . ويستظرف خفيفة الغرة والتحجيم ، فإذا فشا وكثير كان هجنة وهذا ، قال : وخفيف البلق يختتم ولم أبلغ سابقاً ولم أسمع به .

★ ★ *

ولتبع الكلام في عيوب الوزن عيوب القوافي .

الكلام في عيوب القوافي

ولندع ما أتى به لمن استقصى ذلك في ما وصفه في الكتب إذ كان لا أرب في إعادته . ولكننا نتكلّم في ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعایب التي ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب . وللذكر مما وضعت فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره .

فمن ذلك : النجمي :

وهو أن تكون قافية المصراع الأولى من البيت الأول على روبي متّهيٍ لأن تكون قافية آخر البيت فتتأتى بخلافه .

مثل ما قال عمر بن شاس :

تذكّرتُ ليلي لات حين ادّكارُها وقد جنِي الأصلاب ضلاًّ بتضلال

ومثل قول الشماخ (١) :

منْ متزل عافٍ ورسم منازل عفتْ بعد عهدِ العَاهِدِ بنَ رياضها

ومن عيوبها : الإقواء :

وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى محفوظة وهذا في شعر الأعراب كثير جداً ، وفيمن دون الفحول من الشعراء ، وقد ارتكبت بعض فحول الشعراء الإقواء في مواضع ، مثل سحيم بن وثيل الرياحي
عَذَّرتُ الْبَلْ إِنْ هِيَ خَاطِرَتِي فَمَا بَالِي وَبَالِي ابْنُ الدَّبَّسِ

(١) شاعر محضرم توفي عام ٢٢ هـ .

وماذا تبتغي الشعرا مِنِي وقد جاوزت حد الأربعين
فنون الأربعين مفتوحة ونون اللبناني مكسورة ولكنه كأنه
وقف القوافي فلم يحر كها .

وقال جرير :

عرينٌ مِنْ عُرْبَيْتَةَ لِيْسَ مِنَّا بَرَثَتُ إِلَى عُرْبَيْتَةَ مِنْ عَرَبِينَ^(١)
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبْنِي عَبْدَ وَأَنْكَرْنَا زَعْانِفَ آخَرِينَ^(٢)

ومنه : الإيطاء :

وهو أن تتفق القافيةن في قصيدة فإن زادت على الثني فهو
أسمج ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزًا كقولك أريد
خيارًا وأثر خيارًا أي تريد خيارًا من الله لك في كذا وختار الشيء
أجوده ، والإيطاء من الموافقة أي الموافقة ، قال الله تبارك وتعالى :
ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليواافقوا .

ومنه : الستاد :

وهو أن يختلف تصريف القافيةن ، كما قال عدي بن زيد^(٣) :
فاجأها وقد جمعت جُمُوعاً على أبواب حصن مُصلَّينا
فقدَمَتُ الأدِيمَ لراهِيشِهِ وألفي قولها كذباً ومينا^(٤)

(١) العرين : مأوى الأسد . وجرير شاعر العصر الاموي وقريبه الفرزدق توفي عام ١١٥ هـ .

(٢) الزعانف : جمع مفرد زعنفة . وهي القطعة من القبحة تشد وتتفرد
أو القبحة القليلة تنضم إلى غيرها .

(٣) شاعر قصيبي من شعراء الجاهلية ، سكن الحيرة والعراق ، وخدم في بلاط كسرى والنعمان بن المنذر ، وكان يحسن العربية والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى – وكان نصراانيا ، وعلماء اللغة لا يحتجون بشعره .

(٤) الأديم : الجلد . مينا : كذبا .

و كقول الفضل بن عباس المهني :

عبد شمسٍ أبى فلان كت غضى فاما ملئى وجهك الالبيخ خمُوشًا^(١)
نَحْنُ كَنَّا سُكَانَهَا مِنْ قَرِيشٍ وَبَنَّا سُمِّيَّتْ قَرِيشٌ قَرِيشًا

والسند من قولهم خرج بنو فلان برأسين متساندين ، أي كل فريق منهم على حاله ، وهو مثل ما قالوا : كانت قريش يوم الفخار متساندين ، أي لا يقودهم رجل واحد .

★ ★ ★

ولننبع ذلك بالكلام على عيوب المعاني .

(١) خمُوشًا : جروحا .

عيوب المعانى

قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جملتها أن يكون المعنى مواجهاً للغرض غير عادل عنه إلى جهة أخرى ، وبيننا من الأغراض التي تنتهيها الشعراء في ذلك الموضع ما إذ حفظ عرف العيب بالعدول عنه ، وبدأنا في باب المديح بأمور جعلناها أمثلة فلا بأس أن نأتي في أمثلها بأمثلة أيضاً .

١ - ذكر المديح

لما كنا قدمنا من حال المديح الحارى على الصواب ما أثبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح لشيء بفضائله الخاصة به ، لا بما هو عرضي فيه ، وجعلنا مديح الرجال مثلاً في ذلك ، وذكرنا أن من قصد مدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبة ، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيناً .

ومن الأمثلة الحياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان^(١) لعبد الله بن قيس الرقيات^(٢) حيث عتب عليه في مدحه إيه ، فقال له : إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظالماء

وقلت في :

يائِلُقُ التاجُ فَوْقَ مُفْرِقِهِ عَلَى جَبَنٍ كَانَهُ الْذَّهَبُ

(١) الخليفة الاموي المشهور .

(٢) شاعر الزبيديين السياسي توفي عام ٨٥ هـ وقد قتل عبد الله بن الزبير عام ٧٥ .

فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل
به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة
إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة ، وقد كنا قدمنا أن
ذلك غلط وعيب .

ومنه قول أيمن بن خزيم في بشر بن مروان :

يابن الدَّوَائِبِ والدَّرَّى والأَرْؤُسِ
والفرع من مُضَرِّ العَنْفَنِي الْأَنْفُسِ
وابنَ الْخَلَافِ وابنَ كُلِّ قَلَمَسِ
حَتَّى اتَّهَيْتَ إِلَى أَبِيكَ الْعَنْبَسِيِ
غَرَّتَ أَرْوَمَتَهَا أَعْزَزَ الْمَغْرُسِ
خَضْرَاءَ كُلَّ تَاجِهَا بِالْفَسَفَسِ
وَرِقَ تَلَلَّا فِي الْبَهَمِ الْخَنْدَسِ
يَا بْنَ الدَّوَائِبِ والدَّرَّى والأَرْؤُسِ
يَا بْنَ الْمَكَارِمِ مِنْ قَرِيشٍ ذَا الْعُلُ
مِنْ فَرَعَ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
مَرْوَانٌ إِنْ قَنَاهُ خَطَيْةٌ
وَبَنِيتَ عَنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةٌ
فَسَماوْهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلُ أَرْضَهَا

فما في هذه الأبيات شيء يتعلّق بالمدح الحقيقي وذلك أن
كثيراً من الناس لا يكرونون كآبائهم في الفضل ، فلم يصف هذا
الشاعر غير الآباء ، ولم يصف المدحوب بفضيلة في نفسه أصلاً ،
وذكر بعض ذلك بناءً قبة ثم وصف القبة أنها من الذهب والفضة ،
وهذا أيضاً ليس من المدح ، لأن في الملك والثروة مع الصنعة
والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ،
ولكن ليس ذلك مدحًا يعتقد به ، ولا جاريًا على حقه ، وما
ذكره في هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اشجع
ابن عمرو في المدح بما يخالف اليسار⁽¹⁾ .

يَرِيدُ الْمَلُوكَ نَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَا يَصْنَعُ
وَلِيَسْ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنِيِّ وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
فَقَدْ أَحْسَنَ هَذَا الشَّاعِرَ حِيثُ لَمْ يَجْعَلْ الْغَنِيِّ وَالْيَسَارَ فَضْيَلَةً
بَلْ جَعَلُهَا غَيْرَهُمَا .

(1) هنا ب مدح جعفرا البرمكي .

وقال ايضاً ايمن بن خزيم في بشر (بن مروان) :

فُلُو أَعْطَاكَ بِشَرْ أَلْفَ أَلْفَ
وَأَيْ حَقَّاً عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَ
وَأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرَّاجَا عَلَنْجَا
فَلَنَا قَدْ وَجَدْنَا أَمَّ بَشَرِّ
كَأَمِ الْأَسْنَدِ مِدْكَارَا وَلُودَا

فجميع هذا المدح على غير الصواب ، وذلك انه اومأ إلى المدح والتناهي في الحود اولاً ، ثم افسده في البيت الثاني بذكر السرج وغيره ، ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلى ان يكون ذمأ اقرب ، وذلك انه جعل امه ولو داً . والناس مجتمعون على ان إثنا عشر الحيوانات الكريمة يكون اندر .

ومنه قول الشاعر :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخَـا
وَأَمَّ الصَّقْرِ مَقْلَاتُ نَزُورُ^(١)

(١) بُغاث الطير : أضعفها . مقلات : مقلة من الاولاد . نزور : لا تضع الا نادراً .

٢ - ذكر عيوب الهجاء

كما أن معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذلك عيوب الهجاء ، يسهل الطريق إلى العلم به ما تقدم في باب نعنة .

وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجاهس الفضائل الفسانية ، كان ذلك عيوباً في الهجاء ، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه ، أو صغير الجسم أو مقتدر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة ، وخصاله كريمة نبيلة ، أو أن يكون أبواه مخطيئين إذا كان مصيبياً ، وغويين إذا وجد رشيداً سديداً ، أو بقلة العدد إذا كان كثيراً وعدم النضار إذا كان راجحاً شهماً : فلست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق .

ومن يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال أعددتها .

فمنها ما أنشدناه أبو العباس أحمد بن يحيى (١) :

رأيت نصف أسفار أميمة قاعدة على نصف أسفار يجن جنونها
فقالت مين آي الناس أنت أتيتنا فإنك راعي ثلة لا ترثها
قلت لها ليس الشحوب على الفتى بعار ولا خير الرجال سمينها (٢)

فهذا صحيح في أن القبيح والشحوب والسماجة ليست بعار .

ومن هذا أيضاً قول بعضهم في ابن له إزدراه رجال فعنهم من نعمه فأغاروا عليها :

(١) هو ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ

(٢) الشحوب : تغير لون الوجه من مرض أو هزال .

رَأْوَهْ فَازْدِرُوهْ وَهُوَ خَرَقْ وَيَنْفَعْ أَهْلَهُ الرَّجَلْ الْقَبِيْحْ

وَمِنْ أَبْيَاتِ الْأَوْلَى فِي أَنْ قَلَةَ الْمَالِ لِيْسَ عَارَّاً قَوْلَهُ :

عَلَيْكَ بِرَاعِي ثِلَّةَ مُسَانِجَةٍ يَرْوُحُ عَلَيْهِ تَحْضُّرُهَا وَحَقَّيْنَاهَا
سَمِينُ الصَّوَاحِي لَمْ تُؤْرِقْهُ لَيْلَةٌ وَإِنْ عَمَّ أَبْكَارَ الْهُمُومِ وَعُوْنَاهَا^(١)

وَلِلْسَّمْوَالِ^(٢) فِي أَنْ قَلَةَ الْعَدْدِ لِيْسَ عَيْبَّاً وَلَا سَبَّةً :

تُعَبِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقَلَتْ لَا إِنَّ الْكَرِيمَ قَلِيلٌ
وَمَا ضَرَنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

فَعُدِىَ هَذَا الشَّاعِرُ عَنِ الْمَجَاءِ الَّذِي عَيْرُوهُمْ بِهِ هَذِهِ الْمَعِيرَةِ، وَاحْتَجَ
فِيهِ بِعَا دَلْ عَلَى أَنَّهُ غَيْرَ ضَائِرٍ، ثُمَّ وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ
نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ بِالْأَوْصَافِ الَّتِي تَلَقَّى بِهَا كَرِيمًا إِيَّاهَا فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ لِلْمَنْفَعَةِ فِي تَعْلِيمِ الْمَجَاءِ الْجَارِيِّ عَلَى الصَّوَابِ فَقَالَ :

وَإِنَّا لِقَوْمٌ مَا نَرَى الْفَتْلَلَ سُبَّةٌ^(٣)
يَقْرُبُ حَبُّ الْمَوْتِ أَجَالُنَا لَنَا^(٤)
وَمَا مَاتَ مَنَّا سِيدٌ حَتَّفَ أَنْفَهُ^(٥)
لَنَا جَبَلٌ يَخْتَلِهُ مَنْ تُجِيرَهُ^(٦)
مَنْ يَرِدُ الْطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ^(٧)

(١) العنوان : الكبيرة من البكر .

(٢) السموال : شاعر جاهلي يهودي اشتهر بلاميته .

(٣) السبة : ما يسب به . وعامر وسلول : عامر بن صعصعة . وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة التي تنتهي الى قيس بن عيلان .

(٤) حتف أنفه : وانتها خص الانف بذلك لانه من جهة يقتضي الرمق وحتف منصوبة على الحال . ولا طل هنا الخ أي لم يبطل دم قتيل منا .

(٥) المراد بالجبيل العز والسمو . الطرف : النظر والعين . والآيات للسموال ، ومات قبل البعثة (الاغاني ١٩ / ٩٨ - ١٠٢ ، طبقات ابن سلام ٢٢٥ - ٢٢٧ ، سمعط اللائي ١ / ٥٩٥ ، معجم البلدان ١ / ٨٦ و ٨٧ ، الشريحي ١ / ٣٩٠ ، معاهد التصيص ١ / ٢٨٨ - ٣٩١) .

فأني في هذه الأبيات بالمدح من جهة الشجاعة . والبأس والعز
ثم قال :

ونكِرُ إِنْ شَنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ تَقُولُ
إِذَا سَيِّدٌ مَنَّا خَلَّا قَامَ سَيِّدٌ قَوْلٌ لَمَّا قَالَ الْكَرِيمُ فَقَوْلٌ
سَلَّى إِنْ جَهَّاتَ النَّاسِ عَنَّا وَعَنْهُمْ فَلِيسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهُولٌ

فأني في هذه الأبيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأي
والفهم ، ثم قال :

فَنَحْنُ كَمَ الْمُرْزُنُ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعْدُ بِخَيْلٍ^(١)
فأني بالمدح من جهة الجود ، وهو أحد أقسام العدل كما
بيانا . ثم قال :

صَفَوْنَا فَلِمْ نَكِدْرُ وَأَخْلَصْنَا سَرَنَا إِنَّا أَطَابْتُ حَمْلَنَا وَفَحُولَنَا^(٢)
فأني بالمدح من جهة العفة إذ كان في ذكرة طيب العمل
دليل على ذلك . أفلأ ترى أن هذا الشاعر لما علم أن المعيرة لم
تأت بما يضرهم احتاج في ذلك بما يزقل الظنة عنهم . ثم عمد
إلى الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة فأوجبها ، فكأنه أرى بهذا
الفعل أن ما قالته المعيرة جاريا على غير الصواب . وأنشد أحمد بن
يجيسي^(٣) في هذا المعنى :

وَإِنِّي لَا أَخْرَى إِذَا قِيلَ مُلْقٌ جَوَادٌ وَأَخْرَى أَنْ يُقَالَ بِخَيْلٍ^(٤)

وبلغني أن ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهله يا ابن ذات
النطاقين فقال لأبن أبي عتيق : وتلتك شكاة ظاهر عنك عارها .
فأبان بهذا القول أنه لا يلزم ما يقال في أمه . فإذا توصل ما
ذكرته في هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب المجادلة كيف
يتعرف .

(١) ماء المزن : المطر وهو أصفى المياه عندهم فشبه صفاء انسابهم
بصفاء ماء المطر والمزن : الابيض . الكهام : الكليل الحد .

(٢) ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ

(٣) معلق : فقير من املق .

٣ - عيون المراثي

وأما المراثي ففي ما قدمته في باب نعوتها أيضاً ما أبان عن الوجه في باب عيوبها إذا كان النظر صحيحًا والتفكير سليمًا.

٤ - واما عيب التشبيه

فذاك سببته أيضاً لمن كان حافظاً لما تقدم من أقوالنا في باب نعوتها .

٥ - واما عيب الوصف

في المضادة في باب نعوتها .

٦ - واما الفزل

فالقول فيه كالقول في ما مر من هذه الأبواب إذ كان عيبه إنما هو مضادة ما قدمنا ذكره في باب نعنته ، ومن العزل الجاري على تلك المضادة وفيه - مع أنه مثال في هذا الموضع للعيوب - توكيده لما قدمته في باب النعوت أقول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز ابن مروان :

فلمَّا بدأ لي ما رأعني نزعتُ نزوعَ الأبي الكربي
وبلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنسد هذا البيت قال :
قبحه الله ، لا والله ما أحببتهها ساعة فقط .

ومثله لنابغة بنى تغلب واسمها الحارث بنى عدوان :
هجرتَ أمةَ هجراً طويلاً وما كان هجرُك إلا جَمِيلاً
على غير بُغضٍ ولا عن قِلَّٰٰ وليس حَيَاءَ وليس ذُهولاً^(١)

(١) قلى الشيء أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

ولكن بخينا لبخلك عمداً فكيف يلومُ البخيلُ البخالةَ

ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدمانة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مشكّر لها ، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيباً إلا أنه إنما لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذ كان قد يحتاج إلى الخشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرعب ، وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرته تلك الأحوال وتباعده منها .

فمن الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله
القس :

إنْ تَنَا دَارُكَ لَا أَمْلَ تَذَكَّرَا وَعَلَيْكَ مِنِّي رَحْمَةً وَسَلَامٌ^(١)

ومن المستحسن قول هذا الشاعر :

سَلَامٌ لَيْتَ لِسَانَنَا تَنْطِقِينَ بِهِ قَبْلَ الَّذِي نَالَهُ مِنْ صُوْتِهِ قُطْعَةً
فَمَا رَأَيْتَ أَغْلَظَ مَنْ يَدْعُو عَلَى مَحِبَّتِهِ بِقَطْعِ لِسَانِهِ حِيثُ
أَجَادَتْ فِي غَنَائِهَا لَهُ .

(١) تَنَا : تجد .

فاما العيوب العامة للمعاني

من الأغراض التي ذكرناها وغيرها وعموم ذلك إياها
كعموم النعوت التي قدمتنا وعدد في أبوابها .

فمنها : فساد الأقسام :

وذلك يكون إما لأن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما
داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر . أو يجوز أن يدخل أحدهما
في الآخر في المستأنف ، وأن يدع بعضها فلا يأتي به . فاما
الشکرير فمثل قول هذيل الأشجعى :

فَمَا بِرْحَتْ تُومِي إِلَيْ بَطْرُفِهَا وَتُومِضْ أَحْيَانًا إِذَا خَصَّهَا غَفَلْ

لأن تومض وتومي بطرفها متساوية في المعنى .

واما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم :

أَبَادِرْ إِهْلَكَ مُسْتَهْلِكَ لَمَّا أَوْ عَبَثَ العَابِثِ

فعبث العابث دخل في إهلاك مستهلك .

ومثل قول أمية بن أبي الصلت :

اللَّهُ نِعْمَتُنَا تَبَارَكَ رَبُّنَا رَبُّ الْأَنَامِ وَرَبُّ مَنْ يَتَابِدُ⁽¹⁾

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتايد : الوحوش
وذلك أن من لا تقع على الحيوان غير الناطق . وإذا كان الأمر
على هذا فمن لا يتوحش داخل في الأنام أو يكون أراد
بقوله يتايد أي يتقوت من الأبد . وذلك داخل في الأنام

(1) يتايد : يتقوش . وأمية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره وشهد
الرسالة ولم يسلم . وتوفي عام ٩ هـ .

وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر فمثل قول أبي عدي القرشي :

غير ما أَنْ أَكُونَ نَلْتُ نَوَالاً مِنْ نَدَاهَا عَفْوًا وَلَا مَهْتَمْ

فالعفو قد يجوز أن يكون مهتماً والمهتم قد يجوز أن يكون عفواً وقد ضحكت من أنوك سأله مرة فقال علقمة بن عبدة جاهلي أم من تميم فلن الجاهلي قد يكون من بنى تميم أو من بنى عامر والتميمي قد يكون إسلامياً وجاهيلياً .

ومن ذلك قول عبدالله بن سليم العامدي :

فَهَبَطَتْ سِرْبًا مَا يُفْرَغُ وَحْشُهُ مِنْ سُرْبٍ نَاوِيَهُ وَكُنُوسٍ

نَاوِيَهُ سَمِينٍ يَقَالُ نَوَى أَيْ سَمِنٍ وَالسَّمِينٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانِسًا وَالكَانِسُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَمِينًا وَهَرِيلًا . وأما الأَهْسَامُ الَّتِي يَسْرُكُ بَعْضُهَا مَا لَا يَحْتَمِلُ الْوَاجِبُ تَرْكُهُ .. فمثل قول جرير في بنى حنيفة :

صَارَتْ حَنِيفَةُ أَثْلَاثًا فَثَلَاثُهُمْ مِنَ الْعَبِيدِ وَلَثُلَاثُ مِنْ مَوَالِيهَا

فبلغني أن هذا الشعر أنسد في مجلس ورجل من بنى حنيفة حاضر فقيل له من أهيم أنت؟ فقال : من الثالث الملغى ذكره .

ومن عيوب المعاني : فساد المقابلات :

من كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات في باب النسوت ظهرت له الحال في فسادها ظهوراً أكثر ، وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابلها بأخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنين لا يخالف الآخر أو يوافقه .

مثال ذلك قول أبي علي القرشي :

يا ابنَ خَيْرِ الْأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أَنْتَ زَيْنُ الدُّنْيَا وَغَيْثُ الْجَنَوْدِ

فليس قوله ونفيت الجنود موافقاً لقوله زين الدنيا ولا مضاداًً وذلك عيب .

ومنه قول هذا الرجل في مثل ذلك :

رُحْمَاءُ الَّذِي الصَّلَاحُ وَضَرَّابُونَ قَدْمًا لِهَامَةَ الصَّنْدِيدِ^(١)

فليس للصَّنْدِيدِ في ما تقدم ضد ولا مثل ولعله لو كان مكان قوله الصَّنْدِيدُ الشَّرِيرُ لو كان جيداً لقوله ذي الصَّلَاحُ ، وللعدول عن هذا العيب غير الرواية قول أمرىء القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سُوِّيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقِطُ أَنْفُسَ^(٢)

فأبدلوا في مكان سوية جماعة لأنه في مقابلة تساقط أنفساً أليق من سوية .

ومن عيوب المعاني : فساد التفسير :

من كان ذاكراً لما قدمناه في باب نعت هذا المعنى عرف الوجه في عيوبه ، مثال ذلك إذ جاعني بعض الشعراء في هذا الوقت وأنا أطلب أمثلة في هذا الباب لاستغاثتي فيه وهو :

فِيَ أَيْهَا الْحِيرَانَ فِي ظُلْمِ الدَّجَى وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بُغْنِيَّ مِنَ الْعِدَى
تَعَالَى إِلَيْهِ تَلَقَّ مِنْ نُورٍ وَجَهِيهُ ضِيَاءً وَمَنْ كَفَّيْهُ بَعْرَأً مِنَ النَّدَى

وقد كان هذا الرجل يسمعني كثيراً الخوض في أشياء من نقد الشعر ، فوعي بعض ذلك ، ويستجيد الطريق التي أوضحتها له ، فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له ولاح له ما فيها من العيب ولم يتحققه صار إلى ، وذكر أنه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ومن

(١) الْهَامَةُ : رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ . الصَّنْدِيدُ : السَّيِّدُ الشَّرِيفُ .

(٢) تَمُوتُ سُوِّيَّةً أي تموت مرة واحدة ، ولكنها بغير ذلك فان المرض ينقصها شيئاً فشيئاً .

ظن أن عنده مفتاحاً وأن بعضهم جوزها وبعضهم شعر بالعيوب فيها
 فذكرت له الحال فيها وأثبتت البيتين في هذا الموضع مثلاً ، ووجه
 العيب فيها أن هذا الشاعر لما قدم لي البيت الأول المغيرة في الظل
 وبغي العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنين في البيت الثاني بما يليق
 بهما فلأنه بإزاء الظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب أن يأتي
 بإزاء العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك مما يختفي
 به الإنسان من أعدائه ، فلم يأتي بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ، ولو
 كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً ، وقد يتفرع من هذا
 الباب خطأ إذا وقعا فيه خرجا إلى آخرين من أبواب عيوب
 الشعر : أحدهما أن يكون هذا الشاعر لو لم يأتي بخلاف القسم الثاني
 مثلاً بل تركه لدخل في باب الخلل ولو لم يتركه بل أتى به وزاد
 عليه لدخل في باب الحشو ، وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما .

ومن عيوب المعاني : الاستحالة والتناقض :

وهو أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة
 واحدة ، والأشياء تقابل على أربع جهات ، إما على طريق المضاد
 ومعنى المضاد هو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره مثل الضعف إلى
 نصفه والمولى إلى عبده والأب إلى ابنه ، فكل واحد من الأب والإبن
 والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالإضافة إلى الآخر ، وهذه
 الأشياء من جهة ما إن كان واحد منها يقال بالقياس إلى غيره ، هي
 من المضاد ، ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالمقابل له
 فهي من المقابلات فإذا على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحسار
 للبارد والأبيض للأسود ، وإنما على طريق العدم والقنية مثل
 الأعمى للبصير والأصلع وذي الجمة . وإنما على طريق النهي
 والإثبات مثل أن يقال زيد جالس وزيد ليس بجالس ، فإذا أتى

في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني ، وأعني بقولي من جهة واحدة أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منظوم ومتضمن متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض ، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاد أن العشرة مثلاً ضعف وأنها نصف لكن يقال إنها ضعف الحسنة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين ، كما لو قيل في إنسان واحد أنه أعمى العين بصيرها فلا محال ، وكذلك في التضاد أن يقال للفاتح حار بالنسبة إلى البارد وبارد بالنسبة إلى الحار فأما عند أحدهما فلا ، وفي التفي والإثبات أن يقال زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو جالس وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام فذلك جائز ، وأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ، وهذه العلة يجوز ما يأتى في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة :

إذا انتكثَ الحبلُ أَفْيَتَهْ صبورَ الخبرَ رزيناً خَفِيفاً^(١)

فلو لم يرد أنه رزين من حيث ليس هو خفيفاً لم يكن مجوزاً .

ومثل ما قال الشنفري :

فَدَقَّتْ وَجَلَتْ وَأَسْبَكَرْتْ وَأَكَلْتْ فَأَوْ جُنْ إِنْسَانْ مِنْ الْحَسْنِ جَنَّتْ^(٢)

فإنما أراد دقت من جهة وجلت من جهة أخرى ، فأما لو كان أراد أنها دقت من حيث جلت لم يكن جائزأً ، وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع في ما قيل فيه بين المتقابلات

(١) الخبر : ما لان من الأرض واسترخي .

(٢) دقت : ضئلت وصغرت . جلت : عظمت . والشنفري شاعر جاهلي من الصعاليك وهو صاحب لامية العرب .

من جهة واحدة ، ومنه ما تناقض فيه ظاهر يعلم في أول ما يلقى إلى السمع ، ومنه ما يحتاج إلى تبييه على موضع التناقض .

وما جاء في ذلك على جهة التضاد قول أبي نواس في الخمر :

كأنَّ بقايا ما عنا من حبَّابَهَا تفاريقُ شيب في سواد عذارٍ^(١)

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائز لأن الحباب يشبه به في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ثم قال :

ترددتْ به ثُم انفرى عن أديمها تقرَّى ليل عن بياض نهار^(٢)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العناء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار وليس في التناقض له منصرف إلى جهة من الجهات للعذر لأن الأسود والأبيض طرفاً متضادان وكل واحد منها في غايةبعد عن الآخر ، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلا كما يوصف الأدكـن في الألوان بالقياس إلى واحد من الطرفين الذي هو واسطة بينهما ، فيقال إنه عند الأبيض أسود .

ولعل قوماً يمتحنون لأبي نواس بأن يقولوا إن قوله « تقرى ليل عن بياض نهار » لم يرد به لا أبيض ولا أسود لكن الذي أراده إنما هو ذات التقرى وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الألوان ، فنقول من يمتحن بهذه الحجة تبطل من جهات :

إحداها أن الرجل قد صرخ بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار .

(١) الحباب : الفقاقع تطفو كأنها القوارير .

(٢) انفرى انشق : أديمها : جلدتها .

والثانية تشبيه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير
البياض .

والثالثة أن الليل والنهار ليس هما غير الظالمة والضياء فيظن
بالخاهم هما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر فإن القائل مثلاً
في شيء قد يتبرأ من شيء كما تبرأ الشرة من العجين .

وقد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين :

أحدهما (١) أن يظن أنه أراد تبريء الأسود من الأبيض لأن في
الشرة والعجين جسماً يجوز أن يتبرأ من جسم سواداً وبياضاً ، فاما
الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط ، فاما جسم يتبرأ من
جسم فلا .

وما جاء في الشعر في التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القدس (٢) :

فإنني إذا ما الموت حل ب نفسها يزال بنفسه قبل ذاك فأقرب

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف لأنه لا قبل إلا بعد
ولا بعد إلا قبل حيث قال إنه إذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه
شرط وصفة ليكون له جواب يأتي به وجوابه قوله « يزال بنفسه » قبل
ذلك ، وهذا شبيه بقول قائل لو قال إذا انكسرت الجرة انكسر الكوز
قبلها ، ومتصلة هذا التناقض عندي فوق متصلة جمع المتقابلين في الشناعة ،
لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل بعدها .

وما جاء في الشعر على طريق القنية وعدم قول ابن نوبل :

لأعلاج ثانية وشيخ كبير السن ليس بذي ضرير

(١) الوجه الثاني ساقط من الأصل .

(٢) محبوبته (سلامة) كانت تجيد الغناء وهما من العصر الاموي .

فلفظة ضرير إنما تستعمل وهي تصريف فعيل من الضر في الأكثـر
لـذـي لا بـصـر لـهـ ، وـقولـهـ هـذـا الشـاعـرـ فـي هـذـا الشـعـرـ إـنـهـ ذـو بـصـرـ وإنـهـ
ضرـيرـ تـنـاقـضـ مـنـ جـهـةـ الـقـنـيـةـ وـالـعـدـمـ ، وـذـلـكـ أـنـهـ يـقـولـ إـنـ لـهـ بـصـرـأـ وـلـاـ
بـصـرـ لـهـ فـهـوـ بـصـيرـ أـعـمـىـ .

فـيـانـ قـائـلـ : إـنـهـ ضـرـيرـ رـاجـعـ إـلـىـ الـبـصـرـ بـأـنـهـ أـعـمـىـ فـالـعـرـبـ أـوـلـاـ
إـنـماـ تـرـيدـ بـضـرـيرـ الـإـنـسـانـ الـذـيـ قـدـ لـخـقـهـ الـضـرـ بـذـهـابـ بـصـرـهـ لـاـ الـبـصـرـ نـفـسـهـ ،
وـأـيـضـاـ فـلـيـسـ الـبـصـرـ هـوـ الـعـيـنـ الـتـيـ يـقـعـ عـلـيـهـ الـعـمـىـ بـلـ ذـاتـ الـإـبـصـارـ
وـذـاتـ الـإـبـصـارـ لـاـ يـقـالـ هـاـ عـمـيـاءـ كـمـاـ لـاـ يـقـالـ إـنـ حـدـدـ الـسـيـفـ كـلـيـلـةـ بـلـ
إـنـماـ يـقـالـ السـيـفـ كـاـيـلـ لـأـنـ الـحـدـدـ لـاـ تـكـلـ وـكـذـاـ الـبـصـرـ لـاـ يـعـمـيـ وـلـكـهـ فـيـ
توـسـعـ الـلـغـةـ وـتـسـمـعـ الـعـرـبـ فـيـ الـلـفـظـ جـائزـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـمـجازـ ، وـقـدـ جـاءـ
فـيـ أـقـوـىـ الـمـواـضـعـ حـجـةـ وـهـوـ الـقـرـآنـ فـيـ قـوـلـهـ عـزـ وـجـلـ : «ـ إـنـهـ لـاـ تـعـمـيـ
الـأـبـصـارـ »ـ وـلـكـهـ إـذـاـ جـازـ فـيـ الـبـصـرـ أـنـ يـقـالـ أـعـمـىـ فـلـاـ أـرـاهـ يـجـوزـ أـنـ يـقـالـ
فـيـهـ مـضـرـورـ .

وـأـرـىـ أـنـ مـاـ يـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ مـنـ التـنـاقـضـ قـوـلـ اـبـنـ هـرـمـةـ :

تـرـاهـ إـذـاـ مـاـ أـبـصـرـ الضـيـفـ كـلـبـهـ يـسـكـلـمـهـ مـنـ جـهـهـ وـهـوـ أـعـجـمـ (١)

فـيـانـ هـذـاـ الشـاعـرـ أـقـنـىـ الـكـلـبـ الـكـلـامـ فـيـ قـوـلـهـ يـكـلـمـهـ ثـمـ أـعـدـهـ إـيـاهـ
عـنـ قـوـلـهـ وـهـوـ أـعـجـمـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـزـيدـ فـيـ القـوـلـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ مـاـ ذـكـرـهـ
إـنـماـ أـجـرـاهـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـاسـتـعـارـةـ فـيـنـ عـلـرـ هـذـاـ الشـاعـرـ بـعـضـ الـمـاعـذـيرـ إـذـاـ
كـانـتـ الـحـجـجـ كـثـيرـةـ ، فـهـلـاـ قـالـ كـمـاـ قـالـ عـنـرـةـ :

(١) اـبـنـ هـرـمـةـ (٧٠ـ ـ ١٥٠ـ مـ) هـوـ اـبـراهـيمـ بـنـ هـرـمـةـ ، سـاقـةـ الـشـعـراءـ
وـأـخـرـ مـنـ يـحـتـجـ بـهـ مـنـهـ ، وـهـوـ مـنـ مـخـضـرـمـيـ الـدـوـلـتـيـنـ (ـ الـشـعـرـ وـالـشـعـراءـ
٢ـ /ـ ٧٢٩ـ ـ ٧٢١ـ ـ الـأـفـانـيـ ٤ـ /ـ ١٠١ـ ـ ١١٢ـ ـ الـخـزانـةـ ١ـ /ـ ٢٠٣ـ وـ ٢٠٤ـ ـ
ـ سـمـطـ الـلـالـيـ ١ـ /ـ ٣٩٨ـ ـ وـالـبـيـتـ فـيـ حـمـاسـةـ أـبـيـ تـامـ ـ وـأـمـالـيـ الـرـتـضـيـ
٢ـ /ـ ١٢ـ وـ ١٤ـ ـ وـدـيـوـانـ الـمـعـانـيـ ١ـ /ـ ٢٢ـ ـ وـخـزانـةـ الـأـدـبـ ٤ـ /ـ ٥٨٤ـ ـ وـالـشـعـرـ
وـالـشـعـراءـ ٢ـ /ـ ٧٢١ـ ـ الـمـوـشـعـ ٢٢٦ـ ـ وـالـشـرـيشـيـ ٢ـ /ـ ٣٢١ـ ـ وـالـحـيـوانـ
١ـ /ـ ٣٧٨ـ)

فازور من وقع القتال بلبنان وشكى إليّ بعراة وتحمّم^(١)

فلم يخرج الفرس عما له من التحمّم إلى الكلام ثم قال :
لو كان يتدري ما المحاورة اشتكتي ولكن لو علم الكلام مكلمي

وما جاء من الشعر على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القدس :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملائمكم فالقتل أعني وأيسر^(٢)

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله
القتل أعني وأيسر ، فكأنه قال إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله :

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول بل القتل أعني وأيسر ، ولو
قال بل لكان الشعر مستقيماً لأن مقام لفظه بل مقام ما ينفي الماضي
ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الإثبات وتفيه استحال
شعره وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظة تقييم شعره فجعل مكانها
لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له ما يتوجه أنه أراده ويترك ما
قد صرّح به ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ .

وأرى أن ما يجري هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدي حيث
قال :

أكف بالجهل عن حلماء قومي وأعرض عن كلام الجاهلين^(٢)
إذا رجُل نعرضه مُسْتَخِفاً لتنا بالجهل أو شرك أن يحيينا^(٣)

(١) انور : اعوج . ولهذا اطلقوا على بغداد الزوراء لازورارها عن
القلة . الحمامة : صوت الفرس اذا طلب العلف . او رأى صاحبه فاستأنس
به والبيت من أجود الشعر واروعه .

(٢) الجهل : الظلم .

(٣) أن يحيينا : ان يقتل .

فقد أوجب هذا الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض عن الجهال ونفي ذلك بعينه في البيت الثاني بتعديه في معاقبة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل .

ولأبي نواس أيضاً شيء يشبه هذا وهو قوله :

وَلِيُّ عَهْدٌ مَا لَهُ قَرِينٌ وَلَا لَهُ شَبَهٌ وَلَا خَدِينٌ^(١)
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِلِي هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونَ
إِلَّا النَّبِيُّ الْمَصْطَفَى الْمَأْمُونُ

فصير هارون شبيهاً بولي العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه وليس خيراً منه لأنَّه شبيه أو كشبيه وليس بشبيه لأنَّه خير منه وهذا جمع بين النفي والإثبات .

وما يجري هذا المجرى وقد أنكره الناس وعابوه قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعْفِها القِدَمَ بَلْ وَغَيْرُهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمَ^(٢)

ومن عيوب المعاني: إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويعك كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام عليه أنَّ المتناقض لا يمكن ولا يمكن تصوره في الوهم والممتنع لا يمكن ولكن يمكن تصوره في الوهم .

وما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع في ما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يَا أَمِينَ اللَّهِ عَشْ أَبْسَدْ دُمْ عَلَى الْأَيْسَامِ وَالْرَّأْمَنِ

(١) الخدين : الصاحب .

(٢) لم يعفهما : لم يبلها ويدرسها ويعيّن أثر قدمها .

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاصيل لهذا المدح بقوله «عش أبداً» أمراً أو دعاء ، وكل الأمر في مما لا يجوز ومستحب .

ولعل مغرضه يعتري هذا القول هنا في هذا الموضع فيقول إنه مناقضة لما استجزناه ورأيناه صواباً في صدر هذا الكتاب من الغلو ويجعل قول أبي نواس هذا غلواً فيلزمها تجويفه كما فعلنا تجويف الغلو ونخن نقول إن هذا وما أشبهه ليس غلواً ولا إفراطاً بل خروجاً عن حد المتنع الذي لا يجوز أن يقع ، لأن الغلو إنما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له ، لأن الذي يكون قلنا إنه جائز مثل قول النمر بن تولب :

تظل تغمر عنه إن ضربت به بعد الدراعين والساقيين والمادي (١)

فليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الفراعين والساقيين والمادي وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص في الأرض ولكنه مما لا يكاد يكون . وكل ذلك ما قلناه في ما قال مهلل (٢) :

فولا الريح أسع من بحير صليل البيض تقع بالذكر

فإنه أيضاً ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طينها بقوع السيف إليها ولكن يبعد بعد المسافة بين موضع الوعة وحجر بعد لا يكاد يقع وليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً فلما كنا قد قلنا أن خارج الغلو إنما هي على (يكاد) ، وليس في قول أبي نواس «عش أبداً» موضع يحسن فيه لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال أمين يكاد أن يعيش أبداً .

(١) تقدم البيت وشرحه في صفحة ٩٢ والنمر شاعر محضر توفى عام ١٤ هـ .

(٢) مهلل من قدامى الشعراء الجاهليين وارقهم غلا ورثاء وكان قبل أمرىء القيس وهو خاله .

ومن عيوب المعاني : مخالفة العرف والإيتان بما ليس في العادة
والطبع مثل قول المرار :

وخلالٍ على خديك يَبَدو كأنه سَنَّ البرُّق في دعجاء باد دجونها^(١)

فالمتuarف المعلوم أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللون
والحدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنتع فائني هذا الشاعر بقلب
المعنى .

ومن هذا الجنس قول الحكم الخضري :
كانت بتو غالب لأمتهـا كالغثـث في كل ساعـة يـكـفـ^(٢)

فليس المعهود أن يكون الغثـث واكـفــا في كل ساعـة .

ومن عيوب المعاني : أن ينسب إلى الشيء ما ليس له .

كما قال خالد بن صفوان^(٣) :

فإن صورة راقتـكـ فـاخـبـرـ فـرـبـماـ أمرـ مـذـاقـ العـودـ وـالـعـوـدـ أـخـضـرـ
فهذا الشاعر بقوله « أمر مذاق العود والعود أخضر » كأنه يومـيـهـ
إلى أن سـبـيلـ العـودـ الـأـخـضـرـ فيـ الـأـكـثـرـ أنـ يـكـونـ عـذـبـاـ أوـ غـيـرـ مـرـ ،ـ فـهـذـاـ
لـيـسـ بـوـاجـبـ لـأـنـ لـيـسـ الـعـودـ الـأـخـضـرـ بـطـعـمـ أـوـلـىـ مـنـ بـالـأـخـرـ .ـ

ولتتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربع المؤلفة
من ذلك :

(١) الدعجاء : أو المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين دجونها : الدجن :
المطر الكثير .

(٢) يـكـفــ : يـقـطـرـ .

(٣) من بلقاء الدولتين الاموية والعباسية وهو تعييم منقري ، كان
من أعلام الخطباء ، توفي عام ١٢٢ هـ (أمالي المرتضى ٢ / ٢٦١ - ٢٦٢ ،
الوفيات ٢٢٥ و ٢٢٦ ، المعارف ٤٠٢ ، نكت الهميان ١٤٨ و ١٤٩) .

عيوب اتلاف اللفظ والمعنى

فمنها : الإخلال :

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثال ذلك قول عبد الله
ابن عبد الله بن مسعود :

أعادل عاجلٌ مالي أحبُ إلَيْهِ من الأكثُر الرَّأْسُ

فإنما أراد أن يقول عاجل مالي مع القلة أحب إلَيْهِ من الأكثُر
البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى .

ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

عجبتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتَلُونَ نُفُوسَهُمْ وَمَقْتُلُهُمْ عَنْ الْوَغْنِيِّ كَانُوا أَعْذَرَهُ
ولإنما أراد أن يقول عجبت لهم أن يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم
عند الْوَغْنِيِّ أعنتر فترك « في السلم » .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة :

وَالْعِيشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ النُّوكِ مِنْ عَاشَ كَدَّا (١)

فأراد أن يقول « والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في
ظلال العقل » ، على أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر ،
وهو أن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول : إن العيش الناعم في
ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كثير .

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

(١) النوك : بالضم والفتح الحمق والجنون ، والحارث من شعراء
الملقات المشهورين .

لَا يرمضُونَ إِذَا حَرَّتْ مَشَافِرُهُمْ
وَلَا تُرَى مِنْهُمْ فِي الطَّيْنِ مَبَالًا^(١)
أَلَا أَرْكَبَنَ قَدْ آتَتْ أَبْطَالًا^(٢)
وَيَفْشِلُونَ ، إِذَا نَادَى رَبِّهِمْ

فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ وَلَا يَفْشِلُونَ فَحُذِفَ « لَا » فَعَادَ إِلَى الصَّدِّ .

★ ★ *

وَمِنْ عِيُوبِ هَذَا الْجِنْس^(٣) عَكْسُ الْعَيْبِ الْمُتَقْدِمِ ، وَهُوَ أَنْ يُزِيدَ
فِي الْفَظْوَى مَا يُفَسِّدُ بِهِ الْمَعْنَى .

مَثَلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

فَمَا نَطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ نَخْضِعُ عَذَّبَيْهِ
تَمْتَحَّنَ مِنْ أَيْدِيِّ رُقَّاهُ تَرُومُهُ^(٤)
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا لَوْ أَنْكَ ذَقْتَهُ
إِذَا لَيْلَةً أَسْجَتْ وَغَارَتْ نَجْوَمُهَا^(٤)

فَقُولُ هَذَا الشَّاعِرِ « لَوْ أَنْكَ ذَقْتَهُ » زِيَادَةُ تَوْهِمٍ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَذْقَهُ لَمْ
يَكُنْ طَيِّبًا .

(١) رَمَضَ النَّصْلَ يَرْمِضُهُ جَعْلُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَمْلَسَيْنِ ثُمَّ دَقَّ لَيْرِقَ .

(٢) الرَّبِيعُ : مَا تَقْدِمُ الْقَوْمُ وَسَارَ فِي طَلِيعَتِهِمْ وَعَلَا وَارْتَفَعَ عَنْهُمْ .

(٣) وَهُوَ اِتَّلَافُ الْفَظْوَى وَالْمَعْنَى .

(٤) أَسْجَتْ : مَسْكَنَتْ .

عيوب اتلاف اللفظ والوزن

منها : الخشو :

وهو أن يمحى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن .

مثال ذلك ما قال أبو عدي الع بشي :

نَحْنُ الرُّؤُسُ وَمَا الرُّؤُسُ إِذَا سَمِّتَ فِي الْمَجْدِ لِلأَقْوَامِ كَالْأَذْنَابِ
فَقُولُهُ «لِلأَقْوَامِ» خشو لا منفعة فيه .

وقال مصقلة بن هبيرة :

الِّكْنِي إِلَى أَهْلِ الْعَرَاقِ رَسَالَةٌ وَخُصُّ بَهَا حُبِيبَتْ بَكْرَ بْنَ وَأَقْلَلَ^(١)

فَقُولُهُ «حُبِيبَتْ» خشو لا منفعة فيه .

ومنها : الشليم :

وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى تلمسها
والنقص منها .

مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

مَا أَرَى مَنْ يُغَيِّثُنِي فِي حِيَاتِي غَيْرَ نَفْسِي لَا بَتِي إِسْرَالَ^(٢)

وقال في هذه القصيدة :

أَيْمَ شَاطِنٌ عَصَاهُ عَدَاهُ كُمْ تَلَقَّى فِي السُّجُنِ وَالْأَكْبَالِ^(٣)

(١) الِّكْنِي : أرسلني .

(٢) إِسْرَال : اي اسرائيل وامية شاعر جاهلي كان يتحفف في شعره
- ادرك الاسلام ولم يدخل فيه - مات عام ٩ هـ .

(٣) الْأَكْبَال : القيود .

وقال عائمة بن عبدة :
كأنَّ إبريقهم ظبيٌّ على شرف مُقدَّمٍ بسبَّ الكتان ملثومٍ^(١)
أراد بسباب الكتان فمحذف للعروض .
وللبيه :

درس المنا بمتالع فأبَان
أراد بالمنا بالمنازل .

* * *

ومنها : التدنيب :
وهو عكس العيب المتقدم ، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقتصر
عن العرض فيضطر إلى الزيادة فيها ، مثل ما قال الكميت :
لا كعبد الملك أو كيزيد أو سليمان بعد أو كهشام
فالملوك والملوك إسمان الله عز وجل ، وليس إذا سمي إنسان بالتبعد
لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر ، كما أنه ليس من سمي
عبد الرحمن هو كمن سمي عبدالله .

* * *

ومن هذا الجنس : التغيير :
وهو أن يجعل الإسم من حالة وصورته إلى صورة أخرى إذا
اضطربه الوزن إلى ذلك .

كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام
ونسج سليم كل قصاء ذائل

(١) مقدم : من الفدام وهو السداد .

و كما قال آخر :

منْ نسيج داودَ أني سلامٌ

★ ★ *

و منه : التعطيل :

و هو أن لا يتنظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان المروض فيقدم
ويؤخر كما قال دريد بن الصمة ^(١) :

و بلغ نُسِيرًا إِنْ عَرَضْتَ أَبْنَعَامِرَ فَأَيْ أَنْجِ فِي التَّابَاتِ وَصَاحِبِ

فرق بين نمير بن عامر بقوله « إن عرست »

و كما قال أبو عدي القرشي :

خَيْرٌ رَاعِي رَعْيَةٍ سَرَهُ اللَّهُ هَشَامٌ وَخَيْرٌ مَأْوَى طَرِيدٍ

(١) سيد يبني جشم وشاعرهم وفارسهم - قتل عام ٨ هـ (الاغاني ٤٦١/٣ - ٧٢٩ - الشعر والشعراء ٧٢٥/٢ - ١٩ - الخزانة ٤٦٢ - الروض الاتف ٢ / ٢٨٧) .

عيوب انتلاف المعنى والوزن معاً

منها : المقلوب :

وهو أن يضطر الوزن الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به .

مثال ذلك لعروة بن الورد (١) :

فلوْ أني شهدتُ أبا سعَاداً غَدَّاهُ غداً بِمَهْجِيَّهِ يَفُوقُ
فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلَوْكَ إِلَّا مَا أَطْبَقَ
أراد أن يقول فديت نفسه بنفسه فقلب المعنى .

والمحطية :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْمَوْنَ وَالْعِيرَ مَسِكَ عَلَى رَغْمِيَّهِ مَا أَثْبَتَ الْحَبْلَ حَافِرَهَ
أراد الحبل حافره فانقلب المعنى .

ومنها : المببور :

وهو أن يطول المعنى عن أن يتحمل العروض تمامه في بيت واحد
فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني .

مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليلوم كان على أمرِي ومن لك بالتدبر في الأمور
فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ولكنه أني بالبيت الثاني
فقال :

إِذَا مَلَكْتُ عَصْمَةَ أَمْ وَهَبْ على ما كان من حسَكِ الصَّدُورِ (٢)
فالمعنى في البيت الأول ناقص فائمه في البيت الثاني .

(١) من الشعراء الصعاليك الجاهليين المشهورين .

(٢) الحسَك : نوع من النبات له ثمر كالحصان شائك وهذا كناية عن
شدة الغيط الكامن في نفسه .

عيوب ائتلاف المعنى والقافية

منها أن تكون القافية مستدعاً قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى
سائر البيت :

مثل ما قال أبو تمام الطائي (١) :

كالظبية الأدمة صافت فتارت زهر القرار الفَضْ وَالْمُحْجَاثَا

فجميع هذا البيت مبني على طلب هذه القافية وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الحشجاث كثير فائدة ، لأنه إنما توصف الظبية بأنها ترتعي الحشجاث إذا قصد نعتها بأحسن أحواها ، لأن يقال إنها تعطوا ^(٢) الشجرة لأنها حبست تكون رافعة رأسها وتوصف بأن ذرعاً يسراً قد لحقها ، كما قال الطرامح ^(٣) :

میل ما عاینت عروفه نصها ذاعر روع مؤام

فأما بأن ترتعي الجثجاث فلا أعرف له معنى في زيادة الطيبة لا سيما والجثجاث ليس من المداعي التي توصف بأن ما يرتعي يوثره.

ومن عيوب هذا الجنس : أن يؤتى بالقافية لأن تكون نظيرة لأنواعها في السجع ، لأنها فائدة في معنى البيت .

كما قال علي بن محمد البصري :

وسابعة الأذىال زغف مفاضة تكتفها مني اليمجاد المخطاط

^{١)} من أشهر الشعراء الغياسيين (١٩٠ - ٢٢١ م) :

٢) أى تناول .

(٢) من شعراء الخوارج في العصر الاموي توفي عام ١٢٥ هـ وديوانه بتحقيق عزة حسن (طبع دمشق ١٩٦٨) .

فلييس لأن يكون هذا البجاد^(١) عطفاً صنع في صفة البدروع
وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع .

ومن هذا الجنس قول أبي عدي القرشي :

ووافت الحتوفَ من وارث وال وأبِيَّكَ صالحًا رب هود

فلييس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود أجود من
نسبه إلى أنه رب نوح ، ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع
لا لإفاده معنى بما أتى به منه ..

والله أعلم .

إنتهى كتاب « نقد الشعر » لقديمة بن جعفر
المتوفى عام ٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م

(١) البجاد : ثوب غليظ .

الكلمة الأخيرة .. بقلم المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لله وشكراً على ما أغان ووفق وسدّد ، له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

وصلة وسلاماً على رسوله النبي العربي المبين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا هو كتاب « نقد الشعر » لقدامة ، في ثوب جديد ، وتقديم طريف ، وتحقيق دقيق ، وتعليق مفيد .

أرجو بذلك كله أن أكون قد حققت الهدف الذي قصدت إليه وأصبت الغرض الذي ألقيت برحلي لديه .

والقارئ يعرف مدى الصعوبة في تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ، لأنّه أصل من أهمّ أصول تراثنا في النقد القديم ، وأنّه أقام مذهبًا جديداً في النقد ، فأسس منهجاً موضوعياً في الحكم على الشعر وتقديره .

وأنّالله التوفيق والسداد ، وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥٨ - ٣	المدخل إلى الكتاب بقلم المحقق
٥	تصدير الكتاب
١٢	تمهيد حول النقد والنقد
٢١	النقد الأدبي عند العرب
٢٦	النقد الأدبي في القرن الثاني
٣١	النقد الأدبي في القرن الثالث
٤٤	النقد الأدبي في القرن الرابع
٤٧	قدامة : جانب من حياته وتراثه الناطق
٥٣	كتاب نقد الشعر
٢١١ - ٥٩	كتاب نقد الشعر لقدامة
٦١	مقدمة المؤلف
٧١ - ٦٣	الفصل الأول
١٧٠ - ٧٣	الفصل الثاني : نعوت عناصر الشعر الأربع المفردات :
٧٤	١ - نعوت اللفظ
٧٨	٢ - نعوت الوزن :
	(أ) سهولة العروض
	(ب) الترصيع
٨٦	٣ - نعوت القوافي :
	(أ) عنوبة الحرف وسلامة المخرج
	(ب) التصريع

الصفحة	الموضوع
٩١ - ١٥٣	٤ - باب المعاني الدال عليها الشعر
٩٥	نحوت أهم أغراض الشعراء في المعاني
٩٥	(١) نعت المدح
١١٣	(ب) نعت الهجاء
١١٨	(ج) نعت المرأة
١٢٤	(د) نعت التشبّه
١٣٠	(ه) نعت الوصف
١٣٤	(و) نعت النسبة
١٣٩	نحوت تعم جميع المعاني الشعرية :
١٣٩	(١) صحة التقسيم
١٤١	(٢) صحة المقابلة
١٤٢	(٣) صحة التفسير
١٤٤	(٤) التتميم
١٤٦	(٥) المبالغة
١٤٧	(٦) التكافؤ
١٥٠	(٧) الإلتفات
١٥٣	نحوت عناصر الشعر الأربع المركبات :
١٥٣	١ - نعت اتلاف الفظ مع المعنى :
١٥٣	(١) المساواة
١٥٤	(ب) الإشارة
١٥٧	(ج) الإرداد
١٥٩	(د) التمثيل
١٦٢	(ه) المطابق
١٦٣	(و) المجانس

الصفحة	الموضوع
١٦٥	٢ - نعٌت ائتلاف اللفظ والوزن
١٦٦	٣ - نعٌت ائتلاف المعنى والوزن
١٦٧	٤ - نعٌت ائتلاف القافية والمعنى :
١٦٧	(١) التوشيح
١٦٨	(ب) الإيغال
١٧١	الفصل الثالث : عيوب الشعر
١٧١	عيوب ترجع إلى العناصر الأربعة المفردة
١٧٢	١ - عيوب اللفظ
١٧٤	المعاطلة
١٧٨	٢ - عيوب الوزن
١٨١	٣ - عيوب القوافي :
١٨١	(١) التجميغ
١٨١	(ب) الإفواء
١٨٢	(ج) الإيطة
١٨٢	(د) السناد
١٨٤	٤ - عيوب المعاني :
١٨٤	عيوب ترجع إلى الأغراض الشعرية :
١٨٤	(١) عيوب المدح
١٨٧	(ب) عيوب المهجاء
١٩٠	(ج) عيوب المرأى
١٩٠	(د) عيوب التشبيه
١٩٠	(هـ) عيوب الوصف
١٩٠	(و) عيوب الغزل (النسبة)
١٩٢	عيوب العامة للمعنى :

الصفحة	الموضوع
١٩٢	١ - فساد الأقسام
١٩٣	٢ - فساد المقابلات
١٩٤	٣ - فساد التفسير
١٩٥	٤ - الإستحالة والتناقض
٢٠١	٥ - إيقاع الممتنع في المعاني في حال ما يجوز وقوعه
٢٠٣	٦ - مخالفة العرف
٢٠٣	٧ - أن ينسب إلى شيء ما ليس له
٢٠٣	عيوب ترجع إلى العناصر الأربع المركبة :
٢٠٤	(١) عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى :
	١ - الإخلال . ٢ - التطويل لغير فائدة .
٢٠٦	(ب) عيوب ائتلاف اللفظ والوزن :
٢٠٦	١ - الحشو ٢ - التلائم
٢٠٧	٣ - التذبذب ٤ - التغير
٢٠٨	٥ - التعطيل
٢٠٩	(ج) عيوب ائتلاف المعنى والوزن :
	١ - المقلوب ٢ - المبتور
٢١٠	(د) عيوب ائتلاف المعنى والقافية :
٢١٠	١ - التكلف في طلب القافية
٢١١	٢ - الإتيان بالقافية من أجل السجع
٢١٢	الكلمة الأخيرة ، بقلم المحقق
٢١٣	فهرست الكتاب

طلب من: دار اللشون العلميّة بيروت-لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
صّ: ١١/٩٤٢٤ تلکس: Nasher 41245 Le

مطبع دار اللشون
٤٦٠٧٤٣ - ٨٧٧٤١٩ - ٨٧٧٣٧٧
جبل عامل - بيروت